

دورية - علمية - متخصصة - محكمة
يصدرها المجلس العربى للطفولة و التنمية
العدد 6 مجلد 2 صيف 2002

- وسائل الإعلام و ثقافة الطفل (ملف العدد)
- مدخل فى العلاج بالدراما للطفل
- اضطراب قصور الانتباه/ النشاط الزائد
- التربية المتحفية و ثقافة الطفل العربى
- المناهج الدراسية بين النظرية و التطبيق

مجلة
الطفولة
والتنمية

مجلة الطفولة والتنمية

دورية علمية – متخصصة – محكمة
العدد (6) المجلد الثاني - صيف 2002
يصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية
مع الإشراف العلمي لمعهد البحوث والدراسات العربية

✿

الترقيم الدولي
ISSN 1110-8681
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
2001 / 6942

تصميم الغلاف والخطوط الداخلية
حامد العويضي

تُعبِّر البحوث والدراسات والمقالات التي تُنشر في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تُعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة ، كما أن ترتيب البحوث في المجلة لا يخضع لأهمية البحث ولا مكانة الباحث

✿

سعر النسخة :

جمهورية مصر العربية : 10 جنيهات مصرية
البلدان العربية : 5 دولارات أمريكية
البلدان الأجنبية : 10 دولارات أمريكية

✿

الاشتراكات السنوية شاملة مصاريف البريد :

جمهورية مصر العربية :	25 جنيهاً مصرياً
البلدان العربية :	19 دولاراً أمريكياً
البلدان الأجنبية :	29 دولاراً أمريكياً

اشتراك تشجيعي للراغبين في دعم المجلة : 50 دولاراً أمريكياً

✿

توجه جميع المراسلات إلى العنوان التالي :

مجلة الطفولة والتنمية
المجلس العربي للطفولة والتنمية
ص.ب (15) الأورمان – جيزة – مصر
هاتف : 7358011 (202 +) – فاكس : 7358013 (202 +)
E-mail: accd@arabccd.org ✿ www.accd.org.eg

يصدر هذا العدد بدعم من برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

الهيئة الاستشارية

مجلة الطفولة والتنمية

دورية علمية - متخصصة - محكمة

يصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية

المحتـــويـــــات

كتب ورسائل جامعية

ندوات ومؤتمرات

تجارب قطرية

تقارير ووثائق

الافتتاحية

رأت هيئة التحرير، وهى تقلب صفحة العام الماضي من عمر المجلة ، أهمية اطلاع جمهورها على مجموعة أرقام، تبين مسار المجلة في أعدادها الأربعة (الأول والثاني والثالث والرابع)، وهي على النحو التالي :

- احتوت موضوعات الأعداد الأربع على أبواب ثابتة ، احتلت الدراسات والأبحاث حيزاً واسعاً من اهتمام المجلة ، خاصة وأنها تعرض للتحكيم ، كما اشتملت على ملف لكل عدد لمعالجة موضوع واحد من زوايا وجوانب وأبعاد متعددة ، ووجهات نظر مختلفة . ولإعطاء حيز أكبر للمشاركة ؛ تناولت المجلة مجموعة مقالات لعرض موضوعات في جوانب مختلفة . بالإضافة إلى ذلك ، عرضت المجلة تجارب قطرية ناجحة وعدداً من الكتب والرسائل العلمية. كما قدمت ملخصات موجزة لأهم الندوات والمؤتمرات ، واختتمتها ببليوجرافيا لأهم الإصدارات الحديثة في مجالات الطفولة .
- ناقشت المجلة أكثر من 76 عنواناً في المجالات المختلفة المرتبطة بالأطفال، وشارك في إعدادها والكتابة فيها اختصاصيون وأكاديميون وباحثون من الدول العربية .
- ساهم في الكتابة للأعداد الأربعة (69) كاتباً وباحثاً مثلوا ثلاث عشرة دولة عربية، هي : الأردن (2) ، الإمارات (1) ، البحرين (2) ، السعودية (2) ، سوريا (4) ، فلسطين (9) ، قطر (2) ، العراق (5) ، الكويت (1) ، ليبيا (4) ، مصر (28) ، المغرب (4) ، واليمن (5) .
- بلغت نسبة المشاركة في الكتابة من الدول العربية 59٪ (13 دولة عربية من 22 دولة عربية) ، والدول التي لم تصل منها مشاركات هى تونس ، الجزائر ، جزر القمر ، وجيبوتي ، السودان ، الصومال ، عمان ، لبنان ، وموريتانيا .
- اعتمدت هيئة التحرير على خبرات علمية وأكاديمية ومتخصصين؛ لتحكيم الدراسات والأبحاث . وقد شارك في تحكيم مواد الأعداد الأربعة 33 محكماً .

- شمل التوزيع والإهداء للمجلة كل الجامعات والمؤسسات الأكاديمية (رسمية وأهلية) في الدول العربية ، والوزارات المعنية بأوضاع الطفولة ، والمجالس العليا واللجان الوطنية. كما تم توزيع المجلة على عدد من المؤسسات والجمعيات الأهلية المعنية بالطفولة وتنميتها .
- حرصت هيئة التحرير على رصد ردود الأفعال والمراسلات الواردة من الجهات التى تم إرسال المجلة إليها ، وعملت أولاً بأول على استيعاب هذه الملاحظات ، والتواصل مع مقدميها .

بهذا العرض أرادت هيئة التحرير تبيان أن ما تحقق كان بفضل جهود جمهورها وكل محبي الطفولة ، الذين رعوا الفكرة، وزرعوا البذرة، وجنوا ثمرة ، أسميناها "مجلة الطفولة والتنمية". إلا أنه من الأهمية الإشارة إلى سلبية رافقت عملها ، وهى ارتبطت بضعف المشاركة والمساهمة من الكتاب في بعض الدول العربية ، علاوة على ذلك ضعف تفاعل بعض أعضاء الهيئة الاستشارية .

ونعدكم – ونحن ننجز معاً هذا العدد (السادس) – على الاستمرار والتواصل. ونجدها فرصة – ونحن نختتم تقرير عام من عمر المجلة – أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى راعي هذه الجهود وداعمها **صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز رئيس المجلس**، وكذلك الشكر والتقدير لممول هذا الإصدار برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (الأجفند)، ويسعدنا أن نتقدم بالشكر والتقدير لكل من بعثوا برسالات النقد والثناء للمجلة .

د. حمد عقلا العقلا

رئيس التحرير



- مدخل في العلاج بالدراما للطفل

د كـــمـــال الـديـن حــسـين

- اضطراب قصور الانتباه / النشاط الزائد

د . عبد الله صالح عبد العزيز الرويتع

- وصف أوضاع الأطفال العاملين في الصناعة

أ. مـحـمـد عـبـد العظيم

- ظاهرة التسول في محافظة غزة

أ. مـيـسـون العطاونة الوحـيـدي

مدخل في العلاج بالدراما للطفل

د. كمال الدين حسين *

العلاج بالدراما هو واحد من أحدث الوسائل المتبعة حديثاً في مجال العلاج النفسي؛ لعلاج الكثير من المشاكل النفسية والاجتماعية، سواء للأفراد أو الجماعات. وقد بدأ استخدام الدراما في مجال العلاج النفسي في بريطانيا عام 1960، كامتداد لتوظيف الدراما في العَملية التعليمية والتنشئة وتعديل السلوك لبعض التلاميذ. وقد واكب هذا الاستخدام للدراما ظهور الدعوات والمدارس العلاجية التي دعت إلى استخدام الفنون كالموسيقى والرسم واللعب في العلاج النفسي في بريطانيا وأوربا. وقد ساعد على انتشار مثل هذه المناهج العلاجية تلك الأفكار والنظريات التربوية التي ظهرت آنذاك، وترى أنه "بالفنون يمكن تغير العالم بشكل حقيقي" .

يرجع الفضل في توجيه استخدام الدراما في العلاج النفسي إلى الرجل ذي العقل المبتكر بيتر سليد Peter Slade ، صاحب مصطلح "دراما الطفل"، والذي شجع على توظيف الأنشطة الدرامية داخل المؤسسات التعليمية؛ من أجل إتاحة الفرصة للأطفال ليعبروا عن أنفسهم، وكان هو صاحب الدعوة الموجهة إلى الآباء والمربين، بضرورة أن يستمعوا إلى أطفالهم، حيث إن البالغين كما يقول "دائماً ما يسخرون من أطفالهم

* أستاذ الأدب المسرحي والدراما ، كلية رياض الأطفال - جامعة القاهرة .

ورغباتهم، ويتكرون قدراتهم الإبداعية بمحاولة التحكم في أطفالهم". وكانت دعوته هذه لضرورة الاستماع إلى الأطفال، بمثابة الثورة الراديكالية في عالم التربية عام 1960 .

من ناحية أخرى كان المسرحيون قد بدءوا في استخدام المسرح في طرح بعض القضايا ذات الأبعاد النفسية والانفعالية العنيفة، مثلما كان يفعل بيتر بروك Peter Brook حيث كان يجرب في مسرحه شكلاً جديداً قال عنه المسرحي آرتو "مسرح القسوة أو العنف" " Theater of Cruelty " والذي ظهرت ملامحه في مسرحية "ماراصاد" والتي أثرت كثيراً على المسرح البريطاني .

وفي بولندا كان المسرحي الكبير جيرزي جروتوفسكي Jerzey Grotowski يقوم بتجاربه في ورشته المسرحية والتي كان يدرب فيها ممثليه بشكل جديد، يعتمد على إعادة التفكير في النفس وكيفية تعاملها مع الأدوار الإنسانية في الواقع، عموماً كان منهجه يعتبر شكلاً من التمثيل العلاجي للممثل والمشاهد معاً .

أما في مجال التعليم فقد نادت دورثي هيسكوت Dorthy Heathcote بضرورة مشاركة الطفل في العملية التعليمية عامة، وفي المجال المعرفي خاصة، حيث كان التعليم يعتمد على ربط الطفل بمصادر المعرفة التي يحددها المعلم من جهته فقط، أما دورثي فكانت تؤمن بأن التعليم هو التدخل الجيد في حياة الطفل، ولابد من كسر هذه المسافة والتقاء المعلم مع الطفل. وقد وظفت الأنشطة الدرامية في ذلك، وشاركت بنفسها في لعب الأدوار. حيث إن المشاركة في لعب الأدوار تساعد على تقوية اندماج الأطفال في الخبرة، كما تساعد على أن يكون الطفل موضوعياً، كما يمكن قياس الانعكاس الناتج عن هذا الاندماج أو المشاركة، حيث إن الخبرة بدون الانعكاس لا تؤدي إلى التعليم الجيد، فالانعكاس هو بمثابة مردود للعملية التعليمية .

يقول أونيل 1982 : "إن أكثر الدلالات التي يمكن أن نجدها من الأنشطة الدرامية هو فهم الطفل للسلوك الإنساني، ولذاته، وللعالم الذي يعيش فيه. وهذا النمو للفهم المغاير للأساليب المعتادة يساعد على تغير وتطور أساليب التفكير، والانفعال، وهذه أولى أهداف الدراما في التعليم" .

هذه الاتجاهات التي ظهرت في بريطانيا وأوربا منذ الستينيات – سواء في مجال

المسرح أو الدراما أو التعليم أو العلاج النفسي- أثرت بشكل كبير على Sue Jenning التي كونت أول جمعية للعلاج بالدراما Remedial Drama والتي اعتمدت على تلك الأساليب المتطورة في مجال استخدام الدراما في التعليم؛ لتطبيقها في بعض المجالات الإكلينيكية. وأصبح مركز العلاج بالدراما هذا أول مركز متخصص في تدريب وممارسة الدراما الإبداعية والتعبيرية مع الكبار والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. وفي عام 1970 أطلق على المركز اسم مركز العلاج بالدراما (Drama Therapy Centre) .

وفي عام 1972، اتسع نشاطه ليكون مركزاً استشارياً يقوم بالتدريب والعمل مع الجماعات من الكبار والأطفال. ومنذ عام 1977 بدأ العالم يعرف العلاج بالدراما Drama Therapy كواحد من الأساليب العلاجية في عالم العلاج بالفنون بجانب السيكودراما.

ما هو العلاج بالدراما؟

في محاولة لفهم المقصود من العلاج بالدراما Drama Therapy سنحاول تعرف معنى المصطلح أولاً. من القراءة الأولى للمصطلح نجد أنه يتكون من شقين يشيران إلى عمليتين كبيرتين، هما الدراما Drama والعلاج Therapy . لذا لابد من أن نعرف أولاً ما المقصود بالدراما في مجال العلاج؛ لنعرف منها ما المقصود بالجانب العلاجي الذي يوظف الدراما لتحقيق أهدافه .

ما هي الدراما؟

تبعاً للترجمة المختصرة لقاموس أكسفورد يمكن أن نعرف الدراما بأنها "تعبير قولي قد يكون شعراً أو نثراً، يعد ليؤدى على المسرح، ويرتبط خلاله الموضوع بعدد من الوسائل المرتبطة بفن المسرح، كالحوار والفعل المصحوب بالحركة والملابس كما هي في واقع الحياة أو قريبة منها" .

لكن بالنظرة الأشمل لمفهوم الدراما قد نجد أن ممارسة الدراما من جهة أخرى قد لا تحتاج إلى مسرح وملابس ومعدات أو مناظر، بل كل ما تحتاجه هو فرد أو مجموعة من الأفراد يستخدمون قدراتهم الذاتية - من حركة الجسد - والتفكير والقدرات العقلية؛

ليجسدوا من خلال الفعل والحوار القصة أو الموضوع الذي يحاولون التعبير عنه. وهم ما نعرفهم بالمؤدين أو الممثلين .

والدراما – كما اكتشفها الإغريق ونظروا إليها – تعني موقفاً أو موضوعاً، يدور حول إنسان، يؤدى ويعاش، ويتحدث فيه الإنسان عن قصة حياته أو دراما حياته، وتدور في سياق اجتماعي يحدد علاقات الإنسان مع الآخرين. حيث إن الموقف الدرامي هو بالضرورة فعل اجتماعي يعبر عن التفاعل والتواصل والتعارض أحياناً بين الأطراف المشاركة في هذا الموقف، من خلال الأداء أو المحاكاة لمواقف وشخصيات أو أدوار من واقع الحياة، يعبر عنها في الموقف الدرامي تماماً، كلعب الأطفال الذي يعتمد على المحاكاة والتقليد لما يتم في واقع الحياة، فالطفل الذي يتناول دورقاً فارغاً ويحاكي أنه يشرب منه، هو يقوم بتقليد ومحاكاة متوهمة لفعل في الحياة، وعندما يلعب الطفل مع دميته، ويحاكي الأم وهي تصرخ فيه وتنهره عندما يبكي، هنا يحاكي دور الأم كما يراه من وجهة نظره، ويعبر عنه أثناء لعبه مع دميته. الطفل هنا في محاكاته لدور الأم يحاول أن يعبر عما لاحظه من انفعالات الأم واستجاباتها لصراخه أو بكائه، ويقوم بأدائه من خلال لعبه لدور الأم .

وهكذا الدراما تعتمد على لعب الأدوار ومدى ملاحظة الإنسان للاستجابات الانفعالية للآخرين، ومحاولة محاكاتهم من خلال مدى معرفة ما يشعرون به وكيف يستجيبون لموقف ما. وبذلك يكون الفعل الدرامي نتيجة مباشرة للرغبة في التعبير عن المعرفة وكيفية الإحساس بما يشعر به الآخرون، ومحاولة تقليدهم، وكأن الشخص (المؤدي) يعيش في ثياب شخص آخر. حيث إن الدراما هنا في انفصال للذات (المؤدي) عن ذاته إلى ما هو غير ذاتي (الدور الذي يلعبه)، في مكان وزمان معينين. فليس بالضرورة أن تكون المحاكاة مرتبطة أيضاً بالزمن والمكان الواقعيين. ذلك أن لعب الأدوار يعتمد على تحويل الواقع إلى واقع درامي خاص به دون الارتباط بالواقع الأصلي للخبرة التي تحاكى. فالطفل الذي يلعب مع دميته، ويعطيها الشراب من زجاجة بلاستيكية، فإنه يحاكي واقعاً، لكنه نقله إلى مكان وزمان آخرين لا وجود لهما إلا في مخيلته. فقد يتم ذلك في المساء، بينما ميعاد الرضعة الأصلي في الصباح. وقد يقلد الطفل وهو يلعب في الحديقة تصرف ما تقوم به الأم في المطبخ مثلاً. إذاً فالفعل الدرامي يتضمن زمانين ومكانين، زمناً ومكاناً واقعيين

وزمناً ومكاناً متخيلين. وما بين الاثنين يعرف بالمسافة الدرامية، وهي المسافة التي تسمح للشخص، سواء أكان ممثلاً أم مشاهداً، بالتحرك للخلف وللأمام بين مستويين : مستوى موضوعي (واقعي)، ومستوى ذاتي (متخيل) .

هذه المسافة تظهر بوضوح في المسرح، فالعرض المسرحي هو خبرة مباشرة تتم في زمان ومكان متخيلين، يؤدي فيه الممثلون أدواراً لشخصيات أخرى كانت تعيش أو تعيش الآن في أماكن أخرى وأوقات أخرى. ونحن – كمشاهدين لعرض مسرحي – نجلس أمام الممثلين، ولا تزال تلك المسافة أو العزلة بيننا وبينهم قائمة، لكن بمجرد أن نتوحد مع الشخصيات التي يمثلونها، فإننا يمكن أن نتقبل أي شيء حتى انتسابنا كبشر إلى تلك المخلوقات الخرافية. إننا من خلال هذا التوحد نوسع من مجالات وجودنا، أما بالنسبة إلى الممثلين فإنهم لا يصلون إلى هذا التوحد، بمعنى أنهم لا يتحولون أو يصيرون تلك الشخصيات التي يمثلونها، لكنهم بقدراتهم وخبراتهم يستطيعون أن يفسروها ويجسدوها من خلال أبعاد الأدوار الموجودة في النص أو الموقف الدرامي. بمعنى آخر إن الممثلين في المسرح، ومن خلال المسافة الجمالية أو الدرامية، يمرون بخبرة الانتقال ما بين الواقع الموضوعي والواقع الذاتي .

نخلص من هذا إلى أن الموقف الدرامي هو عبارة عن مواجهة اجتماعية تتم في مكان معين ووقت معين، ويتحرك خلالها الممثل والمشاهد ما بين وقت واقعي إلى وقت متخيل من واقع موجود إلى واقع درامي .

ما هو العلاج ؟ Therapy

تشتق لفظة Therapy (علاج) من اللفظة الإغريقية Healing التي تعني مداواة، لذا فإن Psycho Therapy تعني مداواة النفس، وتكون Drama Therapy إذاً هي المداوة بواسطة الدراما أو العلاج بالدراما .

ولا يقصد بالطبع بالعلاج بالدراما استخدام أساليب الدراما في العلاج النفسي، ذلك أن القصد ليس بهذه البساطة، حيث إن العلاج بالدراما هو نظام في ذاته وبمن يقومون به وبأبحاثه .

ويفضل أن نبدأ باستقراء بعض تعريفات العلاج النفسي Psycho Therapy ؛ حتى يمكن أن نرى كيف ترتبط بالدراما .

العلاج النفسي هو عملية "تهدف إلى مساعدة المريض على أن يفعل بنفسه ما لا يستطيع أن يفعله، والمعالج لا يقوم له بهذا الفعل"، لكنه – أي المريض – لا يستطيع أن يفعله بدون المعالج. والمعالج هنا هو وسيط أو ميسر Facilitator يساعد المريض على الفعل. وهناك تعريف آخر يقول: "إن التوظيف المنظم للعلاقة بين المريض/المعالج تعمل – مثلما يفعل الدواء أو أساليب العلاج الاجتماعي – في إحداث تغير في المعرفة والمشاعر والسلوك". وبذلك تكون هذه العلاقة القائمة بين المريض / المعالج بمثابة وسيط علاجي بذاتها .

ومن المعروف أن الهدف الأساسي للعلاج النفسي هو إزالة الشعور بالمعاناة، ويتم هذا داخل النفس، سواء كان المريض فرداً أو جماعة، لذلك فإن بدايات العلاقة بين المريض/ المعالج تعمل على إزالة القلق والتوتر والضغوط العقلية. وما إن يتم ذلك، حتى يتحول الهدف من الرغبة في إزاحة التوتر وإزاحة القلق أو الاكتئاب إلى الرغبة في تعلم التواصل مع الآخرين؛ حتى يكتسب المريض الثقة بنفسه وبالآخرين، وبذلك يتعلم الحب .

والعلاج النفسي لا يكون دوماً تطهيراً انفعالياً، بل هو خبرة تجمع ما بين الانفعال والمعرفة. فالمريض عندما يمر بهذه الخبرة يشعر بأن هناك شيئاً ما، ويحاول أن يفهم ما تتضمنه هذه الخبرة من معانٍ، وما يرتبط بها من انفعالات. وهذه العملية يكون لها ارتباط وثيق ومباشر بالخبرة الوجودية للمريض في هذه اللحظة وهذا الموقف .

وكما أثبت Yalom (1985) بالدراسات والأبحاث أن "ما يميز الخبرة العلاجية النفسية الناجحة هو ما تتضمنه من معرفة تشكل محور ارتكاز العملية العلاجية". وبذلك يكون الاستبصار والفهم من أهم متطلبات العلاج النفسي .

من هذا يمكن القول بأن العلاج يهتم بالانفعالات القوية، الاستبصار، الإدراك العقلي، والتغير. ومركز العلاج هو العلاقة مع المعالج أو العلاقة ما بين المعالج والجماعة، والتي تساعد الفرد على أن يحقق ما لم يكن قادراً على تحقيقه لنفسه بمفرده. إنها تساعده على أن يختبر الحياة كما هي الآن .

والآن ما هو العلاج بالدراما؟

العلاج بالدراما Drama Therapy

إن تعريف ما هية العلاج بالدراما تؤكد بالضرورة على أهمية تأثير قدرات الإبداع والتعبير، بعكس العلاج النفسي بالتحليل النفسي مثلاً، والذي يؤكد على العلاقة ما بين المعالج والمريض والعمل من خلال الصراعات والتوتر الناتج من هذه العلاقة. وهذه العملية تعرف بالتحويل Transference ، والتحويل المضاد Tranaference-Counler .

لكن تعزيز القدرات التعبيرية والإبداعية باستخدام المواقف والبناء الدرامي قد يسمح بظهور التعبير الرمزي عن الانفعالات والذي يختلف تماماً عن العلاج النفسي بالكلام. ومما لا شك فيه أن المعالج الدرامي Drama Therapy قد يشجع الاستشكاف اللفظي للانفعالات، لكنه قد يفعل هذا من خلال الدراما ذاتها، وليس بالضرورة بطريق مباشر .

في عام 1979 عرفت الجمعية البريطانية للمعالجين بالدراما The British Association for Drama Therapist (B.A.DM) العلاج بالدراما أنه "وسائل تساعد على الفهم والتخفيف من المشاكل النفسية والاجتماعية والاضطرابات العقلية، كما تيسر من التعبير الرمزي، والذي من خلاله يمكن للمريض أن يقترب من ذاته، سواء أكان فرداً أم جماعة، بواسطة المواقف الإبداعية المتضمنة للتواصل بالصوت والجسد". وبتغير مفهوم المرض العقلي والاضطرابات العقلية تغير التعريف عام 1991، كما حددت ملامحه الجمعية البريطانية أن "العلاج بالدراما هو الاستخدام المقصود (أو المخطط) للجوانب والقدرات العلاجية للدراما في العملية العلاجية". وقد طرح هذا التعريف عدداً من التساؤلات، مثل ما هي الجوانب العلاجية للدراما؟ وهل هذه الجوانب قد تسبب ألماً؟

في عام 1992 ظهر تعريف آخر بواسطة Jenning تقول فيه : "العلاج بالدراما هو الاستخدام المحدد للتركيبة المسرحية Theatre Structure والعمليات الدرامية، مع قصدية واضحة، وهي العلاج" .

ونحن هنا نواجه بمصطلح التركيبة المسرحية (البناء المسرحي) Theatre Structure والذي يعكس النموذج المسرحي الذي تستخدمه Jenning في العلاج بالدراما .

فهي ترى أن المعالج بالدراما لا يعتبر معالجاً نفسياً، بل هو فنان مبدع، وأن العلاج بالدراما كمهنة تمتد جذوره إلى أعماق فن المسرح .

نخلص مما سبق إلى أنه يمكن تعريف العلاج بالدراما بأنه "العلاج من خلال الدراما والذي يتيح للمريض – من خلال استخدام الأساليب الدرامية – أن يستبصر ويكتشف الانفعالات في مكان ما وفي زمن ما بين الواقع والخيال، داخل مواقف اجتماعية" . وحتى يمكن أن نفهم بقدر أكبر، وتتضح الصورة أمام البعض حول كيفية تحقيق العلاج من خلال الدراما، سنحاول أن نتعرف تلك الجوانب العلاجية للدراما، والتي تشكل الأساس النظري والتطبيقي للعلاج بالدراما .

الأسس الدرامية ومصادرها في العلاج بالدراما

إن المتفحص لمصادر الأسس الدرامية التي لجأ إليها المعالجون الدراميون؛ ليؤسسوا لفنهم هذا، سيجد أنه يمكن أن نحصرها في :

1- دراما الطفل ولعبه الإيهامي .

2- فن العرض المسرحي .

3- النصوص والمصادر المتنوعة للدراما .

4- الدراما الشعبية والطقوس .

وسنحاول هنا أن نتعرف تلك المصادر، وكيفية تأسيس العلاج بالدراما، وظهوره على يد نخبة من العلماء الواعين المبدعين .

أولاً : دراما الطفل ولعبه الإيهامي

من المعروف أن الدراما فعل غريزي فطري في سلوك الإنسان، وتراه بشكل واضح في لعب الأطفال الذي يعتمد على المحاكاة والتقليد، وإن كان الطفل يمارسه دون وعي منه، لكن عندما بدأ بعض التربويين في محاولات توظيفه بوعي، كان من أنجح السبل المساعدة في العملية التعليمية وتعديل السلوك .

إن لعب الأطفال ذو طبيعة درامية، خاصة ما يعرف باللعب الإيهامي، ذلك اللعب الذي يعتمد على الاندماج والمحاكاة، والتقليد والتوحد والتشخيص، ولعب الأدوار، والذي استفاد منه كثير من المعالجين، أمثال مورينو وبيرلز، والذي كان له فضل اكتشاف ما يعرف

باللحظة الفطرية أو العفوية Spontanious Moment Perls والتي يترك فيها المريض على سجيته؛ ليشخص أو يمثل ما يريده (كما يلعب الطفل لعبه الإيهامي)، فسوف تؤدي إلى الكشف عن اهتماماته الدفينة .

هذه اللحظة تعتمد على فعل التشخيص واستحضار الخبرات السابقة من الحياة اليومية، والتي لها أثر في حياة المريض، وقد ترتبط به أو بغيره ممن أثروا في حياته. لذلك يعتمد العلاج بالدراما على التشخيص، والذي يتم فيما يعرف بالمكان الآمن أو المعزول، والذي يسمح باستحضار هذه الخبرات في أمان؛ حتى يمكن فحصها وفهمها، وكما في جلسات التحليل النفسي، فإن المريض قد يحيل أو يحول بعض الخصائص الدالة Significant Characteristics لشخص ما أثناء لعبه الإيهامي أو تشخيصه، وليكن شخص الأب مثلاً، على المعالج، أو على شخص من الجماعة يحل محل تشخصية، الأب كما في السيكودراما، أو يقوم هو نفسه بأداء دور الأب كما لو كان (as if) هو الأب في مشهد أو موقف معين، وهذا ما يعرف بالتحويل أو الطرح Transference والذي يعد من أهم أسس العلاج بالدراما، والذي لا يقتصر على لعب الأطفال فقط، بل موجود أيضاً في العلاج الشعبي والعلاج بالسحر وتحضير الأرواح وفي الأحلام والخيالات وفي البروفات والتدريبات المسرحية وفي جلسات العلاج النفسي .

والتشخيص هو عملية درامية تعمل من خلال مستويين : مستوى واقع الحياة اليومية، ومستوى الواقع المستحضر أو المشخص، والذي يتحول فيه الممثل/ المريض إلى الشخص الآخر ذي الوقائع الدالة. ومن خلال تشخيص المريض للواقع الحياتي بأشخاصه وعلاقاته مع ذاته والآخرين، واستحضارهم عن طريق خياله في هذا الواقع المستحضر أو المشخص، يمكن أن نفهم بشكل أفضل طبيعة واقعه الحقيقي، ورغباته ومعوقاته، ونحاول منها أن نساعده على إعادة ترتيب الأجزاء داخل البيئة الواقعية الحياتية له. تماماً كما نستطيع أن نفهم من لعب الطفل الإيهامي رغباته واحتياجاته ومعوقاته .

ثانياً : فن العرض المسرحي

والعرض المسرحي هو شكل آخر للفعل الدرامي، والذي لا يعتمد فقط على الوعي، بل

على القصدية أيضاً، من خلال أداء ممثل، وتجسيده لشخصيات محددة في موقف اجتماعي مدون في نص، على جمع من المشاهدين، في مكان مخصص لتقديم هذا العرض هو المسرح، فالمسرح هو الخبرة المباشرة لاتفاق جماعة من الناس على مواجهة بعضهم البعض في مكان معين ووقت محدد، وفيها تسلك مجموعة منهم كما لو أنهم أشخاص غير ذواتهم، وهم الممثلون الذي يؤدون أدواراً وشخصيات مختلفة. أما باقي المجموعة – وهم المشاهدون – فإنهم يتقبلون كل ما يعرض أمامهم بمصداقية موضوعية، حيث إنهم أرجؤوا كل الشك فيما يقوم أمامهم. وهذا وداخل إطار الزمان والمكان، يكون الممثلون هم الشخصيات التي يلعبونها (يمثلونها) في مكان متوهم وزمن متخيل .

هذه التقنيات والمفاهيم، بداية من توهم المكان والزمان والتشخيص، وإرجاء الشك والتي يعتمد عليها فن العرض المسرحي، تشكل أساس المواقف العلاجية، والتي تتكون من الممثل/ المريض أو مجموعة المرضى، المخرج/ المعالج، مكان العرض/ مكان الجلسات، والزمن المحدد للجلسة/ للعرض، والهدف العام الذي يسعى كل من المسرح/ والعلاج لتحقيقه .

وتعتبر Sue Jenning من أهم المعالجين بالدراما الذين قاموا بتفسير العلاقة بين تقنيات العرض المسرحي والعلاج بالدراما، بل بناء على فهمها الحقيقي للقدرة العلاجية للدراما والمسرح، أقامت منهجاً حقيقياً للعلاج بالدراما. ومن أهم المفاهيم التي اعتمدت عليها في عملها العلاجي مفهوم المسافة الدرامية، أو المسافة الجمالية Dramatic or Aesthetic distance ، والتي تسمح من خلال المفارقة بتعميق الخبرة بالواقع. ويستفاد من وجود هذه المسافة التي تسمح بالتجوال ما بين الواقع والخيال في العلاج بالدراما، عنها في السيكودراما. بمعنى أنه في السيكودراما يتعامل المريض مباشرة مع المادة الخاصة به، أي يكون أكثر التصاقاً وقرباً من واقعه، أي تقل هذه المسافة أو تنعدم .

أما في العلاج بالدراما فإنه من خلال تعامل المريض مع قصة أو أسطورة، أو نص درامي، يصبح أكثر بعداً عن مشكلته الخاصة، يصبح في بعض الأحيان مراقباً لها، وهذا يسهل له الفهم والاستبصار من خلال ما تحققه المسافة الدرامية هذه بالتجوال السريع ما بين الواقع الذاتي والموضوعي، ما بين العالم الرحب Macrosmos وعالمه الضيق Microsmos .

ويساعد كل من المعالج/ المخرج والتدريبات والجلسات العلاجية على وجود هذه المسافة وتوظيفها بشكل جيد يحقق الهدف منها، وهو خلق توازن ما بين الواقع والخيال، وتحقيق الاستبصار والفهم للمشكلة النفسية أو الاجتماعية التي يتعرض لها المريض .

فإن كان المخرج المسرحي كما يقول عنه بيتر بروك "إنه عامل مساعد، يعمل على مساعدة الممثلين على أداء الدور من خلال الفهم والتفسير للشخصية التي يتدربون عليها، ثم يعرضونها أخيراً على الجماهير"، فيكون المعالج الدرامي كما يقول Steve Mitchell (1995) : "هو عامل مساعد أيضاً، لكنه يساعد المريض على تحويل مشاكل الحياة اليومية إلى واقع مسرحي أو درامي؛ ليتعرف من خلاله الصورة المناسبة للموقف والشخصيات، ويجسدها معرفياً وانفعالياً من خلال فهمه لها، والذي ساعده المعالج على إدراكه، وبذلك يسهل من عودة المريض إلى واقع الحياة اليومية من خلال ذلك الفهم والمعرفة" .

أما بالنسبة لجلسات العلاج وتدريبات الممثل، فيقول مالدوم Meldim (1993) : "إن التدريبات المسرحية أو البروفات، وكذلك الجلسات العلاجية، تتيح للمرضى/ الممثلين، الفرصة لاستخدام قدراتهم الفيزيقية؛ لينموا ويطوروا من تشخيصهم للأدوار، وأن يشاركوا أيضاً بقدراتهم العقلية في ذلك، ومن خلال الإسقاطات والمجاز والاستعارة والرمز، يمكن للمرضى أن يعبروا عن أنفسهم، بأجسادهم، وأصواتهم، حسب مشاعرهم ورغباتهم، التي يسقطونها من خلال الأداء الدرامي أو التمثيلي للأدوار التي يمثلونها .

إذاً فالمسافة الدرامية أو الجمالية هنا تساعد المعالجين بالدراما من خلال مفهومين : البعد المسافي، والأساليب الإسقاطية. وسنحاول التعرض لهما بإيجاز :

1- البعد المسافي Distancing

البعد المسافي باختصار هو وسيلة يلجأ إليها الإنسان للانفصال أو البعد الشخصي عن الآخر، أو للاقتراب والالتصاق بالآخر. وتمتاز كافة العلاقات الإنسانية بوجود درجات من البعد المسافي هذا، وعموماً في حالات السواء لابد من وجود حالة من التوازن بين الحالتين: الابتعاد والاقتراب. ويمكن للشخص أن يتحكم فيهما. وهذه المسافة قد تكون فيزيقية، كالحفاظ على مسافة من عدة أقدام بعيداً عن الآخر، أثناء المواجهة الحوارية

(التحاور)، وقد تكون انفعالية، كما في اختيار التعاطف تجاه رأي الأخر، أو تكون المسافة عقلية، كما في اختيار التحليل بدلاً من التعاطف مع مشاكل الآخر. وغالباً ما تكون هذه المسافة مزيجاً متداخلاً من المسافات الفيزيقية والانفعالية والعقلية .

والمسافة هذه لا تعني فقط العلاقة بين شخص وآخر، لكنها أيضاً ظاهرة نفسية، قد تتجسد في الشخص الواحد، كتوحد الفرد بشكل كبير ببعض الأدوار التي يلعبها، وانفصاله عن أدوار أخرى، فالشخص قد يتوحد بقوة بدوره المهني مثلاً، لكنه قد يعزل نفسه عن أحد الأدوار العائلية كابن أو زوج. وهذا يظهر لدى البعض الذين يبدون الحيوية والإيجابية في العمل والسلبية في المنزل .

ويستخدم مفهوم البعد المسافي أو المسافة في العلاج الدرامي بشكل كبير، حيث يقوم المعالج بتحديد مدى كبير من التقنيات الدرامية والإسقاطية التي توظف داخل مواقف متنوعة من العلاقات بين الذات والدور، والذات والآخر. ومن الوسائط التي يمكن الاستعانة بها هنا العرائس والأقنعة التي تساعد على خلق المسافة من جهة وتحقيق الإسقاط من جهة أخرى .

ويعتمد المعالج الدرامي على هذه المسافة في فحص العلاقات الجدلية ما بين الممثل والمشاهد، أو النفس والدور، وما بين دور وآخر. وذلك من خلال اكتشافه لدرجة الانفصال أو الاقتراب داخل هذه العلاقة، التي يحقق من خلالها المعالج أهدافه، والتي تتضمن إكساب المريض القدرة على التمييز ما بين الأدوار؛ للحصول على مزيد من السيطرة على دور ما، أو من أجل أن يحد من تسلط دور ما. بمعنى أدق أن يساعد المرضى على التفرقة بين السلوك المناسب لذواتهم والسلوك المناسب للآخرين. هذا بجانب مساعدة المريض على إيجاد التوازن المناسب بين المشاركة في الفعل الدرامي وملاحظة الفعل، بمعنى التوازن ما بين الذات كموضوع والذات كهدف .

2- الأساليب الإسقاطية

يساعد على وجود مفهوم المسافة أو البعد المسافي ما يعرف بالأساليب الإسقاطية، فعندما يلعب المريض بالدمى أو العرائس أو المجسمات، أو يرتدي قناعاً أو يضع «مكياج»

على وجهه، فإنه أولاً ينفصل بشكل واضح عن ذاته، ومع ذلك فإن الجانب غير الذاتي (القناع أو العروسة) يتعلق به بعض من خصائص الذات، التي يمكن ملاحظتها بسهولة من خلال الإسقاط .

فالقناع وغيره من الوسائل التي تساعد على تحقيق المسافة الدرامية هنا، يحقق أيضاً حداً من الأمان للمريض، يتحرك خلاله وكأنه ليس ذاته، لكن سرعان ما يبدأ في تمثيل ذاته وحياته، لكنها تكون هنا حياة العروسة أو الدمية، أو القناع، لكن باسم آخر، وفي موقف آخر، وهنا يسعى المعالج من خلال الأساليب الإسقاطية في تحقيق التوازن النفسي المناسب للمريض، ويخلق اللحظة الجدلية المناسبة للتفكير والانفعال، بين الفعل المتخيل والفعل المنعكس .

إن استخدام العرائس والدمى وغيرها من الأساليب الإسقاطية تساعد المعالج على استخدام الجدل المتبادل الذي يعتمد عليه تماماً الإبداع المسرحي : فالممثل على المسرح هو واقع وخيال في نفس الوقت، هو شخص وقناع، وهو موجود في فراغ مكون من غرفة حقيقية وسلسلة من المسطحات والستائر ذات البعدين، وهو يتعامل مع أشياء تبدو حقيقية، لكنها معدات مسرحية مزيفة. إن المفهوم الغامض بأن العروسة هي حقيقة وزيف في نفس الوقت هو عنصر المسافة أو البعد المسافي الضروري لوجود المواقف الدرامية العلاجية. ووظيفة المعالج هنا هي مساعدة الأطفال/ المرضى على زيادة أو تقليص هذه المسافة؛ من أجل أن يتحركوا تجاه الفهم والتغير .

والعلاقة التي وتشير إليها هنا بين العرض أو فن المسرح وفن العلاج بالدراما ليست علاقة جديدة أو مستغربة؛ لأن هناك تداخلاً بين هذين الفنين، فعلى المستوى الاصطلاحي غالباً ما يستخدم المعالج ورجل المسرح نفس اللغة، فالدور Role على سبيل المثال هو مصطلح مشترك، سواء إن كان يدل على مشهد أو شخصية في المسرح أو كعامل مساعد لتحديد الذات، كما يوظفه علماء النفس والاجتماع. هناك أيضاً مفهوم القناع Mask والذي عرفه المسرح من الطقوس العقائدية في المجتمعات القديمة، والذي يستخدمه المعالجون النفسيون لوصف الاختلاف في السلوك والأدوار استجابة لظروف اجتماعية معينة، وما مفهوم التشخيص الـ Persona عند يونج إلا مرادف للقناع .

هناك أيضاً التطهير Catharsis والذي اعتبره أرسطو الوظيفة الأساسية للمسرح، وكيف أثر هذا المفهوم على فرويد مؤسس التحليل النفسي ومورينو مؤسس السيكودراما .

كما تأثر علماء النفس بعديد من الإبداعات الفنية الدرامية، واعتبروها نماذج دقيقة لكثير من التركيبات النفسية البشرية وما يصيبها من اضطرابات نفسية أو اجتماعية، "ولدينا عقدة أوديب وأليكترا" التي أشار إليها فرويد استناداً إلى مسرحيتين يونانيتين، هما أوديب ملكاً وأليكترا .

ويقول أنطوان آرتو Antonin Artaud عن الدور التطهيري للمسرح : "إن المسرح يهدئ من الصراعات، ويفصل القوى المتصارعة داخل النفس .. ففعل المسرح مثل فعل الكوارث، يساعد الشخص أو الأشخاص على رؤية ومعرفة أنفسهم وذواتهم كما هي، فهو يساعد على سقوط الأقنعة، ويكشف الكذب والرياء الموجود في العالم" .

والمكاشفة هذه هي واحد من الأهداف التي يسعى إليها المسرحيون والمعالجون النفسيون مع الأهداف المعرفية والعيانية والاستبصار، والأهداف الوجدانية والاهتمام بالمشاعر، والتعبير بالسلوك عن المشاعر والانفعالات .

وأخيراً نجد أن عمل المعالج النفسي يشبه إلى حد كبير عمل المخرج المسرحي، فالمعالج النفسي يحاول مساعدة المريض على تجسيد حياته اليومية من خلال التذكر، وإعادة الأداء للأحداث والمواقف، حتى إن من يمارسون العلاج بالسيكودراما من المعالجين النفسيين يفضلون أن يلقبوا بالمخرج، ويستخدمون في أعمالهم تقنيات الارتجال ولعب الأدوار وبعض تقنيات إعداد الممثل .

ثالثاً : النصوص والمصادر المتنوعة للدراما

يعتمد العلاج بالدراما على ما يعرف بالموقف الدرامي الذي يقوم المعالج بإعداده مسرحياً Dramatization بعد أن يختاره من مصدره، في شكل موقف تمثيلي أو درامي، حتى يتيح للمريض فرصة المشاركة في أداء أو تجسيد هذه المواقف مستخدماً الصور الخارجية المحيطة به في الموقف الدرامي، والصور الداخلية التي يستحضرها من الذاكرة، ليستخرج بها ذلك الجانب المشكل في حياته، ووجوده، ويتعرف من خلالها أسباب

مشكلته. وقد تأخذ هذه الصور شكل شخصية ما، أو علاقة ما، أو أي شيء يكون قد أثر في واقع المريض. والذي يعبر عنها خلال أدائه بالحركة والصوت والمونولج الحواري. وقد يكون هذا الموقف مكتوباً أو معداً لممثل واحد أو لمجموعة من الممثلين .

وفي إعداد الموقف الدرامي للعلاج وفي استقرائه، يعتمد المعالج على العلاقة الزمنية للأحداث، فهي قد ترتبط بزمن ماضٍ في حياة المريض، ويتم استخراجه من خلال التكرار وإعادة التمثيل؛ لتحقيق الفهم الأعمق له، فقد يساعد ذلك على المعرفة والفهم اللازمين لتجاوز الأزمة، أو قد يكون مرتبطاً بحدث قد يتوقع حدوثه في مستقبل حياة المريض، ويتم إعداده لإحداث تغير في موقف أساليب المريض؛ لينجح في التعامل مع مثل هذه المواقف مستقبلاً، أو يكون ذا حدث مرتبط باللحظة الحاضرة للمريض. وعموماً فإن معظم المواقف الدرامية تتداخل فيها الأزمنة، بمعنى إن كان الزمن يدور في الماضي فهو يلقي بظلال على الحاضر، ويرهص للمستقبل، وهكذا .

أما عن مصادر هذه المواقف فتتنوع تبعاً لأسلوب المعالج، والأمر يشبه إلى حد كبير المصادر التي يكتب منها للمسرح. فهناك من يفضل التعامل مع مواقف من واقع المريض، ويعدها درامياً في بناء من مشاهد وحوار وشخصيات، وهناك من يلجأ إلى الأساطير العالمية والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية، ينتقي منها ما يتشابه في رموزه مع الحالة المرضية التي يسعى لعلاجها، كما فعل البعض عند علاج حالة من الشعور بالدونية والعزلة لدى بعض الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، الذين يتحركون على كراسٍ بعجلات، وكانت حكاية "البطة القبيحة" المعروفة هي المناسبة برموزها؛ لإكساب الأطفال الثقة بالنفس بعد إعدادها وتمثيلها كموقف درامي علاجي. وهناك من يستخدمون نصوصاً مسرحية معروفة من الأدب العالمي، يختارون منها أجزاءً ومواقف درامية تصلح من وجهة نظرهم للعلاج بالدراما. وأياً كان المصدر، فإن الرمز كما قال جيرزي Gersie هو العامل الحاسم للاختيار، حيث قال : "لا بد من وجود الترميز أو الرموز التي تتشابه مع واقع المريض، فإن التعامل مع هذه الرموز الدرامية يكون بمثابة المثير الذي ينبه ويوقظ ذاكرة وخيال المريض، ومن هذا المنطلق يمكن اختيار تلك القصص التي تساعد المعالج على اكتشاف تلك الميكانيزمات التي يمكن أن يستجيب بها المريض للضغوط المختلفة، كما يرمز إليها الموقف الدرامي الذي يشارك فيه .

هناك أيضاً من يلجئون إلى أسلوب البناء القصصي أو الإبداع القصصي Story Making كأسلوب علاجي. فعندما يتعرض المريض لبعض العناصر المجزأة والتي يمكن أن يبني منها قصة ما، أو موقفاً درامياً، كعناصر من حكايات الخوارق أو الأساطير، ثم يطلب منه أن يجمع هذه العناصر، ويبني منها قصة أو موقفاً درامياً يحاول سرده ارتجالاً بأسلوبه، فإنه عند إعادة تجميع هذه العناصر سيسقط عليها كثيراً من وقائع حياته الشخصية ووجهات نظره وانفعالاته، والتي تكون نتيجة لإثارته بعدد من الرموز كما قال جيرزي : "الأرض الفضاء، القصر المهجور، الشخصيات الرئيسية، الشخصيات المساعدة، المعوقات، الحلول التي يلجأ إليها الطفل" .

في نفس المعنى نجد Lohed يعتمد في الحكايات والقصص التي يختارها على عناصر من الشخصيات صاحبة الهدف أو الواجب الذي تسعى لتحقيقه، والشخصيات المساعدة، والمعوقات التي تعيق البطل عن تحقيق هذه الأهداف، والاستراتيجيات المشابهة التي تتبعها الشخصيات، والحلول المناسبة لتحقيق هذه الأهداف. وبعد عرض العناصر المختارة على المرضى، يطلب من المريض إعادة صياغتها في قصة ما، ويعبر عنها، إما بالرسم أو الأداء التمثيلي، أو بإعادة روايتها في قصة .

أثناء ذلك يتعامل المعالج الذي يستمع إلى القصة أو يشاهد الأداء التمثيلي مع هذا الإبداع التعبيري Creative Expression بمستويات متعددة لكل منها معنى ودلالة تشخيصية، فهناك مستوى النغمة التي تحكى بها القصة، والمحتوى، والفكرة والأسلوب الذي يتبعه البطل للوصول إلى الحل. ويؤكد التعامل مع هذه المواقف الدرامية - أياً كان مصدرها - على مفهوم الدور الذي أشير إليه من قبل، والذي يتلخص في أن الإنسان يلعب في حياته عدداً من الأدوار، والتي يحاول المعالج أن يتعرفها مع المريض في جلسات العلاج؛ من أجل معرفة المريض بالمزيد من هذه الأدوار؛ حتى لا يرتبط أو يلتصق بدور واحد، أو بعدد محدد من الأدوار، فالهدف الأساسي من العلاج بالدراما - كما سبق القول- هو إكساب المريض المرونة والقدرة على التحرك من دور لآخر، تبعاً للموقف الاجتماعي الذي يصادفه وبشكل سوي .

رابعاً : الدراما الشعبية والطقوس

تماماً كما جاء المسرح من عباءة الدراما الشعبية والطقوس العقائدية في المجتمعات القديمة، لم يستطع العلاج بالدراما أن ينجو من أثر هذه الأساليب الشعبية، أو يحد من الارتباط بقدراتها العلاجية، بل وجد فيها الكثير من المنابع والمصادر التي تساعد المعالج الدرامي على تحقيق أهدافه. ومن أهم هذه العناصر ذات الدراما الشعبية :

1- الكهانة والعلاج بالأرواح والسحر .

2- استخدام الأقنعة والعرائس، والتوسل باللون والمكياج .

فكيف يوظف المعالج الدرامي هذه العناصر القديمة في الفن الحديث ؟

الكهانة والعلاج بالأرواح والسحر Shamanism

وهي واحدة من أهم الممارسات الشعبية ذات الجذور الدرامية التي يحاول المعالجون بالدراما اليوم توظيفها في مجالهم، والكهان أو الشامان Shaman أو المعالجون بالأرواح والسحر هم رجال أو نساء كانوا ينتمون إلى الجماعات القبلية القديمة، كقبائل الأمازون، والغابات الاستوائية وسيبريا، وأمريكا الشمالية، والذين كانوا يتوسلون بالقوى السحرية، وبالمعرفة الخاصة بالنباتات والأعشاب، والحيوانات الموجودة ببيئاتهم في العلاج، كما كان في مقدورهم الاتصال المباشر بأرواح السابقين أو أرواح الحيوانات من خلال استخدام بعض الممارسات الطقسية والنباتات ذات التأثير النفسي .

كان للمخرج البولندي جروتوفسكي الفضل في اكتشاف هذا الدور، حيث بدأ في تدريب الممثل في ورشته على اعتبار أنه ساحر القبيلة الذي يستخدم الطقوس المختلفة لعلاج كثير من الاضطرابات والانفعالات داخل الفرد أو داخل الجماعة. فالكاهن/ الممثل لدى جروتوفسكي قادر على إرشاد هؤلاء الذي يشاهدون أو يشاركون في العمل الذي يعتبر بالنسبة إليهم شيئاً مجهولاً. واعتمد في ذلك على أن الكهانة والعلاج بالأرواح هي عبارة عن رحلة استكشافية للأبعاد المجهولة عن الواقع، من أجل الحصول على المعرفة. ومثل هذه الرحلة قد تكون غامضة على الفهم أو مخيفة أو حتى مضحكة، وعادة ما يتم مصاحبتها بالطبول والموسيقى .

وكما تأثر جروتوفسكي بالممارسات العقائدية المتبقية من الثقافات الهندية والإفريقية، وبين المواطنين الأمريكان، ربط سو يوننج (1992) بين دور الكاهن/ المعالج والدور الذي كان للمعالج الشعبي في عديد من الثقافات، وأكد أنهما كانا متحدين أو مشاركين في نفس الهدف، فالكاهن المعالج كان يسعى إلى إحداث تحول من خلال الجلسات التي تحضر فيها الأرواح، بتبادله الأدوار مع المريض؛ من أجل المعرفة المبنية على الاستدلال الرمزي للمرض وجذوره .

أما Reed Johnson (1992) فيقول : "يجب على المعالج الدرامي أن يكون مقتنعاً بدور الشامان" والذي كما يقول : هو أوثق الأدوار تعاطفاً لعلاقة الدور ما بين المعالج والمريض. حيث يقوم المعالج/ الكاهن بتمثيل كافة الأدوار والصور المختلفة في الدراما، بينما يقف المريض يشاهد كمتفرج. وإن كان بعض المعالجين قد تبرعوا من مثل هذا التطور؛ لأنهم يعتقدون أنه من غير المناسب أن يلعب المعالج دور الممثل والمريض دور المشاهد؛ لأن هذه العلاقة الغريبة – من وجهة نظرهم – تحتاج إلى تعمق المريض في حالته، باعتبارها محور التدخل العلاجي، ومع ذلك فإن هذا المجال الجديد من العلاج بالطقوس ما زال أمامه المزيد من مراحل التطور .

3- استخدام الأقنعة والعرائس والمكياج

ويرتبط استخدام هذه الوسائل بمفهوم التقنيات الإسقاطية، وهي مستوحاة من الدراما الشعبية، حيث كان الممثل يرتدي القناع، أو يستخدم العرائس؛ لينفصل عن شخصيته، ويلعب دور الشخصية صاحبة القناع أو العروسة التي يحركها، ومن ثم من خلال المسافة الموجودة ما بين الممثل والشخصية يمكن للممثل أن يكون أكثر تحرراً في التعبير عن ذاته، خاصة إن كان الارتجال هو السمة الغالبة على الأداء. وهذا المفهوم قريب من مفهوم التغريب البريختي، والذي يقصد به اغتراب الممثل عن دوره، وانفصال المشاهد عن ذاته؛ ليفكر فيما يشاهده .

وهكذا الحال مع المريض الذي يرتدي القناع في جلسات العلاج، فإنه يتحول إلى الشخصية التي يرمز إليها القناع بكل رموزها، ويعبر عن خبراتها من وجهة نظره. ومن

إدراك المريض للقيم والدلالات التي لشخصية القناع، يبدأ في تعرف الخصائص الإيجابية التي قد تتحول إلى جزء من ذاته .

هذه بعض ملامح العلاج بالدراما، وإن كان الكلام عن هذا الموضوع يحتاج إلى كثير من الجهد، لكني آثرت أن أقدم بعض ما يفتح شهية من يريد أن يعرف، فالمعرفة لها طقوسها، ولها رحلتها بعيداً عن أبعاد الواقع القاصر عن المعرفة .

لكن، وكجانب تطبيقي أخير في هذه المقدمة، سوف أحاول التعرض للمقارنة بين العلاج بالدراما والسيكودراما، الأول بوصفه الحديث في عالم العلاج النفسي، والثاني بوصفه الشقيق الأكبر والأقدم والأكثر شيوعاً في عالمنا العربي. ولعلنا بهذه المقارنة نكون قد استوفينا هذه المقدمة .

العلاج بالدراما والسيكودراما .. أوجه التشابه والاختلافات

ما الفرق بين العلاج بالدراما Drama Therapy والسيكودراما Psycho Drama ؟ سؤال كثيراً ما يدور في ذهن من يحاول العمل في أي من المجالين. حيث إن المجالين قد يثيران بادئ الأمر الكثير من الاضطراب والتشويش الفكري تجاههما. ذلك أن هناك عناصر مشتركة بينهما، هي التي قد تثير كل هذا الاضطراب نحو اختلافهما أو تشابههما. ويفضل لدراسة عوامل الاختلاف والتشابه أن نبدأ بتلك الأسس الدرامية المشتركة بين العلاج بالدراما والسيكودراما، في محاولة لتعرف مصدر التشابه بينهما قبل أن نتعرض للاختلافات .

عوامل التشابه

إن أكثر الجوانب تشابهاً بين العلاج بالدراما والسيكودراما يتركز حول دور الدراما في أسلوب كل منهما. فلو نظرنا لتعريف العلاج بالدراما كما وضعته الجمعية البريطانية للعلاج الدرامي والذي يقول : "إن العلاج بالدراما هو استخدام ذو هدف لكل من الدراما والمسرح وما يرتبط بهما من تقنيات؛ من أجل تحقيق أهداف علاجية تؤدي إلى إزاحة الأعراض (النفسية والاجتماعية)، وخلق تكامل في النمو الانفعالي، والفيزيقي، والشخصي"

(Barohum 1992)، أما بالنسبة إلى السيكودراما، فنجد أن ج.ل مورنيو (J.L. More-no) مؤسس السيكودراما يصفها بأنها أسلوب علمي يكتشف "الحقيقة بأساليب درامية، وأن هذا الأسلوب يرتبط ويتعامل مع العلاقات الشخصية الداخلية، والعوالم الخاصة للمرض" Moreno 1953-Quated in Halmen .

من التعريفيين السابقين، نلاحظ ارتباط كل من الأسلوبين بالدراما، فكل من يشارك في إجراءات العلاج بالدراما أو السيكودراما، لا بد أن يتوقع وجود عناصر من الاستعارات الدرامية Dramatic Idiom أثناء الممارسة، بجانب ما يمكن استخدامه من العناصر الدرامية الإبداعية التي تساعد على إكساب العملية العلاجية شكلها المميز ودوافعها، والتي يستخدم فيها كل من المعالج والمريض Client تلك المنابع الداخلية الإبداعية في العملية العلاجية، التي تعتمد على الاندماج في أداء الفعل الدرامي، والواقع الدرامي الذي يعتبر جزءاً من الفعل الذي يبدعه ويشارك في تجسيده المرضى. معنى ذلك أن كلاً من الأسلوبين يفيد مع تقنيات الأداء والاندماج في الفعل الدرامي، بخلاف ما يتم في العلاج النفسي الفرويدي، والذي يعتمد على التواصل اللفظي دون أي فعلي .

ويمكن تلخيص ما تقوم به الدراما بالنسبة إلى كل من الأسلوبين في النقاط التالية :

الدراما والجسد : التعبير الدرامي من خلال الجسد .

الفراغ المسرحي .

الدراما والحلم .

الدراما والدور .

الدراما والجسد

عندما يعبر الإنسان عن الفعل الدرامي بالحركة، فإنه وإن كان يعبر من خلال مستوى فيزيقي، فإن التعبير الفيزيقي من خلال حركة الجسد ينشأ نتيجة لقوة كبيرة من العالم الداخلي للفرد. فهناك ارتباط وثيق بين الجسد والأحاسيس والانفعالات والحالة العقلية، والتعبير الفيزيقي هنا يكون مدخلاً سهلاً لتعرف الانفعالات والعالم الداخلي للفرد .

والعلاقة بين الجسد والحالة النفسية تشكل ركناً هاماً في تدريب وأداء الممثلين الذين

يتعلمون كيفية تحقيق المرونة الفيزيقية والصوتية؛ حتى يكون أداؤهم الدرامي ذا تأثير كبير. وبدون هذه المهارة والتدريب عليها تظل قدرات الممثل التعبيرية محدودة. وقد ينتهي به الأمر بأن يعبر في كل دور عن شخصيته هو، وهذا بالضبط ما يتم مع المريض الذي لا بد له من المشاركة الجسدية في الأداء، من خلال التعبير الكامل في المواقف، التي اعتادها وتجاوزها دون أن يقوم بالتعبير في أدوار جديدة وبديلة لأداء تعبيراته الذاتية .

هناك أيضاً ارتباط ما بين الجسد واللاشعور، وقد وضعته عالمة النفس Joyce Mcdougel في عنوانه الدال "مسرح الجسد" (1989) حيث قالت : "إن الأعراض أو المظاهر الجسدية (الفيزيقية) تعكس نفسها باعتبارها تواصلاً مع الألم الداخلي، ونفس الشيء في السيكودراما، فبعض الأعراض الفيزيقية التي تظهر في ممارسة السيكودراما من خلال الفعل قد تكون المدخل لسلسلة من الدلالات التي بالذاكرة التي تشير إلى أسباب الاضطرابات التي يصادفها المريض، وهذا ما يتم في كل من العلاج بالدراما والسيكودراما، حيث يعملان من خلال الخبرات والممارسات الفيزيقية على تصعيد الانفعالات وخبايا اللاشعور إلى المسرح العلاجي .

استخدام الفراغ في المسرح والعلاج

Therapeutic Space & Theatrical Stage

إن الفراغ أو المساحة العلاجية تقارن بشكل أو بآخر بالفراغ (خشبة) المسرح. ويقصد به ذلك الفراغ أو المساحة التي يمكن خلالها تقبل الوهم illusion التمثيل، حيث تجسد الخبرات المختلفة عن طريق الأداء في أبعاد ثلاثة، فعندما نذهب إلى المسرح، نتقبل راضين الفعل الذي نشاهده على خشبة المسرح باعتباره واقعاً خاصاً مختلفاً عن واقع ذات الفعل في الحقيقة. وقد وصف الناقد الإنجليزي كولريدج هذه العملية بوصفها "إرجاء مؤقت للشك". فعندما تخفت الإضاءة عند بدء العرض فإن المشاهدين يتقبلون الدعوة لإرجاء الشك بنفس الطريقة التي يلجأ إليها الطفل عندما يسمع "كان يا ما كان في سالف العصر والأوان" أو "دعنا نتوهم". خاصة لو علمنا أن كلمة مسرحية (Play) تستخدم للإشارة لكل من الإنتاج المسرحي والأنشطة الإبداعية ذات الخصائص الدرامية أو الإيهامية التي يقوم بها الأطفال .

وفي سياق العلاج بالدراما أو السيكودراما، فإن المرضى يدفعون لاستخدام عوالم الذاكرة، والخيال والأساطير في العلاج، ويحاولون تجسيد أشياء عديدة من خلال الطفل، كل هذا وتحت مظلة الأمان التي تحققها الأساليب العلاجية، وفي وجود الفراغ الدرامي، ويسمح لهم سياق التوهم التمثيلي هنا بحرية أكثر للتعبير والتفسير .

ويمكن تفسير الكيفية الخاصة التي ينقل بها الواقع على خشبه المسرح، أو في السيكودراما، أو في العلاج بالدراما، بتفسير مشتق عن الأنثروبولوجي وطقوس العبور، وهو تعبير الانتقال الموجود بين مرحلة وأخرى في حياة الفرد. هناك أيضاً مفهوم آخر يرتبط بهذه الظاهرة مشتق من كتابات "Transitional Space" D.W. Winicltt وهو ما يعرف (بالظاهرات المعبرية أو المساحة المعبرية) (الفراغ الانتقالي) وهو الفراغ الذي يتم فيه الأداء التمثيلي، وهو فراغ يتوسط ما بين الواقع الداخلي والواقع الخارجي للطفل، وهو يلعب دوراً كبيراً بالنسبة إلى الطفل وموضوعاته الانتقالية "Transitional - objects " والتي تكون عادة "دميته اللعبة" والتي تسمح بوجودها على مستوى واقعي، إلى حد ما بين "أنا" ولست "أنا"، فتضع جسراً بين الذاتية والموضوعية. فالموضوع موجود في العالم الخارجي بشكل عياني، لكنه ينتقل ويتحول إلى موضوع داخلي له دلالاته ورموزه المرتبطة بالعالم الداخلي للطفل. وهذه الكيفية تمثل قوة تحول وانتقال تطوري Tremendously. نفس الشيء يوجد في كل من العلاج بالدراما والسيكودراما، فهناك فراغ علاجي "انتقالي" يعمل كجسر بين العالمين الداخلي والخارجي، ويرتبط بقوة بما يعرف بالمجاز الدرامي (Idiom) وبخبرة التمثيل، والموافقة على أن التمثيل يمكن أن يساعد على مزيد من الإيضاح ويغير من البالغ، كما يغير اللعب من الطفل .

الدراما والحلم

من خلال خبرات الأحلام أصبحت دراما العالم الداخلي مألوفة لنا. وقد أطلق فرويد على الأحلام "الطريق الملكي للاشعور"؛ ذلك لأن الأحلام لا تخاطبنا عن طريق الكلمات فقط، بل تتواصل من خلال انطباع درامي أيضاً، ففي الحلم نجد عديداً من العناصر الدرامية كالقصة، والموقع، والحبكة والمشاهد وتغير المشاهد، والعلاقات الخاصة،

والشخصيات، والحوار. وتشارك كل تلك العناصر في التعبير عن معاني الحلم، حتى في أحلام اليقظة والتي هي أكثر قرباً (للعقل الواعي) فإن النفس تلجأ إلى الحوار الدرامي والخيال؛ لتفسير ديناميات الصراع. هذه العملية تتم بشكل طبيعي ومألوف لنا جميعاً. لنفس العناصر يلجأ المعالج بالسيكودراما أو بالدراما؛ لتفسير الجوانب الشعورية واللاشعورية على السواء، فالقصص ذات الجذور الخيالية التي ترتبط بالذاكرة يمكن استخدامها لتشارك في الدراما، وإن كان كل من الأسلوبين يعتمد على الدراما كوسيلة للتواصل واكتشاف الاهتمامات الداخلية للفرد، إلا أن الأسلوب في كل منهما مختلف .

الدراما والدور

يأخذ مفهوم الدور مكاناً هاماً في العلاج بالدراما والسيكودراما. وقد عرف مورينو الدور بأنه "الشكل الفعلي والملموس الذي تتخذه النفس" أو بأنه "الشكل الوظيفي الذي يتحكم في سلوك الفرد في لحظة معينة حين يتفاعل مع موقف معين يتضمن أشخاصاً وموضوعات أخرى" (مورينو 1961) .

ومفهوم الدور هو مفهوم درامي أصلاً. وقد طبقه مورينو على أفعال الحياة منذ لحظة الميلاد. وقد صنف الأدوار إلى :

الأدوار السيكوسوماتية : وهي التي ترتبط بالأسلوب الذي يؤدي به الفرد على مستوى فيزيقي .

الأدوار الاجتماعية : وهي التي تصف الفرد في علاقاته بالآخرين .

الأدوار السيكودرامية : وهي التي توجد كصور خيالات داخلية في علاقاتها بالآخرين، وهي التي تصبغ تفاعلاتنا الحقيقية أو تبعاً لسياق أو لخصوصيات معينة، أو تبعاً لبعض عادات الفرد .

كما أن بعض الأدوار قد تميل إلى التطور على حساب أدوار أخرى أقل في النمو، كما أن بعض الأدوار قد تصبح ثابتة، وقد تخوننا في بعض المواقف، وفي مواقف أخرى قد تكون غير موظفة وتسبب المشاكل. كل هذا يمكن مصادفته خلال العلاج بالدراما أو السيكودراما، كما يمكن تشخيص عديد من الأدوار غير المألوفة خارج أو داخل الفراغ

العلاجي. وبتطور الأدوار وتكرارها يكون أمام الفرد الحرية في الاختيار من بينها في كل لحظة. وهنا يأتي دور التلقائية في اختيار الدور، والتي تشكل مفتاحاً أساسياً في العلاج بالسيكودراما. والتلقائية Spontantity مشتقة من اللفظ اللاتيني (Sponte) وتعني الحرية التامة (Free Will)، ولا يعني الفعل التلقائي الفعل خارج الضبط (التحكم) أو الذي يفتقر إلى الحدود المناسبة. إنها القوة التي تدفع الفرد تجاه الاستجابة المناسبة لموقف جديد أو الاستجابة لموقف قديم (مورينو 953). وتعرف السيكودراما نفسها وتحديداً بتطور التلقائية بهذا المفهوم، وهو المفهوم المحوري في العلاج بالدراما أيضاً .

هذه بعض أوجه التشابه الأساسية بين الأسلوبين. وسوف نحاول النظر إلى الاختلاف بينهما .

الاختلافات

هناك نقطتان أساسيتان لفهم الاختلاف بين العلاج بالدراما والسيكودراما، الأول الذي يتخذه كل منهما كعلاج جماعي، وخصوصية وبناء تقنيات العلاج، والثاني المحاولات العلاجية داخل السيكودراما ومقارنتها بالمدى الواسع الرحب للعلاج بالدراما .

1 – العلاج بالدراما والسيكودراما كعلاج جماعي

يعتبر البطل هو محور العلاج الجماعي داخل الجماعة في السيكودراما، وبمجرد أن يتم تحديد هذا الشخص، الذي يعرف بـ (Protagonist) يتم توزيع الأدوار الثانوية على المجموعة، والذين تكون أدوارهم إلى حد كبير انعكاساً لعالم البطل الداخلي. أما في العلاج بالدراما، وإن كان التركيز قد يكون على فرد واحد طوال الفترة المخصصة للعلاج. لكن يفضل في أكثر الأحيان أن يوزع التركيز بحرية حول كل المجموعة .

هذا الاختلاف يمكن فهمه بشكل أكثر وضوحاً لو حاولنا أن نفهم أولاً المقصود بمفهوم السياق الجمعي (الجماعي) Group Matrix ويقصد به الحالة التي تكون عليها الجماعة، وهذا المفهوم الذي وضعه S.H Faulks في سياق التحليل النفسي للجماعة قد ييسر من توضيح الاختلاف. يقول Faulks : نعني بلفظة Matrix (السياق – الحالة)

شبكة العلاقات النفسية والتي تشكل الخاصية العقلية المميزة للجماعة، وليس بين أفرادها فقط، ولكن عبر الأفراد. وكلما تطورت الحالة إلى شبكة من العلاقات الأكثر تداخلاً، تطور من جهة أخرى تحديد الأفراد لأنفسهم ودخولهم علاقات أكثر دينامية" (Faulk 1990) .

في التحليل النفسي الجماعي تتعمق الحالة النفسية داخل الجماعة من خلال المناقشات المتنوعة والحرة، وأياً كان شكل التواصل داخل الجماعة، فإنه يشكل صدى ينعكس على كل أفزاد الجماعة متضمناً قائدها The Group Conductor ، وتصبح الأفكار أكثر وضوحاً وفاعلية من خلال التواصل اللفظي .

يوجد هذا السياق أو الحالة حيث يوجد الاهتمام العام للجماعة في أي لحظة، سواء أكانت جماعة تحليل نفسي أم جماعة العلاج بالدراما أو السيكودراما .

فأفراد الجماعة ترتبط وتبدع سياقها من خلال تواجدها في لحظة حاضرة آنية، اعتماداً على مفردات من (مواقف) من الظروف الماضية أو الأدوار العادية. وفي سياق العلاج بالدراما يقترح المعالج هذه المواقف وترتيب الجماعة بها، ومن خلال ذلك تفجير الحالة بواسطة تفاعل كل الأفراد .

أما في السيكودراما، فيجب أن يستثار اهتمام الجماعة عن طريق المواقف والموضوعات التي يختارها البطل أو الشخصية الرئيسية، والتي تجذب إليها اهتمامات الجماعة ككل .

2- تركيب وبناء التقنيات

إن الاختلاف الرئيسي في التقنيات بين العلاج بالدراما والسيكودراما ينبع من الحقيقة التاريخية أن السيكودراما صدرت عن رجل واحد، هو مورينو Mareno ، مع بعض التطورات التي قامت بها زوجته Zerka Mareno ، لذلك فإن السيكودراما الكلاسيكية ما زالت مستمرة كما هي، وإن أصبحت مرجعاً رئيسياً لعديد من التنويعات، مثل السيكودراما الاستراتيجية، والسيكودراما التحليلية .. إلخ .

أما العلاج بالدراما، المقابل، فقد يعود إلى تنويعات من الاستخدام والتوظيف لكثير من التقاليد الدرامية والمسرحية، مثل : الطقوس ورواية القصة، اللعب الدرامي، وأعمال

عدة من تدريبات الممثل تبعاً لنفع المدارس والمناهج المتبعة، الأمر الذي يكسب العلاج بالدراما تنوعاً وثراء في التطبيق، ومن ثم في تحقيق أهدافه. بمعنى أنه وإن كانت السيكودراما محدودة في تقنياتها، فالعلاج بالدراما أرحب وأكثر في وسائله .

هذا هو العلاج بالدراما. ومن يحتاج لمزيد من المعرفة فقائمة القراءات التالية والمراجع قد تكون خير عون له .

المراجع

1- Jenninger, Sue (1994). Drama Therapy, Theory and Practices, Routledge, London.
2- Drama Therapy with Families, (1992). Jessica Kingsley Publ. London.
3- Handbook of Drama Therapy, (1995). Routledge, London.
4- Mitchell, Steve. (1996). Drama Therapy, Clincal Studies, (Jessica Kingsley, London.
5- Mcleod, John. (1997) Narrative and Psychotherapy, SAGE Puge. London.
6- Landy, J., Robert (1996), Essay in Drama Therapy, Jessica Kingsley Publ., London.
7- Carroll, Jeo (1998). Introduction To Theraphetic Play, Blackwell Science.
8- Drama Therapy, Journal of the British Association of Drama Therapist.

اضطراب قصور الانتباه / النشاط الزائد

Attention Deficit- Hyperactivity Disorder (ADHD)

د . عبد الله صالح عبد العزيز الرويتع ✪

مقدمة

تؤثر كثير من الاضطرابات على التحصيل الدراسي والتكيف الأسري لدى الطفل والمراهق . ومن تلك الاضطرابات ، التي تصل في تأثيرها إلى مرحلة الراشد ، اضطراب قصور الانتباه والنشاط الزائد أو المفرط Attention Deficit-Hyperactivity Disorder (ADHD) . وقد كان وما زال من الاضطرابات التي حظيت باهتمام كثير من الباحثين؛ وذلك لامتداد تأثيره لمجالات واسعة : أكاديمية واجتماعية ومهنية . وكذلك لسعة انتشاره وتعدد أعراضه وتغيرها مع السن ، وعلاقة هذا الاضطراب باضطرابات أخرى، مثل : اضطراب المسلك conduct disorder واضطرابات القلق anxiety disorders والوجدان (أو المزاج) mood disorders ويبدو أن كثيراً من المشاكل التي يواجهها المرشدون في المدارس على اختلاف مراحلها التعليمية ناتجة بشكل كبير من هذا الاضطراب غير المعروف لهم وللوالدين والمدرسين . وبالرغم مما تقدم ، فإن هذا الاضطراب لم يحظَ بأي اهتمام في البيئة العربية ، بل حتى لم يتم التطرق له على حد علم الباحث ، ولم يكن موضوع دراسة أو بحث، سواء من قبل الباحثين أو طلاب الدراسات العليا، كموضوع للرسالة العلمية . وللتعريف بهذا الاضطراب وانعكاساته المختلفة سيتم

✪ أستاذ علم النفس المساعد قسم علم النفس – كلية التربية – جامعة الملك سعود – الرياض .

التطرق هنا لأعراضه ، وأهم المحكات التشخيصية ، والمظاهر المصاحبة ، وعلاجه من واقع ما هو موجود في التراث ، بالإضافة إلى ما تمت مشاهدته من حالات . وسيلاحظ ، من خلال استعراض تلك المحاور ، كم الدراسات الموجودة في التراث، والذي يعكس ، في أحد مضامينه ، أهمية الموضوع انتشاراً وتأثيراً والأسئلة التي تحتاج إلى إجابة ..

الأعراض والخصائص العامة

تتعدد أعراض ومظاهر اضطراب الانتباه / النشاط الزائد، ولكن السمة الرئيسية كما يوضحها الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع المعدل Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders - DSM-IV-RT, 2000 والدراسات العديدة جداً في التراث ، تدور حول قصور في الانتباه و/ أو نشاط زائد واندفاعية، مقارنة بمظاهر النمو في المرحلة العمرية المعنية . وهذا يعكس الأنواع الفرعية كما سيتم لاحقاً.

فيما يخص "قصور" أو"عجز" الانتباه attention deficit فإن مظاهره تتباين باختلاف المرحلة العمرية لهذا الاضطراب الذي يظهر في الطفولة، وقد يمتد إلى الرشد أو يستمر مدى الحياة . مشكلة الانتباه تكمن في صعوبة الاحتفاظ به وإبقائه لمدة ولو قصيرة؛ أي أن مدى الانتباه قصير short attention span ، حيث يشعر الفرد (طفلاً أو مراهقاً أو راشداً) وكأنه يصارع للاحتفاظ بتركيزه وانتباهه مع عدم مقدرته . بالإضافة إلى ذلك، فإن محاولة الانتباه لأداء أي مهمة تكون مؤلمة ومنفرة وغير سارة ، مما يعني من ثم تجنب أي مهمة تتطلب الانتباه . كما يظهر هذا القصور في سهولة التشتت distractibility حيث يمكن أن يشتت الفرد (طفلاً أو مراهقاً أو راشداً) لأي مثير آخر، حتى ولو كان ضوضاء بسيطة . هذا القصور في الانتباه – على يسر تحديده – ينعكس على أداء الفرد في جميع المجالات : أكاديمية واجتماعية ومهنية . على سبيل المثال ، يتصف أداء الفرد بالفوضوية وعدم التنظيم (مكانياً وزمانياً) وارتكاب الأخطاء والتي قد تتصف باللامبالاة والإهمال، سواء في العمل، أو المدرسة، أو في المهام اليومية . كما يتصف بعدم إكمال المهام المطلوبة منه : الانتقال من مهام (واجبات مدرسية أو حياتية يومية) أو ألعاب إلى مهام أو ألعاب أخرى. تجنب المهام التي تتطلب الانتباه والتركيز . كما يظهر الفرد أحياناً وكأن " عقله" في مكان آخر، أو أنه لا يسمع أو يتابع ما يجري حوله . يظهر هذا القصور

– كما سلف – في أي مهمة تتطلب الانتباه والتركيز حتى ولو كانت مهمة بسيطة بالنسبة إلى البعض. الجدير بالذكر أن مظاهر هذا القصور تظهر في المواقف التي تتطلب الانتباه والتركيز ومعالجة المعلومات مع افتقار للجاذبية والمتعة . فالأعراض تقل حدتها بشكل كبير في مواقف أخرى، مثل : قصور الانتباه والتململ في المواقف الجديدة ، والمواقف التي يكون التعزيز بتكرار عالٍ أو فوري ، والمواقف التي يكون التفاعل مفرداً حديثاً أو تدريساً، مثل الدروس الخصوصية. ويحصل العكس من حيث زيادة حدة الأعراض في المواقف الجماعية : لعباً أو دراسة ، والمهام المتكررة يومياً والروتينية، مثل : عمل واجبات مدرسية، الانتباه للمدرس أثناء الشرح . والجدير بالذكر أن مصطلح الانتباه attention لا يعني الانتباه القصير المدى أو بمعنى "فطن"، إنما يعني الانتباه المستمر أو القدرة على التركيز على مثير ما في البيئة، مع عزل المثيرات الأخرى . لذا فهي عملية "انتقاء " مع استمرارية، وليست كما تعني في اللغة العربية على الأقل في أحد مضامينها أنها عملية قصيرة وعميقة فيما يتعلق بالنشاط الزائد. تتباين صور هذا الجانب حسب المرحلة العمرية من نشاط حركي واضح إلى تململ . بشكل عام ، يظهر في الطفولة كحركة دائبة غير هادفة، بحيث ينتقل من موضوع أو مكان إلى آخر، وكأن هناك من يدفعه نحو الحركة غير الهادفة التي لا يصاحبها كلل. وإذا ما جلس فإنه يحرك، إما القدمين بضربهما في الأرض، أو اليدين بتحريكهما في أي اتجاه. ويجب ملاحظة أنه مع التقدم في العمر نحو المراهقة والرشد تكون الأعراض في هذا الجانب أكثر تخفياً، حيث تتجسد لا في حركة أو نشاط ظاهر، بل – غالباً – في تململ وملل وصعوبة في البقاء ساكناً فترة طويلة. ينعكس هذا النشاط الزائد على مجالات عديدة . على سبيل المثال، في الجانب الأكاديمي، لا يبقى الطالب هادئاً لفترة ، حتى ولو كانت قصيرة مقارنة بزملائه . فقد يبدأ في محادثة زميل مع التململ ، أو ضرب القدمين بالأرض أو النقر باليدين على الطاولة، أو النظر من النافذة كثيراً. في المنزل (إن كان طفلاً أو مراهقاً) قد لا يجلس للأكل بهدوء ، أو أمام التليفزيون ، أو متابعة برنامج ما إلا إذا كان ممتعاً بالنسبة إليه .

أما فيما يخص الاندفاعية ، فتظهر في سرعة الاستجابة وعدم المقدرة على تأجيلها وكفها والتحكم فيها. فعلى سبيل المثال ، قد تظهر الاندفاعية في الإقدام على سلوكيات خطيرة، ومن ثم التعرض لكثير من الحوادث. كما قد تظهر في شكل استعجال وعدم تأنٍ،

ومقاطعة الآخرين في الحديث وعدم التروي فيه ، والقيادة بتهور، والبحث عن استثارة، والانجذاب للتعزيز الفوري .

(see Amen, 2001; Barkley, 1998; Frick et al and Lahey, 1998; Sagvolden & Sergeant, 1999, Wender, 2000).

ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن الأعراض السالفة (في كل الأبعاد) تتباين في أشكالها وصورها من فرد إلى آخر، مع تباين في الحدة ؛ بحيث تكون واضحة جداً في الحالات الحادة ، وأقل وضوحاً في الحالات المتوسطة والأقل منها .

ويرى البعض أن كل تلك المظاهر بأبعادها الفرعية الرئيسية نتاج عامل سلوكي : انخفاض منحنى التعزيز (Sagvolden, 1998) a shorter delay-of-reinforcement-gradient أو عامل نفسي – عصبي – معرفي (Barkley, 1997)

الأنواع الفرعية ومحكاتها التشخيصية

كما سلف يظهر هذا الاضطراب على ثلاثة أبعاد: قصور الانتباه ، والنشاط الزائد، والاندفاعية. والأقسام الفرعية لا تخرج عن هذه الأبعاد كما وضحها الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع المعدل (DSM-IV-TR) ، وهي :

1) اضطراب قصور الانتباه/ النشاط الزائد: نمط مشترك. وهذا النوع يضم الأعراض التشخيصية للبعدين : قصور الانتباه والنشاط الزائد .

2) اضطراب قصور الانتباه:/ النشاط الزائد: نمط يسود فيه قصور الانتباه. وهذا النوع يضم أكثر الأعراض التشخيصية لقصور الانتباه مع بعض أعراض النشاط الزائد .

3) اضطراب قصور الانتباه/ النشاط الزائد: نمط يسود فيه النشاط الزائد، وهو عكس السالف من حيث غلبة الأعراض التشخيصية للنشاط الزائد .

فيما يخص الأعراض والخاصة بقصور الانتباه. كجزء من المحكات التشخيصية -كما وردت في الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع المعدل – فإنها تتخلص – بشكل عام – في عدم القدرة على الاستمرار في الانتباه المركز للتفاصيل، حيث لا يستطيع الفرد تتبع التعليمات، ومن ثم ارتكاب أخطاء قد تعكس اللامبالاة، وعدم عمل الواجبات المدرسية

أو المتعلقة بالعمل . عندما يُتحدث إليه يبدو وكأنه لا يسمع في كثير من الأحيان. كما أنه لا يحب المهام والواجبات التي تتطلب جهداً ذهنياً، ويتجنبها . كما أنه عرضة للتشتت بسهولة، كما أنه غير منظم أو مرتب ، وينسى كثيراً من المواعيد والأغراض، سواء المدرسية (مثل أقلام أو دفاتر) أو الخاصة. أما النشاط الزائد ، فيظهر بشكل عام – كما سلف – في التململ أثناء الجلوس. ويبدو ذلك من خلال حركات اليدين والقدمين، أو ترك المقعد في وقت يكون المكوث مطلوباً. كما يظهر من خلال الحركة أو التحدث على نحو مفرط بدون كلل، أو التململ والضيق من الانتظار في الدور. ويتسم اللعب والنشاط بالافتقار إلى الهدوء .

أما الأعراض التشخيصية للاندفاعية، فتشمل صعوبة انتظار الدور، ومقاطعة الآخرين أو التدخل حديثاً أو لعباً .

ويلاحظ هنا أن مدة ستة أشهر على الأقل من استمرار الأعراض السالفة ، بحيث تكون مصدر سوء تكيف ، وعدم تناسبها مع المرحلة العمرية؛ شرط ضروري للتشخيص . كما أن الاندفاعية – حين التشخيص – تدخل ضمن النشاط الزائد ، وليست فئة أو نوعاً مستقلاً بحد ذاته .

أما المحكات التشخيصية العامة للاضطراب فتتلخص في وجوب أن تظهر الأعراض السالفة أو بعضها على الأقل قبل سن سبع سنوات؛ وظهور تأثير تلك الأعراض السلبي المعطل في مجالين على الأقل، مثل المنزل والعمل. أخيراً، أن لا تكون تلك الأعراض نتاجاً حصرياً ، متوقفة على تواجد، اضطرابات أخرى، مثل الفصام أو أي اضطراب عقلي آخر، أو اضطراب الوجدان أو القلق أو الشخصية..

وما يجب إبرازه هو عدم التعامل مع الأنواع الفرعية على نحو متماثل؛ لأن التقسيم له انعكاساته الفعلية على متغيرات عديدة، مثل : التحصيل الدراسي، والعوامل المعرفية في كل نوع فرعي .

(e.g. Carlson and Mann, 2000; Frick et al and Lahey, 1991; Gansler (1998), Fucetola, Krengel Stetson, Zimering, and Makary, 1998).

الخصائص المصاحبة

هناك خصائص عديدة مصاحبة لهذا الاضطراب، تتوقف مظاهرها وحدتها على حدة الاضطراب ونوعه والمرحلة العمرية . ومن أهم تلك الخصائص فيما يتعلق بالجانب

الانفعالي: انخفاض تقدير الذات بشكل عام ، وانخفاض عتبة تحمل الإحباط، وحدة الطبع والمزاجية، وعدم تحمل تأجيل المطالب، والعناد، والملل، وانخفاض الدافعية في الدراسة والعمل (تأجيل العمل أو المهمة لآخر لحظة أو عدم عملها إلا بإلحاح) .

(e.g. Amen, 2001; Barkley, 1998; Erk, 1995; Gentschel and McLaughlin, 2000, Sagvolden, 1999; Slankowski et al 1995, Klein, and Mannuzza, 1995; Wender, 2000).

أما في الجانب الأسري والاجتماعي فيلاحظ : بروز النبذ من الأقران (بشكل خاص من النمط الذي يسوده النشاط الزائد)، والصراع في بيئة المدرسة مع المدرسين أو في بيئة العمل مع الزملاء ، والصراع الأسري، وضعف المهارات الاجتماعية ، والسمعة الاجتماعية السيئة، وعدم إكمال التعليم، وترك المدرسة .

(e.g. Amen, 2001; Barkley, 1998; Erk, 1995; Gentschel and McLaughlin. 2000, Green, et al 1997, Biederman, Faraone, Sienna, and Garcia-Jetton, 1997; Slomkowski, et al., 1995; Wender, 2000.

أما في الجانب المعرفي ، فإن الانخفاض الواضح في التحصيل الدراسي – وبشكل خاص القراءة والرياضيات – من أهم الخصائص المصاحبة.

(Marshall et al, Hynd, Handwerk, and Hall, 1998, Merrell and Tymms, 2001).

ويتجلى – بشكل عام – في ضعف التحصيل الدراسي والرسوب المتكرر، وربما ترك المدرسة .

(e.g. Erk, 1995; Greene et al, 1997; Frick et al 1991, Kamphans, Labey, Loeber, Christ, Hart, and Tannenbaum, 1991, 1995; Heiligenstein and Keeling 1995; Hinshaw et al 1993, lahey. and Hart, 1993; Reis and McCoach, 2000; Slomkowski, et al, 1995).

وشرود الذهن وأحلام اليقظة ، وقصور الذاكرة العاملة working memory ومعالجة المعلومات وصعوبات تعلم ، ونسبة ذكاء منخفضة قليلاً .

(e.g. Barkley, 1997; Doyle et al 2000, Biedeman. Seidman. Weber, an Faraone, 2000; Erk, 1995; Murphy et al 2001, Barkley, and Bush, 2001; Scaughency et al 1989, Lahey, Hynd, Stone, Piacentini, and Frick, 1989; Wender, 2000; Willcut et al 2001,

Pennington, Boada, Ogline, Tunick; Chhabildas, and Olson, 2001).

وإن كـان هناك فـئـة ذات ذكـاء حـاد وإبداعـيـة مـرتفـعـة (Bonnie, 1995; Reis and McCoach, 2000)

ومن مظاهر هذا الاضطراب فـيمـا يخص الأداء التـحـصـيلي "رداءة الخط " poor handwriting .

(e.g. Barkley, 1997; Peeples et al 1996, Searls, and Wellingham-Jones, 1996; Sagvolden, 1998).

كذلك التـعرض لحـوادث عـديدة، مثل الإصـابات العـامـة وإصـابات الرأس والكسـور والتمزق .

(Gayton et al 1986, Bailey, Wagner, and Hardesty, 1986, Hartsough and Lambert, 1985; Jaquess and Finney, 1994).

والقيادة المتهورة وحوادث السير بالنسبة إلى الراشدين .

(Barkley et al 1996 ,Murphy, and Kwasnik, 1996, Weiss et al 1979, Hechtman, Perlman, Hopkins, and Wener, 1979).

ويبدو واضحاً أن هذه الخصائص لا يمكن عزلها عن بعضـها . فـقصـور الذاكرة العاملة يقود إلى "النسيان" في كثير من الأمور من الدراسة إلى الأمور الحياتية الأخرى ، وهذا بدوره يقـود إلى مـشـاكل في بيئة المدرسـة أو العمل والمنزل ، كذلك يلاحظ – فـيمـا يبدو– أنه بسبب انخفاض الدافعية بشكل عام وضعف المستوى التحصيلي ، وتذبذب الأعراض فيما يخص الانتباه حسب جدة ومتعة المهمة ، وعدم وعي الأسرة والمدرسة؛ يعتبر الفرد حراً في تلك المظاهر ، ومن ثم يوصف بأنه "كسول" أو "غبي" أو "مـهمل" أو "لا مبالٍ" أو "بارد" أو "غير صـالح للدراسـة أو العمل.." إلخ . وهذا يقود إلى صـراع مع الوالدين وضغوط أسرية كبيرة، وكذلك دراسية أو مهنية إذا كان راشداً. وقد تكون تلك الصراعات والضغوط هي أحد أسباب (رئيسة أو مساعدة) اضطرابات أخرى مصاحبة، مثل جنوح الأحداث والتعاطي .

أما الاضطرابات المصاحبة لاضطراب الانتباه / النشاط الزائد ، فهي عديدة ، فقد وجد عبر دراسات كثيرة جداً أن اضطراب المسلك conduct disorder ، واضطراب

المعارضة المتحدية oppositional defiant disorder واضطراب الشخصية المضادة للمجتمع antisocial personality disorder ، واضطرابات القلق anxiety disorders والوجدان mood disorders من أكثر الاضطرابات المصاحبة ، وبشكل خاص اضطراب المسلك والمعارضة المتحدية ؛ حيث تصل النسبة إلى 50٪ إلا أن هذا لا يعني عدم وجود حالات لديها اضطرابات الانتباه / النشاط الزائد فقط دون اضطرابات أخرى مصاحبة .

(e.g. Amen, 2001; Atikoff and Klein, 1992; Barkley, 1998; Biedeman et al 1991, Faraone et al 2001, Keenan, Steingrad, and Tsuang, 1991; Faraone, Biederman and Monuteaux, 2001; Heligenstein and Keeling, 1995, Hinshaw et al, 1993; Lahey et al 1995, Loeber, Hart, Frick Applegate, Zhang, Green, and Russo, 1995; Milberger, et al 1995 Biederman, Faraone, Murphy and Tsuang, 1995; Murphy et al, 2001; Johnston and Leung, 2001; Pfiffner et al 1999, McBumett, Lahey, loeher, Green, Frick, and Ratbouz, 1999; Smith et al 2000, Pelham, Gragy, Molina, and Evans, 2000; Wender, 200).

هذا بدوره يجعل مهمة التشخيص صعبة إلى حد ما ، فتلك الاضطرابات منفردة تماثل في بعض أعراضها أعراض اضطراب الانتباه / النشاط الزائد، إلا أن هذا لا يعني أنه نتاج تلك الاضطرابات ، بل هو اضطراب مستقل (see Milberger et al., 1995)

الانتشار

تشير كثير من الدراسات إلى نسب عالية من الانتشار، بحيث يوصف أنه من أكثر الاضطرابات المزمنة التي تظهر في الطفولة ، وتتباين التقديرات المئوية لنسبته ؛ حيث تقدر في بعض الدراسات 3٪ إلى 5٪ .

(eg. Barkley, 1998, Goldman et al 1998, Genel, Bezman, Slantez, 1998; Kewley. 1998, Swanson et al 1998, Sergeant, Taylor, Sonuga-Barke, Jensen, and Cantwell, 1998).

بينما تورد دراسات أخرى أنه يتراوح ما بين 6٪ إلى 9٪ (see Milberger et al, 1995)

وتتباين هذه النسب بين الذكور والإناث كما تجمع أغلب البحوث ؛ حيث تشير إلى نسبة أعلى لدى الذكور .

(e.g. Faraone et al 1995, Biederman, Chen, Milberger, Warburton, and Tsuang. 1995; Rhee et al 1999, Waldman, Hay, and Levy, 1999; Zarin et al 1992, Suarez, Pinus,

Kupersanin, and Zito, and Mango, 1998).

الجدير بالذكر أن هذه الأرقام خاصة بالمجتمع الأمريكي ، ولا يوجد شيء حول الانتشار في المجتمعات العربية . على سبيل المثال ، لا يوجد – حسب مسحنا للتراث – أي دراسة في المجتمع السعودي ، هذا بدوره يبرز أهمية ارتياد هذا الموضوع؛ لافتقاره للدراسات ولأهميته كما سلف .

المآل :

تجمع البحوث على أن اضطراب الانتباه / النشاط الزائد من الاضطرابات التي تظهر في الطفولة ، وتستمر في أغلب الحالات إلى الرشد ؛ بحيث يوصف بأنه اضطراب "مُزمن"، وإن تباين مع المرحلة العمرية – كما سبق أن ذكر ذلك في المحكات التشخيصية – مع استمرار تأثيره على جوانب حياة الفرد المختلفة، لا سيما إذا ما ترافقت معه اضطرابات أخرى، كاضطرابات القلق والوجدان ، أو اضطراب المسلك .

(e.g. Barkley, 1998, Faranon et al 2000, Biederman, Spencer, Wilens, Seidman, Mick, and Dolye 2000; Faraone et al 2001, Biederman et al 1995, Feighner, Monuteaux, 2000; Milberger et al, 1995; Wender, 2000).

المسببات :

مر اضطراب الانتباه / النشاط الزائد بمراحل عديدة في تحديده والنظريات التي حاولت تفسيره، من نظريات ركزت على العوامل البيئية فيما يتعلق بالتربية وظروف الأسرة إلى النظام الغذائي (Barkley, 1998) . أما الآن فإن الاتجاه السائد – فيما يخص دور البيئة أو الوراثة والعوامل البيولوجية – يميل بشكل كبير نحو ترجيح الجانب الأخير ، وذلك من خلال الدراسات المختلفة (دراسات التوأم أو الأخوة أو التبني) ؛ حيث تشير إلى أن نسبة ظهور الاضطرابات بين الأقارب من الدرجة الأولى أعلى .

(see. Biederman, Faraone et al 2000, Mike, Spencer, Wilens, Kaily, Guite, Ablon, Reed, and Warturton, 1995; Farance et al 2001, 1995. Faraone et al, 2001; Faranone, Biederman, Keenan, and Tsuang 1991; levy et al 1997, Hay. McStephen, Wood, and Waklman, 1997, Rhee et al, 1999, Seidman et al 2000, Biederman, Monuteaux, Weber,

and Faranoe, 2000; Swanson et al, 1998; Thapar et al 1999, Holmes, Poulton, and Harrington, 1999).

أما فيما يتعلق بالميكانزم أو الآلية البيولوجية ، فقد كان ينظر للاضطراب على أنه نتاج تلف في المخ brain damage ، أما الآن فتشير كثير من النظريات إلى أنه نتاج قصور في العقدة العصبية القاعدية الأمامية frontal-basal ganglia ، وخلل في التوصيل العصبي (الدوبامين dopamine) ، وذلك من دراسات استخدم فيها الرنين المغناطيسي Magnetic Resonance imaging (MRI) ، أو دراسات نفسية عصبية استخدمت فيها المقاييس التي تركز على الوظائف النفسية المعرفية التنفيذية executive Functions (مثل التخطيط ، واستراتيجيات التنظيم ، ودعم وظائف الذاكرة العاملة) ، والتي يعتقد بأن العقدة القاعدية تلعب دوراً فيها . أما الدوبامين dopaminergic، فإن العلاج الدوائي في الاضطرابات يعمل بشكل رئيس على الوظائف العصبية لنظام الدوبامين dopaminergic، وهذا يدعم دوره في اضطراب الانتباه / النشاط الزائد ، كما تدعمه دراسات مورث المُستقبل 4 للدوبامين dopamine D4-receptor gene.

see Anan et al 1998, Roberts, and Pennington, 1998: Casey et al 1997, Castellanos, Giedd, and Marsh, 1997; Faraone et al 1999, Biedreman, Weiffenbach, Keith, Chu, Weaver, Spencer, Wilens, Frazier, Cleves, and Sakai, 1999; Mataro et al 1997, Garacia-Sanchez, Junque, Estevez-Gonzalea, and Pujol, 1997; Oades, and Mueller, 1997; Silberstein et al 1998, Farrow, Levy, Pipingas, Hay, and Jarama, 1998; Sunohara et al 2000, Roberts, Malone, Schachar, Tannock, Basile, Wigal, Schuch, Moriarty, Swanson, Kennedy, and Barr, 2000; Sagvolden and Sergent, 1998; Seidman et al 2000; Spencer et al 2000, Beiderman, and Wilens, 2000; Swanson et al 2000, Flodman, Kennedy, Spencer, Moyzis, Schuck, Murias, Moriarty, Barr, Smith, and Posner, 2000; Swanson et al, 1998).

التشخيص والعلاج

يتم تشخيص اضطراب الانتباه / النشاط الزائد عبر وسائل متعددة، منها التقرير

الذاتي self report ، أو من خلال تقرير الوالدين والمدرسين .

(e.g. DuPaul et al 1997, McGoey, Power, Anastopoulos, Reid, and Ikeda, 1997; Smith et al., 2000)

كذلك تستخدم وسائل أخرى، مثل المقاييس النفسية العصبية التي تتأثر بالوظائف المعرفية التنفيذية، مثل اختبار إعادة الأرقام ، ورموز الأرقام ، وتصميم المكعبات ، اختبار الذاكرة البصرية ، اختبار ويسكانسون لتصنيف البطاقات ، واختبار الكلمات الملونة لستروب Stroop Color World Test ، اختبار النقر بالأصابع (see Barkley, 1998, Finger Tapping Test, Doyle. et al, 2000) .

وهناك وسائل أكثر تعقيداً ، في طور البحث ، مثل المسح الدماغي الكهربائي electroencephalographic scanning (Monastra and Lubar, 2001), .

وعلى الرغم من تعدد المقاييس ، فإن تشخيص اضطراب الانتباه / النشاط الزائد له محاذيره ؛ وذلك لتعقد صور الاضطراب وأنواعه الفرعية، وتواجد اضطرابات أخرى عديدة مصاحبة في كثير من الحالات كما سلف .

أما فيما يخص العلاج ، فهنالك العلاج السلوكي ، والعلاج السلوكي المعرفي ، والعلاج الدوائي . ويبدو أن فعالية العلاج النفسي بدون علاج دوائي غير فعالة .

(e.g. Abikoff, and Klein, 1992; Kendall, 1993; Klein and Abikoff, 1999; Plfiffner and McBurnett, 1997; Walen and Henker, 1991)..

أما العلاج الدوائي ، فإن أكثره انتشاراً واستخداماً هو ميثلفينيدات (ريتالين) methylphenidate (Ritalin) ، وينتمي لفئة "المنشطات" psychostimulants ، وميكانزم عمله تتمثل في إطلاق الدوبامين من حويصلات التخزين (Russell et al 1998, de Villiers, Savolden, Lamm, and Taljaard, 1998), ولهذا العقار (ريتالين) – كأي منشط آخر – أعراض جانبية، مثل إنقاص الوزن ، واضطراب في النوم والأكل (Leonard, 1992) ، وبالرغم من ذلك ، فإن عدد مستخدميه (أطفالاً وراشدين) يتزايد في كل عام . فعلى سبيل المثال كان هناك ستمائة ألف وصفة للريتالين خلال عام 1996 في الولايات المتحدة الأمريكية فقط (Safer et al 1996, Zito, and Fine, 1996) . هذا علماً بأن استخدامه يثير كثيراً من الجدل حول المبالغة في تشخيص اضطراب الانتباه /

النشاط الزائد ، ومن ثم استخدام العقار .

(see Berman et al 1999, Dougles, and Barr, 1999; Diller, 2000; Goldman et al, 1998; Kent et al 1999, Camfield and Camfield, 1999; Pelham et al 1997, Hoza, Kipp. Gragy and Trane. 1997; Smith et al, 2000).

والريتالين ليس الدواء الوحيد ، فهنالك عدة أدوية أخرى مثل الأمفيتامينات . (see amphetamines Barkley, 1998; Wender, 1995)

تعليق عام

يتضح مما تقدم أن انتشار هذا الاضطراب واسع حسب الإحصائيات الموجودة. وقد يكون هذا مؤشراً على تواجده بنسب قريبة في مجتمعات أخرى . ولتخيل حجم المشكلة يمكن تخيل مدرسة عدد الطلاب فيها أربعمائة طالب ؛ حيث سيصل من لديهم هذا الاضطراب ما بين 24 إلى 36 طالباً ، إذا كانت النسبة من 6٪ إلى 9٪ . بالإضافة إلى ذلك نجد البعد الآخر ، وهو امتداد تأثيره إلى جميع المجالات : المهنية أو الأكاديمية ، والأسرية ، آخذين بعين الاعتبار أنه اضطراب "مزمن"، يظهر في الطفولة ، ويمتد – في أكثر الحالات – إلى الرشد .

المشكلة الأخرى هي ما يتعرض له الفرد من ضغوط مهنية ودراسية وأسرية كثيرة حول انخفاض الدافعية والأداء ، ويلام على ذلك من واقع أنه مسؤول مسؤولية كاملة عن ذلك ، لذا يتم وصفه من قبل المحيطين به بعدة أوصاف حسب المجال . فإذا كان طالباً فهو كسول ، أو غبي ، أو بارد ، أو لا مبالٍ، وغير ذلك من الأوصاف . وهذا ما نراه في كثير من الأسر والمدارس من وجود فئة توصف بتلك الأوصاف، مع أنها في الحدود الطبيعية من حيث نسب الذكاء ، بل إن بعضهم قد يكون أعلى من المتوسط في نسب الذكاء .

ونجد الوالدين يتساءلان عن المشكلة ؛ حيث إن ابنهم طبيعي من حيث ذكاؤه إن لم يكن فوق المتوسط ، ومع ذلك فتحصيله الدراسي ضعيف ، كما أنه لا يعتمد عليه في المهام الأخرى . هذه الشكاوى – وغيرها كثير – يرددها المدرسون والمرشدون (غير المدربين) ؛ حيث يقفون عاجزين أمام مثل هذا الاضطراب، لا سيما إذا ترافقت مع اضطرابات أخرى، مثل اضطراب المسلك ، أو المعارضة المتحدية أو اضطرابات القلق ، أو الوجدان.

في مثل هذه الحالات نجد أنه يكتفى بوصفه بأنه : شقي، لا يسمع الكلام ، غير مؤدب ، لا مبالٍ ، لم تتم تربية . هذا لا يمنع من أن بعض السلوكيات لدى المراهق مظهر من مظاهر المرحلة العمرية كنتاج لمطالبها ، ونتاج تعلم اجتماعي وتعزيز إجرائي ، لذا يجب التمييز بين السلوك عندما يكون نتاج المرحلة والتعلم الاجتماعي ، وعندما يكون نتاج اضطراب . إن التعامل مع النوعين مختلف جداً، وأي خلط ستكون نتائجه الفشل ، وهو ما يحصل عندما يتم التعامل مع النوع الأخير على أنه نتاج تعلم اجتماعي ومرحلة عمرية ، وقد يكون من مؤشرات الاضطراب تواضع فعالية "العقاب" و/أو التعزيز الإيجابي، بشكل خاص إذا لم يصمم على تحليل وظيفي ؛ حيث تتم الاستجابة للمثير الأكثر تعزيزاً ، أو لا تتم الاستجابة إذا كان حجم المعزز أقل من جهد الاستجابة، أو أن العقاب أكبر من المعزز الإيجابي ، وهذا واضح في إبجديات السلوك الإجرائي (see Herrnstein, 1970) ، وفي حالة اضطراب الانتباه / النشاط الزائد قد نجد صورة مختلفة، حيث إن الانتباه خبرة منفرة وكريهة إلى درجة أن تحمل أي عقاب أو أي تعزيز إيجابي لا يفوقها، إما ترهيباً أو ترغيباً ، لذا تحمل أي ضغوط أو أي عقاب أقل تعزيزاً من خبرة النفور تلك ، وهذا يتفق مع أساسيات تعديل السلوك ، إلا أن البعد الداخلي لا يؤخذ بعين الاعتبار عندما يتم التعامل مع هذه الفئة ، وهذا ما يلاحظه المحيطون بمن لديه هذا الاضطراب ، فبالرغم من كثرة الضغوط، فإنها لا تجدي نفعاً ؛ بل إنها قد تزيد من تعقد صورة الاضطراب والدخول في حلقات مفرغة vicious circles . وإذا أخذنا الاضطرابات المصاحبة كجزء من المعادلة، سنجد أن الحلقات المفرغة ستكون أكثر تعقيداً. على سبيل المثال ، إذا كان الفرد لديه اضطراب آخر (القلق العام generalized anxiety) فإن الضغوط ، بسبب تواضع الأداء، ستسهم في رفع التنبه arousal مما سيؤثر سلباً على الأداء ؛ حيث إن العلاقة ليست خطية بين التنبه والأداء ، وتجاوز نقطة معينة يجعله ذا تأثير سلبي ، وكذلك العلاقة الموجبة بين القلق والتنبه ، هذا بدوره سيدفع نحو مزيد من الضغوط المدرسية والأسرية (إن كان الفرد طالباً) ، والضغوط بدورها سترفع من التنبه، وتنغلق الحالة ، وهذا قد يدفع نحو مزيد من المشاكل الأسرية، وربما الجنح والتعاطي مع افتراض عدم وجود اضطراب المسلك .

ختاماً يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار تعقد هذا الاضطراب ، وتداخله مع عدد كبير من

الاضطرابات ، وتعدد أعراضه التي تتواجد بشكل متباين حسب الحالة والنوع الفرعي ، ذلك كله قد يقود إلى خطأ التشخيص .

التوصيات :

مما سلف ، فإنه يمكن الخروج بعدة توصيات، من أهمها :

1 – التوجه نحو دراسة هذا الاضطراب في البيئة العربية . ويتم البدء بعمل مسح للطلاب الذين لديهم هذا الاضطراب؛ لتعرّف الانتشار، ومن ثم المعالجة .

2 – التوعية الشاملة ، وبخاصة في مجال التعليم للمدرسين وإدارة المدرسة والمرشدين للطلابيين ، وكذلك الأسر التي يوجد بها من لديه هذا الاضطراب .

3 – التوعية العامة في وسائل الإعلام ؛ حيث إن الغالبية لم تسمع بهذا الاضطراب أو إن معلومات البعض قاصرة إذا ما تمت مقارنتها بمعلوماتهم حول اضطرابات أخرى، مثل : القلق والاكتئاب .

هنالك توصيات عديدة تتفرع من التوصيات الرئيسة السالفة، كعمل ورش عمل للمرشدين والآباء ، ونشر كتيبات ، والتي تصب في التعريف بالاضطراب والتعامل معه بشكل علمي . وهذا ما تم السعي إليه في هذا البحث ، والذي تطرق لأهم المحاور بشكل مركز مع إيراد كثير من الدراسات الحديثة .

المراجع :

- Abikoff, H., and Klein, R. (1992). Attention-deficit hyperactivity and conduct disorder: Comorbidity and Implications for treatment. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 60,881-892.
- Aman, C. J., Roberts, R. J., and Pennington, B. F. (1998). A neuropsychological examination of the underlying deficit in attention deficit hyperactivity disorder: Formal Lobe versus right parietal lobe theories. Developmental Psychology, 34, 956-969.
- Amen, D. G, (2001). Healing ADD. New York. G. P. Putnam's sons Press. American Psychiatric Association. (2000). Diagnostic and statistical manual disorders (4th ed. Text Revision). Washington, DC.

- Barkely, R. A. (1997). Behavioral inhibition, sustained attention, and executive functions constructing a unifying theory of ADHD. Psychological Bulletin, 121, 65-94.
- Barkely, R. A. (1998). Attention deficit hyperactivity disorder: A handbook for diagnosis and treatment (2end ed.). New York: Guilford Press.
- Barkley, R. A., Murphy K. R., and Kwansnik, D. (1996). Motor vehicle driving competencies and risks in teens and young adults with attention deficit by hyperactivity disorder. Pediatrics, 98, 1089-1095.
- Berman, T., Douglas, V. I., and Barr, R. G. (1999). Effects of methylphenidate on complex cognitive processing in attention-deficit hyperactivity disorder. Journal of Abnormal Psychology, 108, 90-105.
- Biederman, J., Faraone, S. V., Keenen, K., Steingrad, R., and Tsuang, M. T. (1991). Familial association between processing in attention-deficit hyperactivity disorders. American Journal of Psychiatry, 148, 251-256.
- Biederman, J., Faraone, S. V., Mick, E., Spencer, T., Wilens, T., Keily K., Guite, J., Ablone, S., Reed, E.D., and Warburton, R. (1995). High risk for attention deficit hyperactivity disorder among children of parents with childhood onset of the disorder: A pilot study. American Journal of Psychiatry, 152, 431-435.
- Carlson, C. L. and Mann, M. (2000). Attention-deficit hyperactivity disorder, predominately inattentive subtype. Child & Adolescent Psychiatric Clinics of North America, 9, 499-510.
- Cramond, B. (1995). Attention-deficit hyperactivity disorder and creativity: What is the connection? Journal of Creative Behavior, 28, 193-210.
- Diller, L. H. (2000). The ritalin wars continue. Western Journal of Medicine, 173, 366-367.
- Doyle, A. E., Biederman, J., Seidman, L. J., and Faraone, S. V. (2000). Diagnostic efficacy of neuropsychological test scores for discrimination boys with and without attention-deficit hyperactivity disorder. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 68, 477-488.
- DuPaul, G. J., McGoey, K.E., Power, T. J., Anastopoulos, A. D., Reid, R., and Ikeda, M. J. (1997). Teacher rating of attention deficit hyperactivity disorder symptoms: Factors structure and normative data. Psychological Assessment, 9, 436-444.
- Eric, P. and Lahey, B. B. (1991). The nature and characteristics of attention-deficit hyperactivity disorder. School Psychology Review. 20, 163-173.
- Erk, R. R. (1995). The conundrum of attention deficit disorder. Journal of Mental Health Counseling, 17, 131-145.
- Faranoe, S. V., Biederman, J., Keenan, K., and Tsunag, M.T. (1991). Separation of

DSM-III attention deficit disorder and conduct disorder: Evidence from a family-genetic study of American child patients. Psychological Medicine, 21, 109-121.
- Faraone, S. V., Biederman, J., and Monuteaux, M. C. (2001). Attention deficit hyperactivity disorder with bipolar disorder in girls: Further evidence for a familial subtype. Journal of Affective Disorders, 64, 19-26.
- Faraone, S. V., Biederman, J., Chen, W. J., Milberger, S., Warburton, B., and Tsuang, M.T. (1995). Genetic heterogeneity in attention-deficit hyperactivity disorder (ADHD): Gender, psychiatric comorbidity, and maternal ADHD. Journal of Abnormal Psychology, 104, 334-345.
- Faraone, S. V., Biederman, J., Feighner, J. A., and Monuteax, M. C. (2000). Assessing symptoms of attention deficit hyperactivity disorder in children and adults: Which is more valid? Journal of Consulting and Clinical Psychology, 68, 830-842.
- Faraone, S. V., Biederman, J., Spencer, T., Wilens, T., Seidman, L., Mick, E., and Doyle, A. (2000). Attention-deficit/hyperactivity disorder in adults: An overview. Biological Psychiatry, 48, 9-20.
- Faraone, S. V., Biederman, J., Weiffenbach, B., Keith, T., Chu., M. P., Weaver, A., Spencer, T. J., Wilens, T. E., Frazier, J., Cleves, M., and Sakai, J. (1999). Dopamine D-sub-4 gene 7-repeat allele and attention deficit hyperactivity disorder. American Journal of Psychiatry, 156, 768-770.
- Farmer, J. E. and Peterson, L. (1995). Injury risk factors in children with attention deficit hyperactivity disorder. Health Psychology, 14, 325-332.
- Frick, P., Kamphaus, R. W., Lahey, B. B., Loeber, R., Chris, M. A., Hart, E. L., and Tannenbaum, L. E. (1991). Academic underachievement and the disruptive behavior disorder. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 59, 289-294.
- Frick, P., Kamphaus, R. W., Lahey, B. B., Loeber, R., Chris, M. A., Hart, E. L., and Tannenbaum, L. E. (1995). Academic underachievement and the disruptive behavior disorder: Correction. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 63,220.
- Gansler, D. A., Fucetola, R., Krengel, M., Stetson, S., Zimering, R., and Makary, C. (1998). Are there cognitive subtypes on adult attention deficit/hyperactivity disorder? Journal of Nervous & Mental Disease, 186, 776-781.
- Gayton, D. A., and McLaughlin, T. F. (2000). Attention deficit hyperactivity disorder as a social disability: Characteristics and suggested methods of treatment. Journal of Development & Physical Disabilities, 12, 333-347.
- Goldman,, L., Genel. M., Bezman, R. J., and Slantez, P. J. (1998). Diagnosis and treatment of attention-deficit/hyperactivity disorder in children and adolescents. Journal of the American Medical Association, 279, 1100-1107.

- Greene, R., W., Biederman, J., Faraone, S. V., Sienna, M., and Gracia-Jetton J., (1997). Adolescent outcomes of boys with attention-deficit/hyperactivity disorder and social disability. Consulting and Clinical Psychology.
- Hartsough, C. S and Lambert, N. M. (1985). Medical factors in hyperactive and normal children: Prenatal, development, and history findings. American Journal of Orthopsychiatry, 55, 190-201.
- Heiligenstein, E., and Keeling, R. P. (1995). Presentation of unrecognized attention deficit hyperactivity disorder in college students. Journal of American College Health, 43, 2226-228.
- Hernstein, R. J. (1970). On the law of effect. Journal of Experimental Analysis of Behavior, 13, 243-266.
- Hinshaw, S. S., Lahey, B. B., and Hart, E. L. (1993). Issues of Taxonomy ad comorbidity in the development of conduct disorder. Development & Psychopathology, 5, 31-49.
- Jaquess, D. L. and Finney, J. W. (1994). Previous injuries and behavior problems predict children's injuries. Journal of Pediatric Psychology, 19, 79-89.
- Kendall, P. C. (1993). Cognitive-behavioral therapies with youth: Guiding theory, current status, and emerging developments. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 61, 236-247.
- Kent, M. A., Camfield, C. S., and Camfield, P. R. (1999). Double-blind methylphenidate trials: Practical, useful, and highly endorsed by families. Archives of Pediatrics & Adolescent Medicine, 153, 1292-1294.
- Kewley, G. (1998). Attention deficit hyperactivity disorder in underdiagnosed and undertreated Britain. British Medical Journal, 316, 1594-1595.
- Klein, R. G., and Abikoff, H. (1999). Behavior therapy and methylphendiate in treatment of children with ADHD. Journal of Attention Disorder, 2,89-114.
- Lahey, B. B., Loeber, R., Hart, E. L., Frick, P. J., Applegate, B., Zhang, Q., Green, S. M., and Russi. M. F. (1995). Four-year longitudinal study of conduct disorder on boys: patterns and predictors of persistence. Journal of Abnormal Psychology, 104, 83-93.
- Leonard, B. F. (1992). Fundamentals of psychopharmacology. Chichesrer. John Wiley.
- Levy, F., Hay, D. A., McStephen, M., Wood, C., and Waldman, I. D. (1997). Attention-deficit hyperactivity disorder: A category or a continuum? A genetic analysis of a large-scale study. Journal of the American Academy of Child Adolescent Psychiatry, 36, 737-744.
- Marshall, R. M., Hynd, G. W., Handwerk, M. J., and Hall, J. (1998). Academic

underachievement in ADHD subtypes. Journal of Learning Disabilities, 30, 635-642.

- Mataro, M., Garcia-Sanchez, C., Junqye, C., Estevez-Gonzalez. A., and Pujol, J. (1997) . Magnetic resonance imaging measurement of the caudate nucleus in adolescents with attention-deficit hyperactivity disorder and its relationship with neuropsychological and behavioral measures. Archives of Neurology, 54,963-968.
- Merrell, C. and Tymms, P.B.(2001) . Inattention, hyperactivity and impassivity: their impact on academic achievement and progress. British Journal of Education Psychology, 71,43-56 .
- Milberger, S., Biederman, J., Faraone, S. v., Murphy, J., and Tsuang, M. T. (1995). Attention deficit hyperactivity disorder and comorbid disorders: Issues of overlapping symptoms. The American Journal of Psychiatry, 152, 1793-1803.
- Monastra, V. J., Lubar, J. F., and Linden, M. (2001). The development of a quantitative electroencephalograph scanning process for attention deficit-hyperactivity disorder: Reliability and validity studies. Neuropsychology, 15, 136-144.
- Murthy,. K. R., Barkley, R. A., and Bush, T. (2001). Executive functioning and olfactory identification in young adults with attention deficit-hyperactivity. Neuropsychology, 15, 211-220.
- Oades, R. D., and Muller, B. (1997). The development of conditioned blocking monoamine metabolism in children with attention-deficit-hyperactivity disorder or complex tics and health controls: An exploratory analysis. Behavioural Brain Research, 88, 95-102.
- Peeples, E. E., Searls, D. T., and Wellingham-Jones, P. (1996). Attention-deficit hyperactivity disorder: A longitudinal case study of handwriting characteristics. Perceptual & Motor Skills, 81, 1243-1252.
- Pelham, W. E., Hoza, B., Kipp, H. L., Gnag, E. M., and Trane, S. (1997). Effects of methylphenidate and expectancy on ADHD children's performance, self-evaluation, persistence, and attribution on a cognitive task. Experimental and Clinical Psychopharmacology, 5, 3-13.
- Pfiffner, L. J., and McBurnett, K. (1997). Social skills training with parent generalization treatment effects for children with attention deficit disorder. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 65, 749-757.
- Pfiffner, L. J., McBurnett, K., B. B., Loeber, Green, S., Frick, P. J., and Rathouz, P. J. (1999). Association of parental psychopathology the comorbid disorder boys with attention deficit-hyperactivity disorder. Journal of Consulting and Clinical Psychology. 67, 881-893.
- Rhee, S. H., Waldman, I. D., Hay, D. A., and Levy, F. (1999). Sex differences in

genetic and environmental influences on DSM-III-R attention-deficit/hyperactivity disorder. Journal of Abnormal Psychology, 108, 24-41.

- Reise, S., and McCoach, D. B. (2000). The underachievement of gifted students: What do we know and where do we go? Gifted Child Quarterly, 44, 152-170.
- Russell, V., de Villiers, A., Sagvolden, T., Lamm, M., and Talijaard, J. (1998). Differences between electrically-ritalin and amphetamine-stimulanted release of [3 H] dopamine from brain slices suggeste impaired vesicular storage of dopamine in an animal model of attention-deficit hyperactivity disorder. Behaviour Brain Research, 94, 163-171.
- Safer, D. J., Zito, J. M., and Fine, E. M. (1996). Increased methylphenidate usage for attention deficit hyperactivity disorder in the 1990's. Pediatrics, 98, 10841088.
- Sagvolden, T. (1998). Attention deficit/hyperactivity disorder: From brain dysfunction to behaviour. Behavioural Brain Research, 94, 1-10.
- Schaughency, E. A., Lahey, B. B., Hynd, G. W., Stone, P. A., Piacentini, J. C., and Frick, P. J. (1989). Neuropsychological test performance and the attention deficit disorder clinical utility of the Luria-Nebraska neuropsychological Battery-Children's. Journal of Consulting Psychology, 57, 112-116.
- Seidman, L. J., Biederman, J., Monuteaux, M. C., Weber, W., and Faraone, S. V. (2000). Neuropsychological functioning in nonreferred sibling of children attention deficit/hyperactivity disorder. Journal of Abnormal Psychology, 108, 252-265.
- Silberstein, R. B., Farrow, M., Levy, F., pipingas, A., Hay, D.A., and Jarman, F.C. (1998). Functional brain electrical activity mapping in boys with attention-deficit/hyperactivity disorder. Archives of General Psychiatry, 55, 1105-1112.
- Slomkowski, C., Klein, R. G., and Mannuzza, S. (1995). Is self-esteem an important outcome in hyperactivity children? Journal of Abnormal Child Psychology, 23, 303-315.
- Smith, B. H., Pelham, W. E., Gngay, E., Molina, B., and Evans, S. (2000). The reliability, validity, and unique contribution of self-report by Adolescents receiving treatment for attention-deficit/hyperactivity disorder. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 68, 489-499.
- Spencer, T., Biederman, J., and Wilens, T. (2000). Pharmacotherapy of attention deficit hyperactivity disorder. Child & Adolescent Psychiatric Clinics of North America, 9, 77-97.
- Sunohara, G. A., Roberts, W., Malone, M., Schachar, R. J., Tannock, R., Basile, V. S., Wigal, S. B., Schuck, S., Moriarty, J., Swanson, J. M., Kennedy, J. I., and Barr, C. L. (2000). Linkage of the dopamine D4 receptor gene and

attention-deficit/hyperactivity disorder. Journal of the American Academy of Child & adolescent Psychiatry, 39, 1537-1542.

- Swanson, J. M., Flodman, P., Kennedy, J., Spence, M. A., Moyzis, R., Schuck, S., Murias, M., Moriarty, J., Barr, C., Smith, M., and Posner, M., (2000). Dopamine genes and ADHD. Neuroscience & Biobehavioral Reviews, 24, 21-25.
- Swanson, J. M., Sergent, J. A., Taylor, E., Sonuga-Barke, E. J. S., Jensen, P. S., and Cantwell, D. P. (1998). Attention-deficit hyperactivity disorder hyperkinetic disorder. The Lancet, 351, 429-433.
- Thapar, A., Holmes, J., Poulton, K., and Harrington, R. (1999). Genetic basis of attention deficit and hyperactivity. British Journal of Psychiatry, 174, 105-111.
- Walen, C. K. and Henker, B. (1991). Therapies for hyperactivity children: comparison, combination, and comparison. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 59, 136-137.
- Weiss, G., Hechtman, L., Perlman, T., Hopkins, J. and Wener, A. (1979). Hyperactives as young adults. Archives of General Psychiatry, 36, 675-681.
- Wender, P. H. (2000). ADHD: Attention-deficit hyperactivity disorder in children and adults. New York: Oxford University Press.
- Wender, P. H. (1995). Attention-deficit hyperactivity disorder in adults. New York: Oxford University Press.
- Willcut, E. G., Pennington, B. F., Boada, R., Ogline, J. S., Tunick, R. A., Chhabildas, N. A., and Olson, R. K. (2001). A comparison of the cognitive deficit in reading disability and attention deficit/hyperactivity disorder. Journal of Abnormal Psychology, 110, 157-172.
- Zarin, D. A., Suarez, A. P., Pincus, H. A., Kupersanin, E., and Julie, M. (1998). Clinical and treatment characteristics of children with attention-deficit hyperactivity disorder on psychiatric practice. Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry, 37, 1262-1270.

وصف أوضاع الأطفال العاملين في الصناعة - دراسة ميدانية على منطقة الخشابة بمدينة المنيا

محمد عبد العظيم ٭

هناك قسمات متعددة يمكن من خلالها تبين أوجه الاختلاف ما بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات الأخرى التي ما زالت تحاول الخروج من منظومة التشكيلات المتخلفة. هذه القسمات المشتركة يتم التعبير عنها اجتماعياً من خلال ظواهر مجتمعية تظهر تجلياتها في المجتمعات المتخلفة (أو الآخذة في النمو). نرى من الظواهر الواضحة في المجتمعات النامية ما يسمى بظاهرة عمالة الأطفال التي تنتشر في جميع البلدان النامية، أو ما كان يُعرف ببلدان العالم الثالث. وهذه الظاهرة هي مردود طبيعي للإشكاليات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في هذه المجتمعات. "فهذه التشكيلات الاجتماعية المتخلفة تتسم بها كل قوة قهرية واستغلالية للفئات المستضعفة، مثل الأطفال والنساء – خاصة الفقراء – ولا ريب أن أطفال الفقراء يمثلون أضعف الفئات الاجتماعية قاطبة، إذ لا تمتلك الفئات المستضعفة مقومات نفوذ اقتصادي أو سياسي، ومن ثم لا تشكل جماعات ضغط تستطيع السعي بفاعلية لترقية وضعها الاجتماعي" (نادر فرجاني، 2000، 16) .

ومشكلات هذه الفئات المستضعفة هي من القوة والرسوخ، بحيث لا يمكن القضاء عليها بين يوم وليلة، وإنما يستدعي ذلك وضع استراتيجيات طويلة المدى، تتضافر كل هياكل ومؤسسات المجتمع في تبنيها والعمل على تنفيذها؛ بهدف تحقيق النمو الاجتماعي

٭ باحث ، مركز الجيل للدراسات الشبابية . القاهرة .

الأمثل. فعمالة الأطفال ظاهرة من التعقيد والتركيب بمكان، حيث لا تستطيع قوة مجتمعية منفردة الادعاء بإمكانية حلها جذرياً .

إن عمالة الأطفال يأتي خطرها الأساسي من كونها تمثل كسراً للمنظومة الحياتية المتوازنة للكائن البشري، فالإنسان في أي مجتمع من المجتمعات لا بد أن يمر بمراحل وأطوار؛ بغية التحقيق الأمثل لتكوينه النفسي والاجتماعي . هذه المنظومة تشمل اللعب والتعليم والعمل، وعندما يطغى مكون ما على أي من هذه المكونات فإن هذا يؤدي إلى ضمورها، ومن ثم اختلال التوازن بين هذه العناصر أو المكونات، وعليه "فإن الأثر السلبي لهذا الاختلال لا ينصب فقط على الطفل المعني، ولكن يمتد إلى إهدار مشاركته في التنمية بفاعلية، ومن ثم إلى النيل من الرفاه الجمعي لكل البشر في المجتمع" (المرجع السابق) .

أي أن عمالة الأطفال لا تمثل فقط خطورة على الأطفال العاملين تتمثل في حرمانهم من أبسط حقوقهم في الحياة، وإنما تمثل تهديداً لبنية المجتمع وتطوره .

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة بمثابة دراسة استطلاعية تستهدف فهماً أعمق لطبيعة الظاهرة في مجتمع لم تستهدفه الدراسات السابقة، ولا توجد لدينا معلومات حول الظاهرة بأبعادها المختلفة فيه، وصولاً إلى مهام أكثر تفعيلاً وقدرة على التحقيق .

فقد تم اختيار إحدى المناطق التي تنتشر بها عمالة الأطفال بمدينة المنيا، وهي منطقة (الخشابة)، والتي تتسم ببروز الظاهرة وتكتل الأطفال الذين يعملون في صناعات مختلفة بها. ونحن نحاول من خلال هذه الدراسة الاستطلاعية إلقاء الضوء على الظاهرة ومحاولة جمع أكبر قدر من المعلومات؛ بهدف تحقيق هدفين رئيسين، هما : تقوية جهود التوعية بأبعاد الظاهرة وتبعاتها، وزيادة فعالية السياسات والبرامج الهادفة لمقاومة الظاهرة .

عمالة الأطفال .. مدخل نظري

ينتشر عمل الأطفال في أماكن عديدة من العالم، حيث تشير التقديرات إلى أن حجم الأطفال العاملين أقل من 14 سنة قد وصل إلى حوالي 250 مليون طفل عامل، وقد يزيد على هذا، حيث يصعب تقدير العدد الفعلي (علا مصطفى، 2000 ، 79). وقد بدأت عمالة الأطفال في العالم المتقدم، حيث شارك الطفل في الماضي في البناء الاقتصادي، وبالتحديد

في حقبة التصنيع في الغرب، حيث عمل الأطفال في المناجم والمحاجر والمصانع وغيرها من المجالات. إلا أن التطور التكنولوجي وتقدم الفن الإنتاجي حد من الطلب على عمالة الأطفال، كما انتشر التعليم وأصبح هو البديل عن العمل، فعمالة الأطفال ليست بالظاهرة الحديثة". فقد ارتبطت بالثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، بل وقد تكون قبل هذا التاريخ في صورة استخدام الأطفال في الأعمال المنزلية. وما حدث بعد الثورة الصناعية يمكن اعتباره تغيراً في نمط عمل الطفل ؛ من حيث انتقاله إلى بيئة صناعية مغايرة لبيئة العمل المنزلي" (سامي عبدالقوي، منى أبو طيرة (1999 ، 12) .

وتعد مشكلة عمل الأطفال مشكلة أساسية في بلدان العالم الثالث، حيث ينتشر عمل الأطفال بشكل يمثل ظاهرة، بما يجعله من أكثر الملامح المميزة لدول العالم الثالث، حيث يتأثر بشكل كبير بالعوامل الاقتصادية السائدة، فالمتغيرات الاقتصادية الخارجية تلقي بظلالها على الدول النامية، فتقيد حركتها، وتجعلها تلجأ إلى خيارات لم تكن لتلجأ إليها في الظروف العادية، مثل عمل الأبناء. ومن تلك المتغيرات نظام التجارة الحالي الجديد الممثل في اتفاقية الجات ومنظمة التجارة العالمية، وكذلك القيود التي يضعها البنك الدولي وصندوق النقد، ومن أجل المنافسة تحاول الدول تخفيض التكلفة باستخدام عمالة الأطفال (علا مصطفى 2000 ، 98) .

وإذا انتقلنا إلى المجتمع المصري، نجد أن عمل الأطفال بدأ في الريف عندما كان الفلاحون يصحبون أبناءهم معهم؛ لمساعدتهم في الحقول. وأخذ دور هؤلاء الأطفال يزداد باستمرار إلى أن أصبحوا عنصراً أساسياً من عناصر العملية الإنتاجية. فعلى الأقل بالنسبة إلى بعض المحاصيل (مثل القطن وهو المحصول التقليدي الرئيسي في مصر) يعتبر الأطفال العنصر الأساسي الذي يتولى عملية جنيه. ولا يعد هذا العمل – في إطار نظام القيم الفلكلوري في المجتمع – نوعاً من عمالة الأطفال child labor ، بل هو أقرب لأن يكون نوعاً من عمل الأطفال child work الذي لا يتضمن دلالات تشير لوقوع الاستغلال على الأطفال (أحمد عبدالله، 1999 ، 138) .

ومع الظروف والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع المصري، انتشرت ظاهرة عمالة الأطفال ؛ لتتعدى نطاق الريف، وتنتشر في الحضر، ولتصبح ظاهرة

اجتماعية بالغة الدلالة على مستوى المجتمع المصري ككل، وإن كان مجال الزراعة ما زال يستحوذ على أعلى نسبة من الأطفال العاملين، ففي تقرير للجهاز المركزي للتنظيم والإدارة في مصر، يقدر عدد الأطفال بحوالي مليون ونصف ممن تتراوح أعمارهم فقط ما بين (6 : 14) سنة، يعمل منهم 78٪ في قطاع الزراعة و9٪ في الورش الصناعية، و5٪ في قطاع الخدمات، و9٪ في قطاع التشييد (مركز الأرض، 2001 ، 15) .

ولكن عند تحديد صورة عمالة الأطفال في كل من ريف مصر وحضر مصر من زاوية نوعية، نجد أنها تتسم بالتشويش وعدم الدقة في المجال الإحصائي، حيث تتفاوت الأعداد والنسب، سواء بين الإحصاءات الرسمية وغير الرسمية، أو في الإحصاءات الرسمية ذاتها؛ مما يلقي بظلال من الشك في مدى مصداقيتها، حيث يتساءل أحمد عبدالله هل يمكن أن نصدق الأرقام التالية : بعد أن كان 1,5 مليون طفل يعملون في مصر عام 1984، أصبح 1,3 مليون طفل عام 1988، ثم أصبح الرقم نصف مليون فقط في سنوات التسعينيات؟ ومن ثم، تنخفض عمالة الأطفال كنسبة من إجمالي القوة العاملة من 10,8٪ عند بداية العقد 1984 – 1994 إلى 2,7٪ فقط عند نهايته؟! (أحمد عبدالله، 1999، 141) .

ولكن السبب لهذا الانخفاض لا يرجع لتراجع الظاهرة وزيادة نسبة استيعاب الأطفال في المدارس، ولكن لأن مسوح القوى العاملة بالعينة عامي 1984 ، 1988 كان بها استمارة خاصة بعمالة الأطفال، فتم إلغاؤها ودمجها في الاستمارة العامة؛ مما أدى إلى هذا التفاوت غير المعقول في الأرقام والنسب. وتجدر الإشارة إلى أن الإحصائيات الرسمية بشكل عام تميل إلى تخفيض حجم ظاهرة عمالة الأطفال عما هي عليه في الواقع. ولا يقتصر ذلك فقط على إحصائيات السنوات الأخيرة، وإنما أيضاً على فترة السبعينيات والثمانينيات (مركز الأرض، 2001 ، 16) .

أبعاد الظاهرة وآثارها

تتعدد أبعاد وآثار عمالة الأطفال على مستويات مختلفة. وهذا التعدد يرجع لكون عمالة الأطفال من المشكلات التي تأخذ شكلاً مركباً في بنيتها، حيث تتداخل فيها عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وتربوية وصحية. ويمكن أن نتبين هذه الآثار عند رؤيتنا

للظاهرة في مجملها وفي كافة جوانبها. وعلينا أن نشير إلى أن هذه الأبعاد تتداخل فيما بينها، بحيث يصعب الفصل بين هذه الأبعاد أو الآثار، إلا أننا سوف نركز على بُعدين رئيسين، هما : البعد النفسي والبعد الاجتماعي .

الآثار النفسية

إن عمل الأطفال في مرحلة عمرية مبكرة يمثل خطراً يهدد نموهم النفسي، حيث إن هذه المرحلة تعد إحدى أهم المراحل الارتقائية في حياة الإنسان، وأية مشكلات أو معوقات في هذه المرحلة تؤثر بالضرورة في عملية الارتقاء السوي لهم. فعمل الأطفال يحرمهم من الفرص المناسبة لنمو قدراتهم وإمكانياتهم، فالطفل الذي يعمل له كافة احتياجات باقي الأطفال كي ينمو نمواً سليماً جسمياً ونفسياً وانفعالياً. ونتيجة لنقص التعليم والتدريب اللازمين للطفل للعمل؛ تقل إنتاجيته، وتظهر لديه مشاعر الظلم والإحباط، كآثار نفسية تؤثر سلبياً على علاقات الطفل الشخصية (سامي عبدالقوى، منى أبو طيرة، 1999 ، 18) .

كذلك فإن الطفل العامل يُجبَر على التخلي عن الدوافع والأنشطة المصاحبة للطفولة، حيث يفتقد اللعب والتمرينات البدنية، وعندما يحل الواقع العملي محل العالم الوهمي والخيال في عقل الطفل، فإنه يحجب قدراته الإبداعية، بالإضافة إلى ظهور أنواع من القلق غير الصحي الذي يتعرض له في سنواته المبكرة، وتضعف روابط الطفل وعلاقاته الأسرية؛ نتيجة طول ساعات العمل. والرجوع إلى المنزل في ساعة متأخرة يفقده دفء المشاعر الأسرية (المرجع السابق، 19) .

وكذلك فإن الأطفال العاملين تتناقص لديهم آليات التوافق الاجتماعي والتوافق العام، وينخفض معدل الذكاء مقارنة بالأطفال غير العاملين (عادل عازر، ناهد رمزي وآخرون : 1991) .

الآثار الاجتماعية

إن احتكاك الطفل بعالم البالغين في مرحلة مبكرة يؤدي إلى تقليده لسلوكيات غير مستحبة؛ مما يجعله يسلك سلوك الراشدين في أقواله وتصرفاته رغم عدم نموه النفسي.

وكذلك قد يؤدي هذا الاحتكاك المبكر إلى العزلة والانطواء. هذا علاوة على تعرضه للعقاب بسبب أي خطأ في العمل، حيث يتصاعد من اللوم؛ ليصل إلى الضرب في أحيان كثيرة .

ويظل الطفل يؤدي أعمالاً هامشية، بها قدر كبير من التكرار؛ مما يؤدي إلى إضعاف فرصه في عمل أفضل مستقبلاً (علا مصطفى، 2000 ، 104) .

كذلك فإن نقص الرعاية الاجتماعية في بيئة العمل وفي بيئة الأسرة يؤدي إلى تعلمه عادات سلوكية سيئة، كالتدخين وتعاطي المخدرات (عبدالقوي، منى أبو طيرة، 1999 ، 18).

كذلك فإن العمل في هذه السن المبكرة يمثل خطورة على نموهم الطبيعي، حيث تختفي الحماية التي يسبغها السياق الأسري، وتقوى احتمالات الضرر والاستغلال (نادر فرجاني، 1990 ، 2) .

وبجانب الآثار النفسية والاجتماعية لعمل الأطفال، فإن هناك آثاراً أخرى لا تقل في خطورتها عن الآثار النفسية والاجتماعية، ومنها البعد التربوي المتمثل في أن هؤلاء الأطفال يتم حرمانهم من المبادئ الأولى للتعلم والتدريب، كما أن لها بُعداً صحياً، يتمثل فيما يتعرض له هؤلاء الصغار من مخاطر صحية وأخطار مهنية؛ نتيجة لظروف العمل، كالتعرض لمخاطر الإجهاد البدني والإصابات الجسمية وتشوهات العمود الفقري ومخاطر التعرض للمواد الكيماوية والأتربة والضوضاء والحرارة الشديدة أو سوء التهوية، وما إلى ذلك من ظروف عمل سيئة (زينب يوسف، 1995) .

وجدير بالذكر أن هناك من الباحثين من يرى أنه على الرغم من كل هذه الآثار السلبية المختلفة لعمالة الأطفال، فإن هناك آثاراً إيجابية لعمالة الأطفال، "فعمل الأطفال ليس شراً خالصاً، وإلا لما انتشر في وجود نظام تعليمي متاح للجميع، ولذلك فإن عمل الأطفال يمكن أن يحقق زيادة في دخل الأسرة؛ مما يؤدي إلى تحسين أوضاعها المعيشية، كما أنه يساعد الطفل على اكتساب مهارات مهنية تساعده على مواجهة الحياة" (سامي عبدالقوي، منى أبو طيرة، 1999 عن : نادر فرجاني، 1999) .

وقد يكون العمل منفذاً وملجأ من جحيم التعليم بالنسبة إلى الطفل متعدد الرسوب - كما يرى (شعلان) - الذي يجد في التعليم وسيلة لقهره. ونظراً لأن الطفل ممتلئ بالطاقة والمشاعر؛ فالورشة تحرر الأطفال، وتحقق لهم السعادة، وتتحول بالنسبة إليهم إلى

طريق للتخلص من الدراسة التقليدية، ومن كآبة الحياة الأسرية في الفئات الدنيا (محمد شعلان، 1986) .

إن هذه الآراء وغيرها – والتي ترى أن عمالة الأطفال قد تكون لها آثار إيجابية – يجب أن نقبلها بتحفظ وحذر؛ ذلك أن اكتساب الطفل لأية مهارات من خلال العمل يكون على حساب مهارات أخرى يفقدها، ولا يستطيع اكتسابها فيما بعد، وكذلك حتى إذا تعلق الأمر بتعدد مرات الرسوب، فإن هناك وسائل أخرى وبدائل يمكن الأخذ بها بدلاً من الزج بالطفل في عمل شاق لا يتحمله نفسياً وبدنياً في هذه السن المبكرة، كذلك فإن التحفظ الأساسي على هذه الآراء يكمن في الخوف من أنها قد تكون بمثابة موقف تبريري لاستمرار الظاهرة وتفاقمها من قبل المستفيدين من عمالة الأطفال واستغلالهم. خاصة إذا ما صدرت هذه الآراء عن باحثين لهم ثقلهم العلمي في المجال .

الدراسات السابقة

رغم خطورة الظاهرة وبروزها في المجتمع المصري، فإن الدراسات التي تناولت عمالة الأطفال ظهرت متأخرة، حيث لم يتم التطرق إلى هذه المشكلة إلا في منتصف الثمانينيات حيث تعد دراسة أحمد عبدالله (1985) هي الدراسة الرائدة في مجال الدراسات التي تناولت عمل الأطفال في مصر، حيث تم إجراؤها على الأطفال من ورش صناعة دباغة الجلود بمنطقة مصر القديمة. وشملت الدراسة 50 طفلاً، تراوحت أعمارهم بين 5 – 15 عاماً، بالإضافة إلى 50 أسرة بها أطفال عاملون، و 50 أسرة تضم أطفالاً ملتحقين بالدراسة. وأشارت النتائج إلى أن الحاجة للمال كانت أكبر الأسباب المؤدية إلى عمل الطفل، سواء من وجهة نظر الأطفال 50٪ أو من وجهة نظر الأسرة 90٪ (أحمد عبدالله، 1985) .

وبعد دراسة أحمد عبدالله، تم التطرق إلى الموضوع بشكل أكثر شمولاً. وتعتبر دراسة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالتعاون مع اليونيسيف عام 1991 من أهم الدراسات عن عمل الأطفال في الوحدات الإنتاجية الصغيرة. وقد أجريت الدراسة في المجال الحضري للقاهرة الكبرى على 566 طفلاً عاملاً في صناعات مختلفة، وذلك في

الفئة العمرية (6 – 10) سنوات وأشارت الدراسة في نتائجها إلى أن تركيب الأسرة لدى أفراد العينة اتسم بزيادة الإنجاب وانخفاض المستوى التعليمي والاجتماعي والاقتصادي، وتبين أن الفشل في التعليم هو أهم أسباب العمل، يليه الرغبة في تعلم صنعة، ثم الحاجة لمساعدة الأهل (عادل عازر، ناهد رمزي وآخرون : 1991) .

وقامت نادية رشاد بدراسة عام (1994) عن عمالة الأطفال وعلاقتها بالتوافق النفسي على 87 طفلاً ممن يعملون بورش السيارات، وأشارت النتائج إلى أن معظم الأطفال المشتغلين يعانون من سوء التوافق المهني والأسري والصحي والشخصي (نادية رشاد، 1994) .

بالإضافة لهذه الدراسات، فهناك دراسات أخرى اهتمت بالأطفال العاملين، خاصة فيما يتعلق بالجوانب النفسية، مثل دراسة راندة عبداللطيف (1994) عن صورة الأسرة لدى الطفل العامل، وحسام الجارحي (1994) عن التوافق النفسي وتقدير الذات لدى الطفل العامل وطفل المدرسة. ودراسة ناهد رمزي (1995) عن الأبعاد النفسية لظاهرة عمالة الأطفال، وأخيراً دراسة سامي عبدالقوي ومنى أبو طيرة (1999) حول عمل الأطفال: دراسة نفسية اجتماعية .

إن هذه الدراسات وغيرها من الدراسات المهتمة بمجال عمالة الأطفال لها من الأهمية ما يجعلنا نرجو المزيد من الدراسات على هذه الفئة من الأطفال، حيث إن إلقاء الضوء على هذه المشكلة يجعل مؤسسات المجتمع المختلفة تتدخل وتشارك، ويضعها أمام مسئولية حل هذه المشكلة أو المساهمة في حلها .

الإطار المنهجي للدراسة

مفهوم الدراسة (الطفل العامل)

يقسم علماء النفس والاجتماع الطفولة إلى مراحل تنقسم إلى : طفولة مبكرة، وهي من الميلاد إلى سن الخامسة، ومتوسطة من الخامسة حتى التاسعة، ومتأخرة حتى الثانية عشرة. أي أن الطفولة تبدأ من لحظة الميلاد وحتى إتمام العام الثاني عشر، والطفل هو إنسان يحتاج إلى حماية من أجل نموه البدني والنفسي والفكري؛ حتى يصبح بمقدوره

الانضمام إلى عالم البالغين .

أما فيما يخص مفهوم الطفل العامل، فهو الذي يقع في المرحلة العمرية (6 – 14 سنة)، سواء كان يعمل بأجر، أو بدون، لدى أسرته أو لدى الغير، ولا يندرج في سلم التعليم (علا مصطفى 2001 ، 100) .

وهناك مفهوم آخر قدمه (سامي عبدالقوي ، منى أبو طيرة) أن الطفل العامل هو "الطفل الذي لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، والذي يعمل، أو يتم استخدامه من قبل أفراد آخرين بهدف الحصول على المال، وبحيث يكون قد مر عليه في هذا العمل مدة لا تقل عن 6 أشهر (سامي عبدالقوي، منى أبو طيرة، 1999 ، 25) .

إلا أن التعريف السابق الذي يشترط مرور 6 أشهر على الأقل لعمل الطفل كي نعتبره طفلاً عاملاً يعد شرطاً غير مقبول؛ لأن العمل هو قرار يتم اتخاذه، ويتم التصرف وفقاً لآلياته منذ أول يوم في العمل، كذلك فإن تعريف (علا مصطفى) والذي يستبعد جميع الأطفال الذين يعملون ويتعلمون من فئة الأطفال العاملين – رغم عدم توضيح طبيعة العمل وكيفيته – يجعلنا نقبله بتحفظ، فتعلم الطفل العامل لا ينفي كونه يعمل حيث يُستغل ويُمارس عليه قهر في أشكال متعددة. ومن غير المنطقي استبعاد هؤلاء الأطفال الذين يبذلون جهداً مضاعفاً في الحياة من فئة الأطفال العاملين، وعلى هذا فإن الطفل العامل في الدراسة الحالية هو "الطفل الذي يقع في المرحلة العمرية من (6 – 16 سنة) سواء كان يعمل بأجر، أو بدونه، لدى الأسرة، ولدى الغير، مندرجاً في سلم التعليم، أو غير مندرج" .

أدوات الدراسة

تم استخدام أداتين لجمع البيانات هما :

1- استبيان وصف الأوضاع

حيث تم إعداد استبيان لجمع البيانات، يهتم بوصف أوضاع الأطفال العاملين بمنطقة الخشابة، ويشمل عدة جوانب تتضمن البيانات الأساسية للطفل، ووصف الحالة التعليمية، ووصف الحالة العملية، وأخيراً اتجاهات الطفل نحو العمل والتعليم .

2- أداة لدراسة الحالة

في محاولة لاستكمال أكبر قدر من البيانات عن أوضاع الأطفال، تم إعداد أداة لدراسة الحالة، وتم تطبيقها على عدد محدود من الأطفال؛ بهدف الوصول إلى معلومات أكثر عمقاً وفهماً للظاهرة. وتشمل أداة دراسة الحالة وصفاً تفصيلياً لبيئة وعلاقة الطفل بصاحب الورشة، وبأقرانه العاملين معه، ونظام العمل داخل الورشة. وتتضمن دراسة الحالة كذلك بيئة الطفل المنزلية، وعلاقته بوالديه وإخوته واتجاهاته وطموحاته في الحياة والعمل .

عينة الدراسة

تم اختيار عينة الدراسة من الأطفال العاملين بمنطقة الخشابة التابعة لمركز المنيا بمحافظة المنيا، وتم اختيارها بناء على محكات أساسية روعي الالتزام بها قدر الإمكان، مع وجود مساحة للمرونة التي تلائم طبيعة الأعمال التي يقوم بها أفراد العينة. وأهم هذه المحكات :

1- اختيار عينة الأطفال من الذين تتراوح أعمارهم ما بين (6 – 16 سنة) التزاماً بتعريف الطفولة العاملة الذي تم تحديده في بداية الدراسة .

2- أن يكون الأطفال من العاملين في النطاق الجغرافي لمنطقة الخشابة .

3- أن يكون الأطفال من العاملين في ورش صناعية في المنطقة ومندرجين في دواليب عمل، ويخضعون لنفس الظروف التي يعمل بها الأطفال العاملون والمتعارف عليها في دراسات سابقة .

مواصفات العينة

تم اختيار عينة الدراسة من الأطفال العاملين في منطقة الخشابة. وقد بلغ إجمالي عينة الدراسة (58 حالة) تمت مقابلتهم، وطبق عليهم استبيان (وصف أوضاع الأطفال العاملين في الصناعة)، بالإضافة إلى عدد (15 حالة) تمت مقابلتهم، وأجريت معهم دراسات حالة متعمقة وتفصيلية، أي أن إجمالي عدد الحالات 73 حالة : وسيكون تحليلنا

منصباً على كل من البيانات الكمية التي تم استخراجها من الاستبيان، والبيانات الكيفية التي تم الخروج بها من دراسات الحالة. إلا أننا في مناقشتنا للنتائج، سنركز بشكل أساسي على البيانات الكمية، مع الاسترشاد والاستشهاد في أحيان كثيرة بنتائج البيانات الكيفية. وفيما يتعلق بالمدى العمري لأفراد العينة نجد أنه يتراوح ما بين (7 – 16 سنة) بمتوسط عمري 13,5 سنة .

وكانت العينة مقسمة فيما يتعلق بالنوع إلى 49 ذكوراً، حيث بلغت نسبتهم 84,5٪ من إجمالي العينة مقابل 9 إناث، وتبلغ نسبتهم 15,5٪ .

عرض نتائج الدراسة

أولاً : الخلفية الأسرية للأطفال العاملين

1- المهنة

تنوعت المهن الخاصة بأفراد العينة وفقاً لطبيعة وخصائص المهن في المنطقة، إلا أننا نلاحظ أن هناك عدداً ليس بالقليل من أفراد العينة لا يندرجون ضمن الأطفال العاملين في ورش ومؤسسات صناعية بالمعنى المتعارف عليه لطبيعة الورش وشكل العمل داخلها، إلا أننا قد دمجنا هذه الفئة ضمن عينة الدراسة؛ وذلك لأنها التمثيل الطبيعي لعمالة الأطفال في هذه المنطقة، حيث يوجد عدد كبير من الأطفال يعملون كباعة في محلات أو كباعة في أسواق الفاكهة والخضراوات، أو يعملون كتبّاعين ومناولين في الأسواق. ومن غير المنطقي تجاهل هذه الفئات من الأطفال العاملين؛ بدعوى عدم انتظامهم في ورش صناعية، خاصة وأن إمكانية التدخل بالرعاية في هذه المنطقة واردة ، ومن ثم كان من المهم عدم استبعاد أي فئات من الأطفال العاملين .

ونجد أن أكثر المهن استحواذاً على أعلى نسبة هي مهنة البائع الجائل بنسبة 22,4٪، تليها مهنة الميكانيكي بنسبة 20,7٪، إلا أن المهن الخاصة بصيانة السيارات بشكل عام (ميكانيكا – دوكو – سمكرة – كهرباء سيارات) تستحوذ على 36,2٪ من إجمالي عينة الدراسة. وهذه النتيجة تتسق مع ما تم الخروج به من نتائج حصر أولية لأهم الورش بالمنطقة، حيث تبين أن ورش صيانة السيارات هي الأكثر انتشاراً في المنطقة .

2- تركيب الأسرة

أظهرت الدراسة أن الأسر المكونة من 7 أفراد تستحوذ على أعلى نسبة في عينة الدراسة 31٪، تليها الأسر المكونة من 8 أفراد بنسبة 22,4٪، ثم الأسر المكونة من 5 أفراد 20,7٪، بينما نجد أن أقل نسبة لعدد أفراد الأسرة هي في الأسر المكونة من 3، 4، 10 أفراد بنسبة 3,4٪، ويبلغ متوسط عدد أفراد الأسرة في العينة الكلية حوالي 7 أفراد .

وإذا انتقلنا إلى تركيب الأسرة من حيث وجود الأب في الأسرة، أكدت النتائج أن 84,5٪ من أفراد عينة الدراسة لديها آباء متواجدون مع الأسرة. وهذه النسبة مرتفعة، بحيث تجعلنا نؤكد أن غياب الأب لا يلعب دوراً رئيساً في عمل الطفل، وإنما يرجع لمتغيرات أخرى سوف نستوضحها في حينها، بما يعني أن هناك عائلاً لهذه الأسر يقوم بحمايتها اقتصادياً واجتماعياً، ويشير كذلك إلى أن متغيرات من قبيل التفكك الأسري - والتي أشارت لها دراسات سابقة - وتسهم في خروج الأطفال للعمل تنتفي بدرجة كبيرة في عينة الدراسة .

ويؤكد هذا التصور - انتفاء التفكك الأسري في عينة الدراسة - أن معظم الأسر التي يغيب عنها الأب (6 أسر) يرجع لوفاة الأب، وأن هناك حالة واحدة فقط يغيب فيها الأب عن الأسرة نتيجة لطلاق الأم، حالتين نتيجة لسفر الأب للخارج .

واستكمالاً لهذا التصور، نجد أن نسبة الأسر التي توجد بها الأم تصل إلى 93٪، وهي نسبة مرتفعة، تشير إلى استقرار الهيكل الخاص بمؤسسة الأسرة في شكل أسرة طبيعية يتواجد بها الأب والأم والأطفال .

والأسر التي لا توجد بها الأم، يرجع غيابها إلى الوفاة (3 أسر)، وإلى طلاق الأم (أسرة واحدة فقط) .

3- عمل الأب والأم

وإذا انتقلنا لعمل الأب بوصفه العائل الرئيسي للأسرة، نجد أن معظم المهن التي يعمل بها الأب هي من المهن التي تدخل في المستوى السابع من الترتيب الاقتصادي/ الاجتماعي للمهن. وهذا يعني أن هذه الأعمال من المهن المتدنية اجتماعياً، حيث نجد أكثر

الأعمال انتشاراً في العينة هي العمل في الفلاحة بأجر والأعمال الخدمية، حيث تبلغ نسبة كل منهما في العينة 20,4٪، فالمستوى الاقتصادي لعينة الدراسة أقل من المتوسط، وهذا قد يعكس أحد أسباب عمل الأطفال في عينة الدراسة .

وفيما يتعلق بمدى اعتماد الأسرة على عمل الأم، نجد أن حوالي ثلث العينة تعتمد على عمل الأم؛ بوصفه دخلاً معيناً للأسرة بجوار عمل الأب. وهذا يعكس وجود مشكلة تتعلق بصعوبة اعتماد الأسرة على دخل الأب فقط؛ نتيجة لضعف المردود المادي لدخل الأب.

4- الخدمات الأساسية بالمسكن

فيما يتعلق بعدد حجرات المسكن الخاص بأسر أفراد العينة، أكدت النتائج أن 41,4٪ من أفراد العينة يسكنون في مسكن مكون من غرفتين، بينما نجد أن 22,4٪ من أفراد العينة يسكنون في غرفة واحدة. وتماثل هذه النسبة نسبة من يسكنون في مسكن واحد مكون من ثلاث غرف، بينما يسكن 6,9٪ من أفراد العينة في مسكن مكون من أربع غرف، أما من يسكنون في مسكن غرفه تزيد على أربع غرف، فيمثلون نسبة ضئيلة هي 6,8٪ من مجموع أفراد العينة، وهم غالباً يسكنون في منزل ريفي خاص بهم .

أما فيما يخص وجود دورة مياه بالمنزل، فتوضح النتائج أن 86,2٪ من مساكن أفراد العينة لديهم دورات مياه بمنازلهم، وهي نسبة – رغم ارتفاعها – تعكس أن هناك نقصاً في الخدمات الأساسية والضرورية في حياة نسبة من هذه الأسر (13,8٪)، وتشير أيضاً إلى أن هناك مشكلات حياتية متعلقة بالمسكن، وترتبط بمشكلات أخرى من قبيل النظافة والصحة ونوعية الحياة .

وعن الخدمات المرتبطة بالإنارة في منازل أسر أفراد العينة، نجد أن 86,2٪ من أفراد العينة يعتمدون على الكهرباء كوسيلة للإنارة في منازلهم، بينما هناك 13,8٪ من أفراد العينة تفتقد منازلهم الكهرباء كوسيلة للإنارة، وهذا يعكس كذلك تدني مستوى الخدمات لدى نسبة من أفراد العينة، سواء فيما يتعلق بدورات المياه، أو الكهرباء، حيث النسبة متساوية، بينما نجدها – كما سبق أن وضحنا – مرتفعة فيما يخص مصدر مياه الشرب. وكل هذا بدوره يؤثر في أشكال متعددة من تفاعلات وسلوكيات الأطفال، سواء في

الجانب الصحي ، أو جانب أسلوب حياتهم المرتبط بهذه الخدمات، ويعكس في نهاية الأمر نوعية الحياة المتدنية مقارنة بالجمهور العام الذي تعد هذه الخدمات من أبسط حقوقه في الحياة.

ثانياً : الحالة التعليمية

توضح النتائج أن 72,4٪ من أفراد العينة قد ذهب إلى المدرسة، وتركها، وأن حوالي 27,6٪ لم يدخلوا مدارس في حياتهم، وهي نسبة مرتفعة نسبياً، وتعكس وجود شريحة كبيرة من الأطفال العاملين لم يحصلوا على أي قدر من التعليم في حياتهم، فالتسرب من التعليم ليس مقتصراً على الأطفال الذين تركوا التعليم في مرحلة تعليمية معينة، وإنما يعني – وبشكل رئيسي – الأطفال الذين لم يدخلوا أي مرحلة دراسية في حياتهم؛ لأن هذا مؤشر ذو دلالة، يرتبط بمتغيرات اقتصادية واجتماعية أكثر من ارتباطه بمتغيرات الفشل في التعليم، التي تجعلها دراسات سابقة من العوامل الرئيسية في عمالة الأطفال. وهذا ما سوف نتبينه لاحقاً من خلال استعراض الأسباب التي أدت إلى تسرب الأطفال الذين التحقوا بالتعليم .

وبالنسبة إلى من التحقوا بالدراسة ثم تركوها في إحدى المراحل التعليمية، فنجد أن إجمالي نسبة من تسربوا من العملية التعليمية في المرحلة الابتدائية يصل إلى 59,5٪ من إجمالي المتسربين من التعليم، بينما نجد أن نسبة المتسربين في المرحلة الإعدادية تصل إلى 40,5٪ ، ونجد أن أعلى سنوات التسرب بشكل عام هي الصف الخامس الابتدائي، حيث تصل نسبة المتسربين فيه إلى 19٪ .

وإذا انتقلنا إلى تحديد أهم الأسباب التي تدفع الأطفال لترك المدرسة؛ نجد أن هناك أسباباً متعددة لترك الطفل المدرسة، وأن هذه الأسباب قد تكون هي نفس الأسباب التي من أجلها يعمل الأطفال، حيث هناك 23,8٪ من الأطفال المتسربين قد تركوا المدرسة؛ لأنهم لا يحبون التعليم، وهناك 4,8٪ تركوا المدرسة للرغبة في الاستقلال اقتصادياً عن الأهل، و7٪ تركوا المدرسة؛ لأن المدرسين يضربونهم، و9,5٪ تركوا المدرسة؛ لأن الأهل دفعوهم إلى ذلك، وهناك 54,8٪ تركوا المدرسة؛ لرغبتهم في مساعدة أهلهم اقتصادياً .

ونجد أن هذه النتائج في مجملها تنقسم إلى محوريين رئيسين : الأول هو الخاص بالفشل في التعليم بشكل عام (كراهية المدرسة – صعوبة التعليم – سوء معاملة المدرسين). وهذا المحور يمثل 30,9٪ من الذين تسربوا من الدراسة واتجهوا للعمل. أما المحور الثاني فيتضمن الأسباب الاقتصادية التي تكمن خلف ترك الطفل للعمل (علشان أصرف على نفسي – أهلي خرجوني – علشان أساعد أهلي). ويمثل هذا المحور 69٪ من نسبة الأطفال الذين تركوا التعليم. أي أن المشكلات الاقتصادية هي من أهم الأسباب التي تؤدي إلى تسرب التلاميذ من التعليم، فالفقر يلعب الدور الأكثر أهمية في اضطرار الأهل لإخراج أبنائهم من المدرسة؛ بهدف أن يساعدهم الطفل في تحمل أعباء الحياة. وهذا السبب يشمل عدداً من الأسباب، مثل رغبة الطفل في أن يصرف على نفسه وأن يصبح مستقلاً اقتصادياً خاصة في ظل الاحتياج للمال والذي يمثل مشكلة لدى الأسرة، ويشمل كذلك وجهة نظره في الذين اضطروه إلى ترك المدرسة التي يرغب في استكمال التعليم فيها .

وإذا انتقلنا إلى الأسباب التي تكمن خلف عدم دخول الأطفال المدرسة بالنسبة إلى من لم يتعرض لخبرة التعليم، فنجد أن الفقر هو أكثر الأسباب بروزاً في جعل الأطفال لا يدخلون المدرسة ولا يتلقون أي قدر من التعليم، حيث نجد أن حوالي 31٪ من الأطفال الذين لم يدخلوا المدرسة يعزون أسباب عدم انخراطهم في التعليم إلى (عدم وجود فلوس للتعليم). وعلى الرغم من أن النسبة الأكبر 56,2٪ تعزي عدم دخولهم المدرسة إلى أن الأهل لم يرغبوا في إدخالهم المدرسة (أهلي ما دخلونيش) فإن هذا السبب ينطوي على متغيرات متعددة تكمن خلفه منها نظرة الأهل للتعليم بوصفه غير مُجدٍ، وأيضاً جاذبية أن ينخرط الطفل في مهنة يمتهنها منذ الصغر، إلا أن المتغير الأكثر ثقلاً هو فقر الأهل وعدم قدرتهم على دفع متطلبات التعليم الاقتصادية .

ثالثاً : وصف الحالة المهنية

العمل في حياة الطفل العامل هو محور حياته، وهو المهيمن تقريباً على طموحاته وآماله، وهو الذي يستحوذ على أكبر عدد من الساعات في يومه، وهو كذلك النشاط

الرئيسي الذي يستنفد جهد الطفل ونشاطه، وعلاقات العمل بالنسبة إلى الطفل العامل أكثر أهمية وقدرة على التأثير في حياته بشكل عام، فهو يقضي في العمل وقتاً أكبر مما يقضيه مع أسرته أو أصدقائه، ومن ثم فالعمل بمثابة الجماعة المرجعية للطفل، سواء فيما يتعلق بتكوين اتجاهاته أو تغيير سلوكه، أو فيما يتعلق بتحديد الخطوط الرئيسية لنسقه القيمي بشكل عام، لذلك فإننا سوف نتناول العمل هنا، ليس بوصفه مجرد نشاط في حياة الطفل، ولكن بوصفه النشاط الأساسي في حياته، والذي من خلاله يكتسب الطفل ملامح العامل، فهو الملازم للطفل، ولولا وجوده في حياة الطفل لما تناولنا مشكلاته من قريب أو بعيد .

أ- بدايات العمل :

توضح النتائج أن العمل يبدأ لدى 8,6٪ من أفراد العينة عند سن 5 سنوات، وهي سن مبكرة للغاية، لدرجة أن التعريفات الخاصة بعمالة الأطفال تستبعد أن يكون هناك أطفال يعملون دون سن السادسة، لذا فإن التعريفات المتداولة حول عمالة الأطفال تختلف في سقف العمر بالنسبة إلى الأطفال، إلا أنها تتفق تقريباً على أن الأطفال العاملين يقعون في المرحلة العمرية التي تبدأ عند ست سنوات. وتوضح كذلك النتائج أن حوالي 43٪ من أطفال العينة قد بدءوا عملهم وهم دون التاسعة؛ مما يعكس بدرجة واضحة طبيعة الظروف التي بدأ فيها هؤلاء الأطفال عملهم بحيث إنهم لم يتلقوا تقريباً أية خبرات اجتماعية في حياتهم، وأصبح العمل بمثابة الحضانة التي ينضج فيها، وتتكامل شخصيته ومعارفه وقدراته .

ويعد العمل الذي يمارسه ويمتهنه الأطفال هو العمل الأول الذي يعملون به لدى حوالي 62٪ من المشاركين في الدراسة، بينما هناك حوالي 38٪ قد انخرطوا في أعمال سابقة قبل مزاولتهم لعملهم الحالي .

وفيما يخص المدة الزمنية التي قضاها الطفل في عمله الحالي، نجد أن هناك 32,8٪ يعملون منذ أقل من عام، و32,8٪ أيضاً يعملون منذ ما يزيد على العام، إلا أنه لا يتخطى العامين، وهناك 12٪ من عينة الأطفال يعملون منذ ما يزيد على العامين، وهناك 22,4٪ يعملون منذ أكثر من ثلاث سنوات .

2- سياق العمل :

وإذا انتقلنا إلى عدد الأيام التي يعملها الأطفال خلال الأسبوع، نجد أن أغلبية العينة 67,2٪ يعملون ستة أيام في الأسبوع، إلا أن هناك 22,4٪ من العينة يعملون سبعة أيام في الأسبوع، ولا يأخذون إجازات، ويتركز معظم من يعملون سبعة أيام في الأسبوع في الأطفال الذين يعملون كباعة مجولين أو تباعين لسيارات النقل .

وبالنسبة إلى عدد الساعات التي يعملها الأطفال في اليوم الواحد، نجد أن 18,9٪ من العينة تعمل لمدة أقل من 7 ساعات، ونفس النسبة تعمل من (7 - 9 ساعات)، ويعمل أكثر من نصف عدد أطفال العينة من (10 - 12 ساعة) في اليوم، وهي مدة طويلة ومرهقة بالنسبة إلى العاملين البالغين، فما بال الأطفال الصغار؟! إن عملهم طيلة هذه المدة بشكل متواصل يؤثر على قدراتهم، ويشكل شخصيتهم بطريقة تجعل العمل هو أهم مصدر لحياتهم النفسية والاجتماعية، بالإضافة إلى المجهود البدني الذي يؤثر عليهم صحياً وبدنياً، بل إن هناك أطفالاً يعملون عدد ساعات يتعدى خمس عشرة ساعة في اليوم. وهذا وجدناه لدى الأطفال الذين يعملون في ورش الميكانيكا، حيث يبدأ الطفل يومه في الثامنة صباحاً في الورشة وينهيه في الثانية عشر مساءً .

وبالنسبة إلى الأجر الأسبوعي الذي يحصل عليه الطفل، فإن النتائج تُظهِر لنا أن هناك تبايناً بين أفراد العينة فيما يتعلق بالأجر الخاص بهم. وهذا قد يكون راجعاً لاختلاف المهن التي يمتهنها الأطفال، وكذلك لوجود شريحة منهم لا تعمل داخل ورش صناعية، وينخرطون في أعمال تجارية؛ مما يعكس التباين في الأجور. وهذا نراه واضحاً بحيث لا نلمح تجمعاً كبيراً للأطفال الذين في فئة واحدة للأجر باستثناء وجود 37,9٪ من العينة تأخذ من 15 - 20 جنيهاً في الأسبوع، إلا أننا نلاحظ أن ما يقرب من 75٪ من الأطفال يأخذون أجراً أسبوعياً لا يتعدى ثلاثين جنيهاً، أي راتباً شهرياً 120 جنيهاً، وهذا الراتب يعكس دون شك مدى المعاناة التي يعانيها هؤلاء الأطفال. فأكثر من نصفهم يعملون 12 ساعة يومياً، وأكثر من 70٪ منهم يأخذون راتباً لا يتجاوز 120 جنيهاً . وقد لا نبالغ إذا ما قلنا إن المعاناة تحولت إلى مأساة حقيقية يعيشها هؤلاء الأطفال بهذا الوضع المتدني والمؤلم .

وإذا انتقلنا إلى عملية الحراك المهني داخل الورشة، والتي تعكس مدى ما يتعلمه الطفل ويتقنه في العمل، وترتبط إلى حد كبير بالزيادة التي يأخذها الطفل في راتبه الأسبوعي، نجد أن 46,6٪ من أفراد العينة هم الذين استطاعوا الحصول على زيادة في رواتبهم أثناء مدة عملهم. أما بقية العينة 53,4٪ فلم يستطيعوا الحصول على أي زيادات في رواتهبم منذ عملهم حتى الآن .

3- الطفل في محيط العمل :

يتضمن محيط العمل الخاص بالطفل علاقته بأقرانه وعلاقته بصاحب العمل، وطبيعة عمله، والمجهود الذي يبذله في عمله من وجهة نظره، وكذلك طموحاته في هذا العمل .

وتبين النتائج أن هناك أطفالاً عاملين يعملون في نفس مكان عمل الطفل، حيث نجد أن 46,6٪ من عينة الدراسة يؤكدون وجود أطفال في نفس أعمارهم يعملون معهم نفس العمل .

وحول طبيعة عمل الطفل ومهامه في مكان العمل، يتضح من دراسات الحالة التي تم إجراؤها على عدد (15) طفلاً أن مهام الطفل تتراوح ما بين المساعدة والمناولة، وبين القيام بمهام صغيرة تتعلق بالفك أو الربط، وما إلى ذلك. وهذه المهام نجدها في ورش السيارات "أنا باناول العدة وبانضف المكان، ولكن الأسطى هو اللي بيقوم بفك وتركيب الماتور، والمعلم بيشرف على تكفيل الماتور والبساتم" .

أما في ورش (الدوكو) فإنهم يقومون بأعمال السنفرة ومناولة العدد، وأحياناً المعجون.

وفي أغلب الورش يقوم الأطفال بمهام فتح الورشة والتنظيف والكنس والمناولة، والأعمال الخدمية الأخرى، بجانب الأعمال السابقة، حيث يجب أن يكون دائماً بجوار الأسطى في كل كبيرة وصغيرة؛ وذلك حتى يتعلم الصنعة، إلا أنه أثناء عملية التعلم هذه فإن هناك مخاطر متعددة تحدث له منها، على سبيل المثال استنشاق الغازات السامة، وخاصة في ورش الدوكو، وأيضاً التعرض لمخاطر الدخان أو النار، كما في ورش الحدادة والخراطة. أي أن المهن تحتوي على قدر كبير من المخاطر يتعرض لها الطفل في هذه السن المبكرة لمدة طويلة في اليوم تكون في المتوسط 12 ساعة .

ومن وجهة نظر الطفل فإن الأمر يختلف، حيث يؤكد 44,8٪ من الأطفال أن الأعمال

التي يعملون بها فيها تعب ومشقة، بينما يشير 55,2٪ من العينة بأن أعمالهم لا تحتوي على قدر كبير من التعب .

وهذه النتيجة لا تتسق مع طبيعة الظروف التي يمر بها الأطفال في عملهم، فالعمل ينطوي على قدر كبير من المشقة. وهذا ما بينته دراسات الحالة في مواقع عمل الأطفال. إلا أن هذه النتيجة تتسق مع التركيبة النفسية لهؤلاء الأطفال الذين يرون أن عملهم يمثل درجة عالية من تحمل المسئولية مع الأهل، وأنهم بعملهم في هذه السن أصبحوا رجالاً لهم ما للرجال من خصائص، ومن ثم فإنهم غالباً ما يخفون مشاعر التعب البدني إذا ما تم سؤالهم بشكل مباشر، إلا أننا سوف نجد التعب البدني الذي يشعر به الأطفال واضحاً، من خلال اتجاهاتهم نحو العمل وسلوكهم الشخصي عقب عودتهم للمنزل، والذي يعكس -وبشكل غير مباشر - مدى إحساسهم بمشقة العمل.

وإذا انتقلنا إلى شكل التفاعل ما بين الطفل وصاحب العمل (أو الأسطوات)، نجد أن 74٪ من الأطفال يؤكدون أن صاحب العمل يعاملهم بشكل جيد، بينما يرى 25,9٪ أن صاحب العمل والأسطوات يسيئون معاملتهم، وتتراوح إساءة المعاملة ما بين الغلظة، والسب، والضرب .

وهذه النتيجة كانت تحتاج إلى مزيد من التدقيق من خلال، دراسات الحالة، حيث إن نسبية شكل المعاملة تمثل إشكالية في تعاملنا مع استجابات الأطفال، فوجهة نظر الطفل لأسلوب المعاملة تنعكس في رؤيته وتحديده لما هو سيئ وما هو حسن، فمثلاً نجد أن أحد الأطفال يوضح أسلوب تعامل صاحب الورشة معه فيما يلي : "صاحب الورشة جدع وبيحبني، بس لما اغلط بيضربني علشان أتعلم". فعلى الرغم من وقوع الأذى البدني على الأطفال، فإنه يرى في هذا الإيذاء البدني أسلوباً أمثل لتعلم الصنعة، وهو يرى أن صاحب الورشة في أسلوبه هذا ينطوي على نوع من الحب!

"صاحب الورشة بيحبني، وبيضربني بس لما اغلط، وبيزعق لي علشان اتعلم، ويكافئني لما اعمل حاجة كويسة"، أي أن قانون الثواب والعقاب أصبح مثالياً لدى الطفل، والعقاب هنا لا يكون إلا من خلال الضرب، وأصبح باتفاق الطرفين إن جاز التوصيف .

إن هذه الأمثلة وغيرها تعكس الإشكالية التي سبق أن تحدثنا عنها، وهي تحمل في

طياتها متغيرات سيكولوجية ترتبط بشخصية الطفل واتجاهاته، التي تتشكل في هذا السياق من العمل، والتي لا ترى غضاضة في الضرب، إلا أننا يجب أن نقرر أن هناك متغيرات أخرى ترتبط بصاحب العمل نفسه، وترتبط كذلك بسيكولوجية وضعه المهني، فهو يرى أنه رب العمل وأنه المسئول عن كل صغيرة وكبيرة وعلاقته بمرءوسيه تتجاوز العلاقة المهنية إلى علاقة سيادية يلعب فيها عدة أدوار متداخلة، ومن بينها دور الأب والسيد والراعي. وهذا ما يؤكده (أحمد عبدالله) حيث يقرر أن "أصحاب الورش يعرفون باسم "المعلمين". إن وجودهم الشخصي في العمل يقرر كل شيء يتعلق بالإرادة، كما أن وجود الطفل الحدث أو البروليتاريا الصغيرة يعزز من هذا الموقف، على الأقل من الناحية السيكولوجية ويخلق لأصحاب العمل نوعاً خاصاً بهم من أنواع الرضا المهني" (أحمد عبدالله، 1999، 151) .

وهذا التصور المرتبط باتجاه الطفل نحو صاحب العمل يمتد بالضرورة إلى رؤيته لأهمية عمله الذي يقوم، وبمدى كفاءته في هذا العمل، حيث يضخم الطفل من أهمية دوره في العمل، والذي ينعكس في كفاءة الطفل في مهنته، حيث يؤكد 70,7٪ من أفراد العينة أنهم على درجة عالية من الكفاءة، بينما يرى 3,4٪ فقط أنهم ليسوا على درجة عالية من الكفاءة، في حين يرى 25,9٪ أنهم على درجة متوسطة من الفكاءة في عملهم .

وإذا انتقلنا لوجهة نظر الطفل نحو صاحب العمل فيما يتعلق بإمكانية مساعدته في استقطاع جزء من الوقت لعملية التعلم أو الرعاية، نجد أن 67,2٪ من الأطفال يرون أن صاحب العمل يمكن أن يعطيهم جزءاً من الوقت للتعلم، بينما يرى 19٪ أن هذا غير متاح، في حين يرى 13,8٪ أنهم لا يعرفون على وجه الدقة إمكانية قيام صاحب العمل بهذا الأمر.

إن تأكيد ثلثي العينة على إمكانية قيام صاحب العمل بهذا الأمر لا يجب أن نأخذها كنتيجة مسلم بها، فهي تخضع هي الأخرى لرؤية الطفل لصاحب العمل وعلاقته به .

رابعاً : الاتجاهات نحو التعليم والعمل

يُنظر للاتجاه النفسي بوصفه "توجه ثابت أو منظم مستقر إلى حد ما، لمشاعر الفرد ومعارفه، واستعداده للقيام بأعمال معينة نحو أي موضوع من موضوعات التفكير، ويتمثل

في درجة القبول أو الرفض لهذا الموضوع" (عبداللطيف خليفة : 1993، 91) .

والاتجاه وفقاً لهذا المنظور يمكن أن يتسق مع سلوك الفرد الفعلي، وإن يكن هذا الاتساق يتوقف على كثير من المتغيرات الشخصية ومتغيرات السياق والمتغيرات الموقفية المختلفة. ومن هنا كان لدراسة الاتجاهات الخاصة بالأطفال العاملين أهمية كبيرة في دراستنا، حيث إننا يمكن من خلالها تبين أشكال السلوك الفعلي لدى الأطفال، ويمكن كذلك أن تمدنا بتأكيدات لنتائج تم الخروج بها من الدراسة، وأن تيسر لنا إمكانية التنبؤ العلمي بالأشكال المثلى للتدخل الخاص بالرعاية لهؤلاء الأطفال .

أ- الاتجاه نحو التعليم

يعكس الاتجاه نحو التعليم وجهة نظر الطفل للتعليم بشكل عام، ومدى استعداده لتلقي خبرات تنمي مهاراته، وتجعل معارفه أكثر اتساعاً .

تبين النتائج أن لدى الطفل رغبة في التعليم دون تحديد شكل هذا التعليم، حيث أكد 72,4٪ من أفراد العينة رغبتهم في التعليم (لو جت لي فرصة للتعليم مش هاضيعها) في حين أبدى 19٪ عدم رغبتهم في التعليم، بينما أشار 8,6٪ إلى عدم تحديدهم في رغبتهم لاستكمال التعليم أو عدم استكماله، وعلينا أن نشير إلى أن الاختيار الثالث يشير إلى (لا أعرف) ويعني أن هناك درجة ما من التردد، وهناك عدم قدرة على اتخاذ القرار .

وإذا انتقلنا إلى الوزن النسبي لأهمية التعليم مقارنة بتعلم صنعة، نجد أن الأمر يختلف، حيث أكد 50٪ من أفراد العينة أن (التعليم مامنهوش فايدة، المهم الواحد تبقى في إيده صنعة) في حين أبدى 44,8٪ عدم موافقتهم على هذا الأمر. وهذا وإن دل، فإنه يدل على أن هناك صراعاً لدى الأطفال ما بين التعليم كهدف والعمل كقيمة. وهنا نجد أن الكفة أصبحت لصالح العمل؛ لما يشتمل عليه من أهمية اقتصادية ودور اجتماعي مميز للطفل، وغالباً ما يضفي الطفل قيمه على عمله؛ ليخفي الدور والأهمية الاقتصادية لهذا العمل .

وهذا نجده واضحاً عندما تكون المقارنة بين التعليم والعائد المادي للعمل – وليس العمل ذاته – فهناك 32,8٪ فقط يوافقون على أن (التعليم مامنهوش فايدة، المهم الفلوس)، بينما لا يوافق 62٪ على هذا الرأي، ويضفون أهمية أعلى على التعليم، فعندما يتحول

العمل من كونه قيمة يحمل في جنباته أبعاداً اجتماعية ونفسية وتربوية إلى المردود الناتج عنه فقط (الفلوس) فإن الاتجاهات تتبدل وتتغير في اتجاه الإعلاء من قيمة التعليم .

وإذا انتقلنا إلى رؤية الطفل للمدرسة، بعد أن انفصل عنها، وأصبحت إمكانية العودة إليها شبه مستحيلة، نجد أن 65,5٪ يبدون ندمهم على خروجهم من المدرسة (كان نفسي أكمل في المدرسة وابقى حاجة كويسة)، وفي المقابل نجد 25,9٪ من الأطفال لا يبدون هذا الأسف على المدرسة .

إن هذا الأسف والندم على ترك الدراسة والتعلي، أو عدم المرور بخبرة التعليم، يعكس رغبة لدى الأطفال في التعلم، ويعكس كذلك وجود متغيرات أخرى اضطرتهم للخروج من المدرسة، خاصة متغيرات اقتصادية جعلتهم أو جعلت ذويهم يقصونهم عن التعليم، فالأطفال لم يتخذوا قرار الخروج من المدرسة بناء على رغبتهم الخاصة، أو نتيجة لكراهيتم للتعليم، قد تكون هذه الأسباب موجودة بالفعل، إلا أنها ليست الأسباب الرئيسة لترك الأطفال التعليم. وهذا يظهر في رؤيتهم لقرار ترك المدرسة، حيث نجد أن 34,5٪ من الأطفال أكدوا على أنهم تركوا الدراسة بناء على رغبتهم (أنا سبت المدرسة بمزاجي، واشتغلت بمزاجي)، في حين نجد أن 46,6٪ رفضوا هذا الرأي، بينما نجد أن 19٪ من أفراد العينة لم يستطيعوا أن يحددوا أياً من الرأيين. وهذه النسبة مرتفعة نتيجة أن هناك نسبة من الأطفال العاملين لم يدخلوا المدرسة أصلاً، ومن ثم لم يتركوها، فكانت استجاباتهم (لا أعرف) أي أن قرار عدم التعلم لم يكن وقتها في أيديهم .

2- اتجاهاته نحو رؤسائه وأقرانه في العمل

إن علاقة الطفل برؤسائه في العمل تنعكس في اتجاهاته نحوهم، وهذه الاتجاهات تأخذ متصل (التفضيل/ عدم التفضيل) لسلوكهم معه. وما يعنينا في هذا الجانب هو مدى إساءة استغلال الطفل من خلال الإيذاء بأشكاله المختلفة، والذي يبلغ قمته في شكل الإيذاء البدني. وعندما نحاول معرفة رأي الطفل في رئيسه في العمل (الأسطى) وخصاله المرتبطة برغبته الدائمة في إيذاء الطفل، نجد أن الطفل لا يرى في رئيسه في العمل شخصاً سادياً يضربه باستمرار، حيث نجد أن 8,6٪ فقط من الأطفال يؤكدون أن (الأسطى في الشغل بيضربني عمال على بطال) في حين يرفض 81٪ هذا الرأي .

وهذه النتيجة قد ترجع إلى أن الأطفال مقتنعون (بوظيفة الإيذاء البدني) أي أن الضرب تكون له وظيفة، وهي في حالة الخطأ في العمل، وبدافع من رغبة الأسطى في تعلم الصبي الصنعة. أما الضرب أو الإيذاء في المطلق، فهذا مرفوض وجوده في شخصية الأسطى .

واستمراراً لهذا التصور، فإن رأي الطفل في الأسطى فيما يتعلق بالجانب الإيجابي في شخصيته نجده مرتفعاً، حيث يؤكد 70,7٪ من العينة أن (الأسطى اللي باشتغل معاه طيب وما بيضربنيش)، في حين يؤكد 22,4٪ عدم موافقتهم على هذا الرأي. ونلمح في هذه النتيجة تراجعاً في درجة موافقة الطفل على عدم وجود الضرب، وذلك قد يرجع إلى أن هذا الاتجاه يعكس حالة الإيذاء البدني، ولكن في شكل متقطع، فالاستمرارية في الإيذاء قد انتفت، وكذلك لأن هناك سمة أخرى أدمجت في شخصية (الأسطى)، وهي أنه (طيب) وهي سمة تعكس وجهة نظر الطفل في شخصية رئيسه في العمل الذي قد لا يقوم بضربه باستمرار، ومع ذلك فهو غير (طيب) أي أنه يسلك سلوكاً مؤذياً بالنسبة إلى الطفل قد لا يكون بالضرورة سلوكاً متدرجاً في الإيذاء البدني، مما أدى في النهاية إلى تراجع نسبة الموافقة على عدم ضرب الأسطى من 81٪ إلى 70,7٪. أما إذا انتقلنا إلى وجهة نظر الطفل في سلوك رئيسه في العمل والمرتبط بالإيذاء البدني كرد فعل لخطأ الطفل – فكما سبق أن أشرنا – فإن اتجاه الطفل ينعكس من خلال رؤيته لوظيفية الضرب والإيذاء البدني، فالإيذاء البدني مشروط بسلوك سيئ يقوم به الطفل، وهنا نجد الأطفال يتحدثون بلا تحفظات عن حدوث مثل هذا السلوك، حيث يؤكد 46,6٪ من العينة (لما باعمل حاجة غلط باضّرب من الأسطى) في حين يرى 44,8٪ من العينة عدم حدوث الضرب، بينما لم يحدد 8,6٪ حدوث هذا من عدمه .

إن اشتراط وقوع الإيذاء البدني على الطفل بحدوث خطأ من جانبه يكون مقبولاً إلى حد كبير من وجهة نظر الطفل الذي يرى في رئيسه في العمل (الأسطى، والمعلم) النموذج الذي يحتذى به؛ وصولاً إلى تعلم المهنة وإتقانها، فمشروعية الضرب واردة؛ لأن التعليم لا يأتي إلا بهذه الآلية (آلية الإيذاء البدني) وهي نفس الآلية – التي استطاع من خلالها المعلم أو الأسطى أن يحقق إنجازاً علمياً في الحياة، فهو نفسه قد تعرض للضرب في الصغر.

وهكذا ينتقل ميراث العنف بين الأجيال، بحيث يكتسب مشروعية اجتماعية وتربوية، وبحيث لا يراه الطفل (أو المجتمع المحيط به) على أنه بمثابة اعتداء على شخصيته وكرامته. ولذا فإن حدوث هذا الإيذاء لا ينعكس بشكل واضح على تفاعل الطفل مع العاملين معه، فهو لا يراه عاملاً حاسماً في الابتعاد عنهم ولو على المستوى النفسي، فرؤساؤه في العمل وأقرانه هم حياته تقريباً، وهم الذين يقضون معه معظم ساعات يومه، ومن ثم فإن علاقته بهم حتى فيما يتعلق باتجاهاته الوجدانية نحوهم تتسم بالإيجابية .

إن نتائج هذا المحور تتكامل وتتسق في مجملها رغم عدم الاتساق الظاهري فيما بينها، خاصة إذا ما تم تفسيرها وفقاً لطبيعة وسيكولوجية الطفل واتجاهاته نحو عدد من الآليات وأهمها - كما أشرنا - آلية الإيذاء البدني، هذه الآلية التي تتناغم مع اتجاهات الأسرة واتجاهات المحيط الاجتماعي في العمل، ومن ثم فهي لا تعكس أي مردود سيكولوجي يتعلق بالرفض الصريح لهذا الاعتداء على الطفل من جانب رؤسائه في العمل، وإنما تتواءم مع الوظيفة التي تؤديها، مما ينتج عنها أشكال من التكيف داخل بيئة العمل، يظهر أثرها في عدم كراهية الطفل لهذا العمل بشكل صريح، وكذلك عدم نفوره الوجداني من المحيطين به في العمل حتى لو كانوا رؤساءه الذين يعتدون عليه بالضرب .

3- اتجاهاته نحو طبيعة العمل

إن اتجاهات الطفل نحو طبيعة العمل الذي يقوم به تعكس بدرجة ملحوظة مدى رغبة الطفل في هذا العمل بوصفه قيمة في حد ذاته بجانب أهميته المادية بالنسبة إلى الطفل وأسرته، فعلى الرغم من العبء النفسي والبدني الذي يمثله العمل، فإن الطفل لا يعتبر هذا مبرراً لترك العمل خشية البطالة، وخشية أن يمثل الطفل عبئاً على أسرته، بعد أن كان مساهماً أساسياً في تحمل المسئولية أو شريكاً فيها على الأقل .

ونجد هذا واضحاً في درجة ارتباط الطفل بعمله وعدم رغبته في تركه (أنا باحب الشغلانة دي ومش عايز اسيبها) حيث نجد أن 82,8٪ من عينة الدراسة توافق على هذا الرأي، في مقابل 15,5٪ ترفضه .

إن الاتجاه الوجداني نحو العمل والمتمثل في الحب والرغبة في هذه المهنة هو اتجاه

معرفي وسلوكي أيضاً، حيث الحب هنا يعكس درجة التفضيل الذي يظهر في النتيجة السابقة .

وإذا ما انتقلنا إلى درجة أخرى من درجات التفضيل المرتبطة بعملية المقارنة بين هذا العمل وعمل آخر يحبه، نجد أن 34,5٪ من عينة الأطفال تفضل ترك العمل الذي تعمل به حالياً، والانخراط في عمل آخر يكون أفضل بالنسبة إليهم، ولكن نجد في المقابل أن هناك 63,8٪ يفضلون البقاء في عملهم الحالي الذي يفضلونه .

نلاحظ هنا أن درجة رفض ترك العمل قد قلت مقارنة بالنتيجة السابقة؛ لأن التفضيل هنا يرتبط بإمكانية العمل في مكان آخر يفضله الطفل، بينما التفضيل في النتيجة السابقة كان يتعلق برفض ترك المهنة دون وجود إشارة لبديل آخر؛ مما أدى إلى توتر مرتبط بعدم وجود عمل، وانعكس بالضرورة في الخوف من ترك هذا العمل .

وإذ انتقلنا إلى المقارنة بين المجهود الذي يبذله الطفل في هذا العمل والعائد المادي الذي يحصل عليه، نجد أن 44,8٪ من العينة توافق على أن (التعب اللي في الشغل ما يساويش الفلوس اللي باخدها) بينما ترى 46,6٪ من العينة أن العائد المادي يوازي ما يبذلونه من جهد في العمل، في حين لم يحدد 8,6٪ اختيارهم بدقة .

أما إذا ما تمت مناقشة مسألة التعب والجهد المبذولين دون مقارنتهما بالعائد المادي، نجد أن هناك 48,3٪ من عينة الدراسة يرغبون في عمل يكون أقل تعباً ومجهوداً من هذا العمل (نفسي في شغلانة تريحني بدل الشغلانة دي) بينما نجد 44,8٪ يفضلون البقاء في أعمالهم التي يعملون بها .

هذه النتيجة والنتيجة التي سبقتها تعكسان أن هناك تعباً ومجهوداً يبذلهما الطفل في عمله، وأن هناك حوالي نصف عينة الأطفال يرغبون في ترك عملهم نتيجة للتعب الذي يلاقونه في هذا العمل، وهي نسبة مرتفعة إذا ما وضعنا في الحسبان درجة تمسك الطفل بهذا العمل وخوفه الشديد من تركه، بما يحمله ترك العمل من آثار اقتصادية واجتماعية عليه وعلى أسرته .

واستمراراً لمناقشة هذه النقطة - الخاصة بالمجهود البدني - نجد الأثر السلبي لطول فترة العمل اليومي على الطفل ورغبته في أن يعود لبيته مبكراً، حيث يرغب 65,5٪ من

عينة الدراسة في عدم التأخر في عملهم (نفسي أروح بدري وما اتأخرش في الشغل) بينما لا يبدي 29,3٪ أي تذمر من مسألة تأخرهم في العمل .

إن طول فترة العمل اليومي لدى أطفال العينة تظهر في رغبتهم في الذهاب للمنزل مبكراً، وترتبط بالضرورة بالتعب البدني في العمل، وكما سبق أن أشرنا فإن متوسط يوم العمل لدى أطفال العينة تتراوح ما بين (10 -12) ساعة، ويصل في أحيان كثيرة (كما أوضحت دراسات الحالة) إلى 15 ساعة عمل في اليوم. وهذا الوقت الطويل لا يعطي الطفل أي إمكانية لتنمية مهاراته الحياتية، بل لا يعطيه أي إمكانية للحياة أصلاً، فالطفل ينهي عمله، ويعود إلى البيت منهكاً؛ لينام ويقوم صباحاً؛ ليبدأ دورة الحياة المؤلمة التي لا تنتهي، وهذا ما تبيناه بجلاء في دراسات الحالة (أروح البيت واستحمى واتعشى وانام؛ لأني باكون ميت من التعب) هذه الجملة هي سرد لأسلوب حياة الطفل اليومي عقب انتهاء عمله.

ونجد هذه الصورة أكثر وضوحاً في البيانات الكمية، حيث يؤكد 82,8٪ من الأطفال العاملين هذا الأمر (باخلص الشغل واروح انام على طول) بينما يستكمل 12٪ من الأطفال باقي يومهم، والذي يكون غالباً مشاهدة التليفزيون .

وإذا انتقلنا إلى أهمية العمل من وجهة نظر الطفل، نجد أن للعمل دوراً اقتصادياً يتمثل في مساعدة الأسرة اقتصادياً، فحوالي 90٪ يرون أنهم يعملون لمساعدة الأهل (باشتغل علشان اساعد أهلي في المصاريف) بينما لا يرى حوالي 7٪ هذا الأمر. وبالإضافة لمساعدة الأسرة مادياً، فهناك سبب اقتصادي آخر يعد أساسياً في عمل الطفل، وهو الاكتفاء الذاتي مادياً، والاستقلال عن الأسرة اقتصادياً، فبجانب مساعدة الأسرة لا بد أولاً أن يستقل الطفل مادياً عن الأسرة، فهناك حوالي 95٪ من العينة ترى أن (الواحد لازم يشتغل عشان يصرف على نفسه) حيث يظهر العمل بوصفه محققاً لاستقلالية الطفل اقتصادياً، وكذلك تظهر قيمته في مساعدة الأسرة، وهو هنا بمثابة قيمة اقتصادية واجتماعية معاً .

وعلينا أن نوضح أننا هنا لسنا بصدد تحديد لأسباب العمل من وجهة نظر الطفل (حيث تم استعراضها في محور سابق) وإنما تحديد الدور الذي يؤديه العمل في حياة الطفل، وكيف يراه الطفل. وهذا الدور مهم؛ حتى نستطيع فهم الكيفية التي يؤثر بها العمل

على الطفل، ويجعله متمسكاً به رغم ما به من مشقة، ورغم ما يحيط به من معاناة يتكبدها الطفل، ويحاول أن يهمشها ويستبعدها من خلال ميكانيزماته الدفاعية .

4- الطموحات والآمال :

كما يستحوذ العمل على حياة الطفل، استحوذ كذلك على أحلامه، وأصبحت الطموحات والآمال مرتبطة بما يمكن أن يحققه الطفل في عمله، وأصبحت طموحات العمل هي أحلام المستقبل .

إن استعراض دراسات الحالة في جانبها المرتبط بأحلام الطفل وأماله نجدها تعكس هذا الأمر بجلاء، فطموحات الأطفال في العمل عبارة عن (نفسي أبقى أسطى ميكانيكي - يبقى عندي ورشة - صنايعي كويس واعمل شغل مية مية ..).

هذا عن أحلامه في العمل وطموحاته، فماذا عن طموحاته في المستقبل وتطلعاته؟ (نفسي ابقى أسطى كبير ويبقى معايا فلوس واتجوز - يكون عندي عربية واتجوز - يبقى عندي ورشة كبيرة - صنايعي كبير - عندي ورشة في البلد - يبقى عندي بيت كويس - أشتري مخزن واحط فيه مواتير) .

من الطبيعي والمنطقي أن تتقارب الطموحات وتتماهى فيما بينها، فالمستقبل هو العمل الذي يكد ويكدح فيه، ولا بد أن يكون هناك عائد لهذا التعب، وأن تكون الإثابة محققة إشباعاً على مستويات متعددة، أهمها أن يتوحد بالنموذج الأوحد في حياته وهو الأسطى، فلابد أن يتعلم الصنعة ويتقنها، وبعد ذلك يكون له ما للنموذج من صلاحيات. وهذا الحد لا يتأتى إلا بامتلاك ورشة تحقق له الاستقلالية بعيداً عن منغصات العمل الحالي، وتحقق له كذلك الأمان المادي الذي من خلاله يستطيع أن يحقق رفاهيته. وهذه لن تتحقق إلا بامتلاك الأشياء والزواج .

واللافت للنظر أن يكون الزواج هو الطموح الوحيد البعيد تقريباً الذي يخرج عن إطار العمل ومرجعياته، فكل الطموحات والأحلام تدور في فلك العمل، إلا أن هذا يمكن فهمه من خلال مكانيته بين هذه الطموحات والأحلام، فهو دائماً ما يأتي في نهاية الطموحات ويكون معطوفاً عليها .

إن هذه الطموحات تعكس ضيق عالم الطفل العامل الذي لا يرى في العالم سوى الورشة التي يمكنها أن تحقق له كل أحلامه، لذلك فأحلامه لا يستطيع الفكاك من وطأتها، فاستحالة غيابها وحضورها الدائم في واقعه وفي أحلامه يعكسان الدائرة المفرغة التي يعيش فيها الطفل العامل، والتي تحتاج جهداً جهيداً لكسرها .

خاتمة

وبعد ... فإن هذه الدراسة بمثابة خطوة أولى لكشف الواقع ومحاولة استطلاعه، وهي تهدف إلى الوصف أكثر ما تهدف إلى التفسير والتحليل، إلا أننا انجذبنا للتفسير والتحليل في أحيان كثيرة، وهذا قد يكون مرده في الغالب ثراء النتائج التي خرجنا بها وعمق دلالاتها رغم صغر حجم العينة، فمحتوى المادة أحالنا إلى محاولة سبر غور نتائجها، وأدى بنا إلى الرغبة في التدخل لحماية ورعاية هؤلاء الأطفال. وهذه الرعاية لا تتأتي إلا من خلال آلية واقعية تلائم طبيعة وأسلوب حياة هؤلاء الأطفال، ومن خلال جهود تكاملية لجهات متعددة في المجتمع تتضافر سوياً لطرح خطط عملية لرعاية هذه الشريحة العمرية التي تعاني مشكلات عديدة على مستويات مختلفة .

إننا هنا لسنا بصدد طرح آلية محددة للتدخل، وإنما بصدد التنبيه بأن هناك شريحة من المجتمع تعاني أنواعاً من الحرمان، والتحذير من أن استمرارية هذا الوضع لن يؤثر فقط على هذه الشريحة، بل إن خطورته المجتمعية ستكون أفدح على مستويات متباينة، لذلك يجب أن تتآزر الجهود لدعم أوجه الرعاية المختلفة. والمجتمع المدني منوط بهذه القضية، وملتزم بها اجتماعياً، كما أن الدولة عليها دور رئيس في هذا الأمر رغم التراجعات المتتالية لدورها الحمائي؛ نتيجة لمتغيرات عولمية وغير عولمية .

المراجع

1- عبدالله ، أحمد (1885)، عمل الأطفال في الصناعة، ورقة مقدمة لندوة عمالة الطفل، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالتعاون مع اليونيسيف، القاهرة .

2- عبدالله ، أحمد (199)، عمالة الأطفال في مصر .. الظاهرة والمعالجة، ورشة عمل حول إشكاليات تطبيق اتفاقية حقوق الطفل في الواقع المصري، إميديست، القاهرة .

3- الجارحي ، حسام (1994)، التوافق النفسي ونقد الذات لدى الطفل العامل وطفل المدرسة في الريف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس .

4- عبداللطيف، راندة (1994)، صورة الأسرة لدى الطفل العامل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس .

5- يوسف ، زينب (1995)، الصحة وعمالة الأطفال، ورشة عامل حول الحد من عمالة الأطفال في مصر، القاهرة : وزارة القوى العاملة : مكتب العمل الدولي اليونيسيف .

6- عبدالقوي ، سامي ، مني أبو طيرة (1999)، عمل الأطفال (دراسة نفسية اجتماعية) دراسات نفسية مجـ 14،9، القاهرة .

7- عازر ، عادل / رمزي ، ناهد ، وآخرون (1991)، ظاهرة عمالة الأطفال، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة .

8- مصطفى ، علا (2000)، عمل الأطفال في مصر، ورقة قدمت للمؤتمر السنوي الثاني للاتحاد العام للجمعيات والمؤسسات الأهلية، مع اليونيسيف .

9- خليفة ، عبداللطيف (1993)، الاتجاهات النفسية، في (علم النفس الاجتماعي)، القاهرة، دار غريب.

10- شعلان ، محمد (1986)، عمل الطفل : الفوائد والمضار، ورقة قدمت لندوة عمالة الطفل، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية مع اليونيسيف ، القاهرة .

11- فرجاني ، نادر (1990)، عمل الأطفال في البلدان العربية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة .

12- فرجاني ، نادر (2000)، نحو مواجهة فعالة لعمالة الأطفال في البلدان العربية، مجلة أخبار الطفل العربي، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة .

13- رشاد ، نادية (1994)، عمالة الأطفال وعلاقتها بالتوافق النفسي، دراسة على الأطفال العاملين بالورش الصناعية، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس .

14- رمزي ، ناهد (1995)، الأبعاد النفسية لظاهرة عمالة الأطفال، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة .

15- مركز الأرض لحقوق الإنسان (إبريل 2001)، حجم ظاهرة عمالة الأطفال في مصر، ورشة عمل للمحامين وأعضاء المنظمات والجمعيات الأهلية في الريف المصري، القاهرة .

ظاهرة التسول في محافظة غزة

ميسون العطاونة الوحيدي

ترتبط ظاهرة الفقر وما ينبثق عنها من ظواهر اجتماعية - مثل التسول - بعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية. ومن العوامل السياسية لظاهرة الفقر بين الفلسطينيين نكبة عام 1948 وما رافقها من تهجير وتشريد لحوالي 60٪ من أبناء الشعب الفلسطيني، ونكسة حزيران عام 1967 وما نجم عنها من سيطرة الاحتلال العسكري الإسرائيلي على الجزء الباقي من الأراضي الفلسطينية. وقد قامت سلطات الاحتلال بسلسلة من الإجراءات والممارسات العنصرية، أدت إلى حدوث تخلف شديد في البنية التحتية للاقتصاد الفلسطيني، وتخلف قطاعي الزراعة والصناعة، وتشوهات في سوق العمل. وبدأت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ حرب الخليج عام 1991 - وبشكل أكثر اتساعاً بعد انطلاق عملية السلام - في تطبيق سياسة إغلاق سوق عملها في وجه العمال الفلسطينيين. وتركت هذه السياسة ولا تزال آثاراً ملموسة على واقع البطالة وعلى واقع الاقتصاد الفلسطيني ومستويات المعيشة للسكان. وقد زاد الأمر سوءاً نتيجة القيود المفروضة على المرحلة الانتقالية للاقتصاد الفلسطيني، بالإضافة إلى استمرار إجراءات الاحتلال في مصادرة الأراضي وهدم المنازل، وشق الطرق الالتفافية، والحصار العسكري والاقتصادي لمختلف المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية .

وبالرغم من زيادة عدد وحجم المشاريع الممولة من الدول المانحة بعد تأسيس السلطة

✪ مدير عام الأسرة والطفل ، وزارة الشئون الاجتماعية ، فلسطين

الوطنية الفلسطينية، وخصوصاً في محافظات غزة، والانتعاش الاقتصادي الظاهري المتمثل في زيادة كبيرة نسبياً في حجم المنشآت السياحية والصناعية والسكنية والشركات التجارية؛ فإن هذا الانتعاش اقتصر على فئة محدودة، ورافقه اتساع في الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وزيادة عدد الفقراء. وقد لوحظ في السنوات الأخيرة زيادة أعداد المتسولين في الأماكن العامة. وفي إحصائية صدرت عن وزارة الداخلية حول أعداد المتسولين في محافظات غزة لعام 1998، الذين تم ضبطهم - باعتبار التسول "جريمة" يعاقب عليها القانون - بلغ عددهم 157 متسولاً ومتسولة، من بينهم 134 متسولاً و23 متسولة. وجرى ضبط 62٪ من مجموع المتسولين في محافظتي غزة وشمال غزة .

وفي صيف عام 2000 رفع أصحاب المطاعم والفنادق والأماكن السياحية في محافظة غزة شكوى للمحافظ؛ بسبب تزايد أعداد المتسولين وباعة السلع الرخيصة، الذين يلاحقون زبائنهم، ويشكلون مظهراً غير حضاري وغير إنساني. وعلى أثر وصول هذه الشكوى، تقدم محافظ غزة بطلب من وزارة الشئون الاجتماعية، للتعاون في رصد ومكافحة هذه الظاهرة، فبادرت الوزارة بتشكيل لجنة برئاسة مدير عام الوزارة، وضمت ممثلين عن محافظة غزة ومديرية الشرطة، بالإضافة إلى ممثلين عن الإدارة العامة للأسرة والطفولة، والإدارة العامة للرعاية والتأهيل، ومديرية الشئون الاجتماعية في غزة. وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات انبثق عنها مجموعة من التوصيات، كانت إحداها إجراء دراسة ميدانية سريعة لهذه الظاهرة في محافظة غزة؛ وذلك للحصول على بيانات تساهم في التخطيط المستقبلي لمكافحة هذه الظاهرة .

وعلى صعيد القوانين لمعالجة هذه الظاهرة - فالقوانين السارية هي قوانين قديمة - يجري حالياً إعداد مشاريع قوانين جديدة، ومن بينها مشروع قانون العقوبات لعام 2001 وقد ورد في الفصل العاشر تحت عنوان "التسول والسكر والمقامرة" مادتان تتعلقان بالتسول، وهما المادة (280) وتنص على ما يلي : "يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر كل من اعتاد ممارسة التسول في أي مكان إذا كان في إمكانه الحصول على وسيلة مشروعة للعيش". والمادة (281) وتنص على ما يلي : "يعاقب بالحبس كل من استخدم في التسول بأية وسيلة حدثاً يقل سنه عن خمسة عشر عاماً" .

أهداف الدراسة والأسئلة وأداة البحث :

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف الخصائص الديمغرافية لفئة المتسولين في محافظة غزة، والأوضاع والعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي ترتبط بهذه الظاهرة، ورصد الأماكن والأوقات التي تبرز فيها؛ وذلك لتسليط الضوء حولها، والحصول على بيانات تساهم في وضع برامج فعالة على المستويين العلاجي والوقائي لمكافحة هذه الظاهرة .

أسئلة الدراسة :

- ما هي الخصائص الديمغرافية للمتسولين في محافظة غزة؟
- ما هي الظروف والعوامل الاجتماعية والاقتصادية وراء ظاهرة التسول؟
- ما هي الأماكن والأوقات التي تبرز فيها هذه الظاهرة؟

لتحقيق أهداف الدراسة صمم دليل مقابلة، اشتمل على المحاور نفسها الواردة بالاستبيان؛ بهدف إثراء العمل الميداني .

منهجية الدراسة :

استندت منهجية الدراسة إلى اختيار عينة بالطريقة العمدية، وشارك في عملية مقابلة المتسولين وتعبئة الاستمارات 23 مرشداً اجتماعياً من العاملين في مديرية الشئون الاجتماعية في محافظة غزة، خلال شهر أيلول عام 2000، وتألفت عينة الدراسة من مجموعة من المتسولين من مختلف الفئات العمرية من الجنسين يتواجدون بصفة مستمرة في الشوارع والأماكن العامة في محافظة غزة، وبلغ عددهم 84 متسولاً ومتسولة .

مفاهيم الدراسة :

التسول : هو عملية الاستجداء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ بهدف التكسب والحصول على مصدر دخل .

المتسول : هو كل شخص يقف في الأماكن العامة، ويستجدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ بهدف التكسب والحصول على مصدر دخل .

طفل الشارع : هو الطفل الذي عجزت أسرته عن إشباع حاجاته الأساسية الجسمية والنفسية والثقافية كنتاج لواقع اجتماعي اقتصادي تعيشه الأسرة في إطار نظام اجتماعي أشمل دفع به إلى واقع آخر، يمارس فيه أنواعاً من النشاطات لإشباع حاجاته من أجل البقاء .

عمالة أطفال الشوارع : الأنشطة الهامشية التي تؤديها فئة من الأطفال يوجدون بصفة مستمرة في الشارع؛ بهدف التكسب والحصول على مصدر دخل لهم أو لأسرهم. وهي أنشطة تسهم في استنزاف قوة عمل شريحة عمرية غير مرتبطة بالعملية الإنتاجية؛ مما يؤثر على مساهمة هذه الشريحة مستقبلاً في التطور الاجتماعي .

نتائج الدراسة الميدانية

تحددت نتائج الدراسة في المحاور التالية :

1- النتائج الخاصة بخصائص العينة .
2- النتائج الخاصة بالأوضاع والعوامل الاجتماعية والاقتصادية وراء ظاهرة التسول.
3- النتائج الخاصة بأماكن وأوقات التسول .

أولاً : النتائج الخاصة بخصائص العينة

تضمنت خصائص أفراد عينة الدراسة الجوانب التالية : الفئة العمرية، الجنس، الوضع التعليمي والصحي. **وتبين من نتائج الدراسة ما يلي :**

1- فيما يتعلق بالفئات العمرية، تراوحت أعمار أفراد عينة الدراسة ما بين (9 – 69 سنة)، وقد تبين أن نسبة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 18 سنة شكلت 20٪ من عينة الدراسة، وشكل البالغون من الفئة العمرية (18 – 59 سنة) نسبة 48٪، أما المسنون من الفئة العمرية (60 سنة فما فوق) بلغت نسبتهم 32٪ من أفراد عينة الدراسة .

2- وفيما يتعلق بالجنس، بلغت نسبة الذكور 61٪ أما الإناث فبلغت نسبتهن 39٪ من أفراد عينة الدراسة بشكل عام. وكانت أقل نسبة للإناث بين فئة الأطفال، حيث بلغت 12٪ من مجموع الأطفال في العينة .

3- وبالنسبة إلى الوضع التعليمي، أظهرت النتائج أن 24٪ من مجموع الأطفال في عينة الدراسة ملتحقون بالتعليم. أما الباقي فهم متسربون من المدرسة. وتبين من النتائج أن السببين الرئيسيين لتسرب الأطفال من ضمن أفراد العينة يعود بالدرجة الأولى إلى الفشل والرسوب في المدرسة. وتأتي الأسباب الاقتصادية بالدرجة الثانية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أهمية دور وزارة التربية والتعليم في توعية الطلاب بأهمية التعليم في توفير فرص أفضل للحياة الكريمة، وإلى خطورة التسرب على مستقبلهم؛ باعتباره مقدمة لوقوعهم ضحايا الإيذاء والاستغلال والانحراف، بالإضافة إلى دورها في تطوير نوعية التعليم وإتاحة فرص أكبر أمام الطلاب للنجاح، وتجنيبهم مرارة الفشل والرسوب في المدرسة، من خلال التشديد على أهمية إتقان المهارات الأساسية في المرحلة الأساسية الدنيا، حيث لا يشعر الطالب في الصفوف الأساسية الأولى بالإهانة من الرسوب بالقدر الذي يشعر به الطالب عندما يتجاوز هذه المرحلة، حيث يتزايد اهتمام الطالب بمجموعة الرفاق عند بلوغه سن العاشرة من عمره، ويزداد هذا الاهتمام في مرحلة المراهقة. وقد يؤدي رسوب الطالب في هذه المرحلة العمرية إلى الشعور بالألم والخسارة لفقدان مجموعة الرفاق، ومواجهة صعوبة الاندماج في مجموعة رفاق جديدة من الطلاب الأصغر سناً في صفه المعاد، هذا غير احتمال تعرضه للإيذاء النفسي من بعض الطلاب أو المعلمين أو أفراد الأسرة من خلال وصمه بالرسوب والفشل؛ مما يؤثر سلبياً على ثقته بذاته ورغبته في التعلم. وبشكل عام تبين أن 93٪ من مجموع أفراد العينة من كافة الأعمار هم أميون، أو لم يتجاوزوا المرحلة الأساسية في تعليمهم. وهذا يشير إلى وجود ارتباط بين الجهل وظاهرة التسول .

4- وبالنسبة إلى الوضع الصحي لأفراد عينة الدراسة، تبين من نتائج الدراسة أن 48٪ منهم يتمتعون بصحة جيدة، بينما 23٪ منهم يعانون من الإعاقات، ويعاني 17٪ منهم من مرض مزمن، وأن 13٪ منهم يعانون من مشاكل صحية غير مزمنة. تُشير النتائج إلى أن نصف المتسولين تقريباً هم من المعوقين أو المرضى؛ مما يجعلهم بحاجة إلى الخدمات التأهيلية والتأمين الصحي .

ثانياً : النتائج الخاصة بالأوضاع والعوامل الاجتماعية والاقتصادية

1- فيما يتعلق بموقع السكن لأفراد عينة الدراسة، فبالرغم من أن الدرسة الميدانية اقتصرت على محافظة غزة، فقد تبين أن 10٪ منهم يسكنون في محافظة رفح، التي تعتبر حسب إحصائيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أشد المحافظات فقراً. أما بقية أفراد العينة فيسكنون في محافظتي غزة وشمال غزة .

وتبين من النتائج أن 16٪ من أفراد العينة يعيشون في بيت مكون من غرفة واحدة، بينما 42٪ منهم يعيشون في بيت مكون من غرفتين، و42٪ منهم يتكون مسكنهم من 3 غرف فأكثر. وتبين أن 71٪ من البيوت التي تضم 3 غرف فأكثر هي مساكن مشتركة للعائلة الممتدة، أي تسكن فيها أكثر من أسرة واحدة. وأظهرت النتائج أن 31٪ من أسر المتسولين في عينة الدراسة لديها ما بين 6 - 8 أطفال، وهناك 21٪ من الأسر لديها 9 أطفال فأكثر، وهذا يشير إلى أن أكثر من نصف أسر المتسولين لديها عدد كبير من الأطفال؛ مما يزيد من نسبة اكتظاظ مساكنهم، ويزيد من وطأة الفقر عليهم .

وقد تبين من النتائج أن 82٪ من أفراد العينة من الأطفال لا يمارسون التسول في منطقة سكنهم، وهذا يزيد من معاناة الطفل الذي يكون مضطراً للسير على الأقدام لمسافات طويلة. أما البالغون من أفراد العينة فأجاب 67٪ منهم بأنهم لا يمارسون التسول في منطقة سكنهم .

2- فيما يتعلق بالحالة الاجتماعية لأفراد العينة تبين أن 32٪ من أفراد العينة الذين تزيد أعمارهم على 14 سنة من المتزوجين، بينما 20٪ من العازبين، وبلغت نسبة الأرامل والمطلقات والعوانس 29٪ .

تشير هذه النتائج إلى أن غالبية المتسولين من أفراد العينة هم من الفئات الضعيفة والمحرومة التي تنطبق عليها شروط المساعدات الاجتماعية المقدمة من وزارة الشئون الاجتماعية. وهذه الفئات هي أطفال ونساء ومسنون يعيشون في ظروف صعبة، بالإضافة إلى أشخاص معوقين أو مرضى أو أشخاص عاطلين عن العمل .

ومن العوامل الاجتماعية التي ارتبطت بظاهرة التسول وعمالة الشوارع عند الأطفال التفكك الأسري. فقد تبين أن 24٪ من الأطفال في عينة الدراسة يعانون من هذه المشكلة،

أما 18٪ منهم فيعانون من فقدان أحد الوالدين (اليتم)، و18٪ يعانون من عجز الوالدين عن الرعاية؛ بسبب المرض أو الإعاقة .

وفيما يتعلق بالجهة التي دفعت الطفل لممارسة التسول، فقد أكد 47٪ من الأطفال في عينة الدراسة أنهم يمارسونها من تلقاء أنفسهم، بينما أشار 53٪ منهم أن أحد الوالدين أو الأقارب دفعهم لذلك، وتبين أن 47٪ منهم يمارسون التسول المباشر، بينما 53٪ منهم يمارسون التسول غير المباشر من خلال عمالة الشوارع، حيث يقومون ببيع السلع الرخيصة في الشوارع والأماكن العامة .

وبالنسبة إلى الاتجاهات نحو التسول، أجاب 71٪ من أفراد العينة من الأطفال و60٪ من البالغين في العينة بأنهم لا يشعرون بالحياء أو الحرج من هذا السلوك. وتبين من النتائج أن هناك فرقاً بين الذكور والإناث في هذا الجانب، حيث أجابت 56٪ من الإناث، و23٪ من الذكور أنهم يشعرون بالحياء والحرج من التسول .

هذه النتائج تشير إلى أهمية تعاون المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والدينية ووسائل الإعلام في مكافحة هذه الظاهرة غير الحضارية التي تسيء إلى صورة المجتمع والإنسان الفلسطيني، وإلى دور هذه المؤسسات في تعزيز الشعور بالكرامة الإنسانية وعزة النفس والكبرياء لدى الطفل الفلسطيني، وإعلاء قيمة التعليم والعمل، والتحذير من خطورة هذه الظاهرة، وخصوصاً على الأطفال، حيث تعتبر من عوامل تعرضهم للإيذاء والاستغلال والانحراف .

3- ومن العوامل الاقتصادية التي ارتبطت بظاهرة التسول لدى أفراد عينة الدراسة كان الفقر، حيث أجاب 71٪ منهم أنه السبب الرئيسي الذي دفعهم للتسول، وأجاب 16٪ منهم بأنهم يعتبرون التسول مهنة مدرة للدخل، وذكر 6٪ منهم أن السبب هو البطالة .

وأظهرت نتائج الدراسة أن 93٪ من أفراد العينة البالغين هم من العاطلين عن العمل، بينما 7٪ منهم يعملون بشكل متقطع. وبالنسبة إلى مستوى الدخل أجاب 95٪ منهم بأن دخلهم متدنٍّ، ولا يكفي لتلبية احتياجاتهم الأساسية .

ثالثاً : النتائج الخاصة بأوقات وأماكن التسول

أ- فيما يتعلق بأوقات التسول، أجاب 53٪ من أفراد العينة من الأطفال أنهم

يتسولون في أيام العطل الصيفية والمناسبات الدينية، بينما أجاب 47٪ منهم أنهم يتسولون بشكل دائم. أما البالغون فتبين أن 68٪ منهم يتسولون بصورة دائمة، أما الباقي فيتسولون بشكل موسمي في المناسبات الدينية والعطل الرسمية .

2- وفيما يتعلق بأماكن التسول تبين أن نسبة أفراد العينة من الأطفال الذين يتسولون في الحدائق العامة بلغت 29٪، وقرب أماكن العبادة بنسبة 24٪، وفي الشوارع بنسبة 24٪، وحول الفنادق والأماكن السياحية بنسبة 18٪. أما البالغون فيتسولون بشكل رئيسي في الشوارع بنسبة 42٪، يليها قرب أماكن العبادة بنسبة 36٪. إن تواجد الأطفال المتسولين في الحدائق العامة من المحتمل أن يؤثر سلبياً على وضعهم النفسي، حيث يشاهدون الأطفال الآخرين وهم يرتدون الملابس الجميلة والنظيفة، ويلعبون ويمرحون، ويشترون الحلوى برفقة عائلاتهم. هذه المشاهد قد تخلق شعوراً بالنقص لدى الطفل المتسول، والشعور بالظلم والنقمة؛ مما قد يؤدي إلى حالة من الاغتراب وعدم الانتماء للمجتمع .

التوصيات

1- إجراء أبحاث ودراسات ميدانية لظاهرة التسول على مستوى وطني، وتأسيس قاعدة للبيانات والمعلومات في هذا المجال؛ وذلك لمتابعة هذه الظاهرة، والتخطيط لمكافحتها.

2- تطوير مشاريع القوانين المقترحة لمعالجة هذه الظاهرة بما يتناسب مع خصوصية كل فئة اجتماعية على انفراد، بالإضافة إلى عدم وضع العقوبات المتعلقة بالتسول والسكر والمقامرة في فصل واحد كما ورد في مشروع قانون العقوبات لعام 2001؛ لأن الظاهرة الأولى تنجم غالباً عن ظروف بالغة الصعوبة، تجبر الإنسان في كثير من الأحيان على إراقة ماء وجهه وإهدار كرامته؛ من أجل الحصول على لقمة العيش. أما الظاهرتان الثانية والثالثة فهما غالباً ما تكونان نتيجة ظروف وعوامل مختلفة .

3- التنسيق والتعاون بين المنظمات الحكومية والأهلية والدولية؛ لوضع الخطط والبرامج التي تعالج ظاهرة التسول من منطلق شمولي وتكاملي، بمشاركة جميع الأطراف

المعنيـة، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الفئات العمرية، والأوضاع الاجتماعية والصحية، بالإضافة إلى خصوصية كل حالة على انفراد .

4- الاهتمام بالجانب الوقائي في مواجهة هذه الظاهرة ومنع استفحالها، وذلك من خلال تطوير النظام التعليمي وتعزيز قيمة التعليم، والتوعية بأهميته في توفير فرص أفضل للحياة الكريمة، وتطوير نوعية التعليم وربطه بالمهارات الحياتية، وتطبيق قانون التعليم الإلزامي لمكافحة التسرب من المدارس، بالإضافة إلى تطوير نظام الرعاية الاجتماعية للفئات الضعيفة والمحرومة، ودعم برامج التدريب والتأهيل، وبرامج مكافحة الفقر التي تساهم في خلق فرص عمل لاستيعاب القوى العاملة، وتطوير النظام الاقتصادي للحد من اتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء .

5- التوعية والتثقيف بخطورة هذه الظاهرة وآثارها السلبية، من خلال المناهج الدراسية، ووسائل الإعلام المختلفة، والمؤسسات الحكومية والأهلية، ودعوة أفراد المجتمع المحلي للمساهمة في مكافحة هذه الظاهرة غير الإنسانية، من خلال توجيه المتسولين إلى طلب المساعدة من الجهات المعنية، وعدم تشجيعهم على اتخاذها مهنة مدرة للدخل، ودعم الفئات المحتاجة مادياً، عبر نظام التكافل الاجتماعي؛ للمحافظة على كرامة المجتمع والإنسان الفلسطيني .

6- إجراء مسح طبي وصحي لعينة ممثلة من المتسولين؛ بهدف الكشف عن أثر الجوانب الصحية في دفع الفرد إلى احتراف التسول .

7- إجراء مسح طبي وعقلي لعينة ممثلة من المتسولين .

8- تشجيع إنشاء مؤسسات الإيداع، التي تستهدف إيواء المتسولين وإعادة تأهيلهم لحياة جديدة .

9- إجراء دراسة تشخيصية علاجية أسرية؛ بهدف استكشاف الأبعاد الأسرية لعينة من المتسولين، وتطبيق بعض برامج التأهيل الأسري لاستعادة أفرادها المتسولين .

ملف العدد

وسائل الإعلام وثقافة الطفل العربي (تقديم ملف العدد)

أ. د. سوزان القليني

الطفل العربي ووسائل الإعلام

عاطف عدلي العبد عبيد

قضايا في إعلام الطفولة

د. بلال عرابي

العلاقة بين الأطفال العرب والتليفزيون

د. ليلى عبد المجيد

وسائل الإعلام وثقافة الطفل العربي

أ.د. سوزان القليني ✪

ينظر إلى وسائل الإعلام على أنها إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية في أي مجتمع، حيث تعلب دوراً واسع النطاق في مجالات التثقيف والتعليم والإرشاد والتوجيه والإعلام والأخبار ، فضلاً عن دورها الأساسي في الترفيه والتسلية ، الذي يعد من أدوارها الأساسية وليست الثانوية ، خاصة في المجتمعات النامية ذات الدخل الاقتصادي المنخفض، والتي تقوم فيها وسائل الإعلام بدور مكمل أحياناً في التربية والتنشئة الاجتماعية ، وبدور بديل أحياناً لمؤسسات التنشئة الاجتماعية (كالأسرة والمدرسة ودور العبادة وغيرها) إذ لم تعد المؤسسات التقليدية مسئولة بمفردها عن تنشئة الطفل ورعايته تربوياً وثقافياً .

وتحتل ثقافة الطفل أهمية كبيرة عند الحديث عن رعاية الطفل العربي وتنشئته، خاصة أن الثقافة تتكون من أنماط سلوك وطرق تفكير وأساليب حياة ، كما أنها تتضمن أيضاً التكنولوجيا التي تتمثل في أدوات ومقتنيات اخترعها الإنسان لإشباع حاجاته ورغابته .

ولكل مجتمع إنساني ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات ، والتي تتضمن فنونه وعاداته وتقاليده ولغته وقيمه وتقنياته ، ويتم اكتساب الثقافة من جيل إلى آخر من خلال الاستماع إلى أفراد المجتمع ومن خلال مشاهدة السلوك وتقليده ، ومن خلال نقل هذه الخبرات من جيل إلى آخر عبر وسائل الإعلام العاملة في المجتمع .

✪ رئيس قسم الإعلام كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

ويشكل عصر الانفتاح الإعلامي والسموات المفتوحة والتزاحم الفضائي تحدياً كبيراً أمام ثقافة الطفل العربي. حيث انطلقت الفضائيات الأجنبية تحمل أنماطاً ثقافية ومنظومة قيمية وسلوكيات اجتماعية واستهلاكية دخيلة على المجتمعات العربية. ولم يعد خافياً على أحد أن القوى السياسية والاقتصادية المهيمنة على وسائل الإعلام الدولية العابرة للقارات تقوم بتوظيفها لخدمة مصالحها الاستراتيجية ؛ بهدف التأثير في الهوية الوطنية والقومية والثقافة العربية . ومن هذا المنطلق يقع على عاتق وسائل الإعلام العربية مسئولية التصدي لهذا الاختراق الثقافي، بتلبية احتياجات ورغبات واهتمامات الطفل العربي ، وأن تدخل حلبة الصراع متحدية لا متوقعة .

وبرصد واقع الإعلام العربي الموجه إلى الطفل العربي يمكن استخلاص ما يلي :

أولاً : الأنماط السلوكية والثقافة والتربوية في إعلام الطفل العربي

تقدم الأنماط السلوكية والثقافية والتربوية في برامج الأطفال بأسلوبين : **الأول** منهما بشكل صريح ، من خلال البرامج التنشيطية التي تقوم على الحوار بين مقدم البرنامج وضيوف البرنامج من الأطفال والكبار، من خلال الحديث المباشر لمقدم البرنامج، وأحياناً أخرى من خلال العرائس، باستخدامها كنموذج قدوة. والأسلوب **الثاني بشكل ضمني** من خلال تقديم القيم والسلوكيات بشكل غير مباشر في أفلام الكارتون والدراما بكل أنواعها، ومن خلال الأغنية ، وهي أكثر الأشكال تأثيراً في جمهور الأطفال. وقد توصلت نتائج الدراسات التحليلية إلى أن التليفزيونات العربية تحديداً - لأنها تعتمد على جزء من برامجها المقدمة للطفل على أفلام الكارتون الأجنبية - تهتم من خلال برامجها المنتجة محلياً ببث القيم الإيجابية واختيار شخصيات من واقع البيئة المحلية العربية تتسم بالصفات العربية الأصيلة ، كالشهامة والكرم ومساعدة الآخرين والانتماء إلى الأهل والوطن والاهتمام بالعمل وحب المعرفة والمعلومات وفعل الخير. إلا أن معظم القيم والأنماط الثقافية والسلوكيات السلبية كان مصدرها أفلام الكارتون المستوردة ، التي برز من خلالها العنف في شكل محبب إلى الأطفال وفي إطار كوميدي يجذب الطفل إليه .

وفي الوقت الذي يتم فيه تقديم هذه السلوكيات والأنماط الثقافية والقيمية في المنتج الأجنبي من خلال شخصيات محببة للطفل، تستخدم كنموذج قدوة يحتذي الطفل العربي

بسلوكها البطولي ويحدث بينهما درجة من التوحد بما يسمى Catatonic State وهي الدرجة التي يعجز عندها الطفل عن التمييز بين الواقع والخيال، ويتصور نفسه محل هذه الشخصية .. يسلك سلوكها، ويقتنع بآرائها، ويتوجه إلى الوجهة التي توجهه إليها. وفي الوقت الذي تقدم فيه القيم الأجنبية في المنتج الأجنبي بشكل يجذب الطفل إليها، نجد أنه على النقيض في الإنتاج العربي، تقدم القيم والسلوكيات في شكل حوارات وبرامج تنشيطية لا يقبل عليها الطفل في الأغلب الأعم؛ مما يجعل المنتج الأجنبي الموجه للطفل يتفوق في تحقيق أهدافه عن المنتج العربي .

ويلاحظ من تحليل البرامج العربية الموجهة للطفل أنها لا تهتم أو تضع في تخطيطها بناء صورة ذهنية محددة لدى الطفل، سواء عن مجتمعه المحلي، أو مجتمعه العربي، ولم تحدد الملامح الاجتماعية للأسرة أو المرأة العربية أو الطفل العربي عموماً، بينما ترسم أفلام الكارتون المستوردة بعض الصور السلبية عن المجتمعات العربية، حيث تبدأ عملية الغرس الثقافي Cultivation بتكوين صور نمطية ذهنية لدى الأطفال العرب عن مجتمعاتهم العربية مقارنة بالمجتمعات الخارجية ؛ مما يؤثر في الطفل العربي بشكل عام، ويزعزع انتماءه إلى وطنه العربي. ويجب ألا نغفل عن أن الدعاية الصهيونية المخططة لتشويه صورة العرب والمسلمين منذ سنة 1948 في وسائل الإعلام الغربية لم يغب عنها المواد المقدمة للطفل التي استغلتها أفضل استغلال ممكن، بما يعرف بالدعاية التثقيفية؛ حتى يحدث التكيف الثقافي المطلوب لتغيير قيم الطفل العربي .

ثانياً : القدرات البشرية العاملة في مجال إعلام الطفل العربي

تقع على عاتق القائم بالاتصال في المجال الإعلامي مهمات ومسئوليات عديدة، أهمها إحداث التأثير المطلوب من الرسالة الإعلامية للجمهور المستهدف. وإذا كان الجمهور هنا هو الطفل، فتكون المسئولية أكبر، والمهمة أخطر .. تستلزم الاستعانة بكفاءات بشرية متميزة ومتمكنة من أدواتها وقادرة على جذب الطفل والتعامل معه في كافة المراحل العمرية؛ لأنها تساهم بدورها في تشكيل وجدان الأطفال وتنشئتهم الاجتماعية والنفسية؛ ولذلك لا بد أن تتوافر في هذه القدرات البشرية مهارات فنية واتصاليه وإلمام بدراسات علم النفس وأصول التربية، وأن تخضع تلك الكفاءات البشرية لاختيارات دقيقة واختيار

وانتقاء، حيث تقع على عاتقهم مسئوليات كبيرة وخطيرة، فتتطلب منهم التوجه إلى الأطفال بالأسلوب والشكل المناسب لهم، واستخدام عناصر الجذب والإبهار في الرسالة الإعلامية الموجهة للطفل، وحث الأطفال على المشاركة في برامجهم؛ للانتفاع بها بما يعرف بـ"ديمقراطية الاتصال" التي تقوم على الانتفاع والمشاركة؛ مما يفرض على هؤلاء الإعلاميين مسئوليات ومقتضيات تدريبية مخططة علمياً على أعلى مستوى .

وقد خلص عديد من الدراسات العلمية التي أجريت على القائمين بالاتصال في مجال إعلام الطفل العربي إلى أن أكثر من نصفهم (حوالي 57,9٪) لم يحصلوا على دورات تدريبية متخصصة في مجالاتهم، كما لوحظ عدم وجود رضاء وظيفي، خاصة لمن يعمل في مجال برامج الأطفال، حيث يعامل مادياً معاملة أقل من نظرائه في نوعيات أخرى من البرامج. كما أظهرت نتائج الدراسات غياب الكتاب المتخصيصين في كتابة برامج ودراما الطفل، على الرغم مما يفرضه عصر السموات المفتوحة من ضرورة التخصص؛ حتى تستطيع هذه البرامج أن تتنافس مع مثيلتها الواردة من خلال الفضائيات الأجنبية، بالإضافة إلى ضعف الميزانيات المخصصة لبرامج الأطفال، الذي أدى إلى ضعف المضامين وعدم تحقق الرضاء الوظيفي لدى الكفاءات البشرية العاملة، فضلاً عن ضعف الإمكانيات التكنولوجية المتاحة لإعلام الطفل العربي .

هذا هو ملف الإعلام والطفل العربي الذي حاول الباحثون والمتخصصون من خلاله مناقشة إعلام الطفل العربي، من خلال العلاقة بين الأطفال العرب والتليفزيون، التي تناولتها د. ليلي عبد المجيد من مصر، والتي قامت برصد وتوصيف وتحليل الدراسات والبحوث الميدانية الخاصة بالعلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون، وتحديد مدى التطور الذي حدث في العلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون على مدى أربعة عقود أو ما يزيد. وقد اهتمت د.ليلى عبدالمجيد بتقييم الوضع الراهن للعلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون، من خلال ما انتهت إليه البحوث والدراسات الميدانية والخروج بمجموعة من الاستنتاجات حول مستقبل العلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون .

كما تناول د. بلال عرابي بعض القضايا المرتبطة بإعلام الطفولة، واهتم بالقضايا المرتبطة بثقافة الطفل، خاصة علاقته بالكتاب والقراءة. كما ناقش بأسلوب علمي تأثير الإعلانات على الطفل من خلال الاختراق الثقافي الذي يتعرض له أطفالنا العرب،

وانعكاسها على المستوى الاقتصادي واللغوي والقيمي والصحي. كما تعرضت الدراسة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وعلاقتهم بوسائل الإعلام .

وقد اهتم أ.د. عاطف العبد من مصر بدور وسائل الإعلام في إمداد الطفل العربي بالمعلومات، وأوضح أن التليفزيون يعتبر أداة هامة للتعليم المباشر؛ لأنه ينقل إلى الأفراد المعلومات والمعارف والأخبار المحلية المختلفة. كما تزداد أهميته في مجال تثقيف الطفل. وقدم من خلال ورقته نماذج من الدراسات التحليلية للمضامين الموجهة للأطفال ودورها في إمدادهم بالمعلومات .

ولعل هذا الملف **"الإعلام والطفل العربي"** يكتسب أهمية خاصة في عصر المعلومات والسموات المفتوحة، ويحتاج إلى مزيد من المساهمات العلمية والدراسات والأبحاث من أجل مستقبل أكثر إشراقاً للطفولة العربية .

المراجــع :

1- القليني ، سوزان ، "قراءات في مضامين البرامج الإذاعية والتليفزيونية الأنماط الثقافية والتربوية والسلوكية : البرامج التنشيطية والدرامية مثالاً "ورقة مقدمة إلى المؤتمر العربي حول "الإذاعة والتليفزيون والطفل" (تونس : اتحاد الإذاعات العربية، إبريل 2002).

2- عبد العظيم ، عزة ، "برامج الأطفال الإذاعية والكفاءات البشرية العاملة في مجال الإنتاج الإذاعي الموجه للطفل"، ورقة مقدمة إلى المؤتمر العربي حول "الإذاعة والتليفزيون والطفل"، (تونس : اتحاد الإذاعات العربية، إبريل 2002) .

3- Cortes, Carlos, (2000). The children are watching : How the media teach about diversity, Teachers College Press, New York.

الطفل ووسائل الإعلام*

أ.د. عاطف عدلي العبد عبيد**

اسمحوا لي في البداية أن أشكركم على حضوركم وعلى تشريفكم في هذه الجلسة العلمية، ونحن بصدد محاولة إلقاء نظرة أولية حول دور وسائل الإعلام في تثقيف الطفل، إذ تعد تنمية الطفولة العامل الأساسي في التنمية الشاملة؛ لأن الرعاية السليمة للطفولة تمثل المستقبل المزدهر لأي أمة، ويتطلب ذلك ضرورة الاستجابة لاحتياجات الطفل الأساسية، والاعتماد على التخطيط العلمي، وتوفير الموارد البشرية والمادية؛ لتنشئة الطفل ورعايته في مراحل النمو المختلفة. كما تشير الدراسات السابقة إلى انكماش نسبي في دور الأسرة في تربية الأطفال، وإلى ازدياد تعرض الأطفال لوسائل الإعلام، وخاصة التليفزيون، بل أصبح تعرضهم – للأسف – غير مخطط. فالأطفال يشاهدون التليفزيون معظم – إن لم يكن كل – ساعات الإرسال، ويشاهدون ما يناسبهم وما لا يناسبهم، ما يفيدهم وما يضرهم، بل إن بعض الأمهات يعتمدن على التليفزيون كجليس للأطفال أثناء القيام بالأعمال المنزلية. وتكمن الخطورة في جانبين، أولهما أن الأطفال يشاهدون في الغالب المواد التليفزيونية المعدة للكبار، وثانيهما أن هؤلاء الأطفال يجلسون بمفردهم أمام التليفزيون؛ لانشغال الأمهات عنهم، مما يزيد من احتمال التأثر بدرجة كبيرة. فالطفل لا

* محاضرة ألقيت بنادي الصحافة بوزارة الإعلام العمانية بدعوة وبرعاية معالي حمد الراشدي وزير الإعلام بسلطنة عمان يوم الثلاثاء 26 مارس 2002 .

** وكيل كلية الإعلام – جامعة القاهرة .

يجلس سلبياً أمام جهاز التليفزيون، وإنما - كما شبهه هوفمان - كقطعة الإسفنج التي تمتص كل ما تتعرض له، أو كما شبهت دراسة أخرى تأثير التليفزيون بأثر الحمام الدافئ الذي يجعله مستسلماً دون مقاومة لما يقدمه من أنماط وصور للأفراد والمواقف والسلوك. ولذلك تعلو الأصوات منتقدة وسائل الإعلام، وكأن وسائل الإعلام عليها القيام بدور الأب والأم. والحقيقة أن وسائل الإعلام تخاطب جماهير متنوعة، كما أن إدراك. رضاء الناس غاية لا تدرك وإذا أرادت وسائل الإعلام إرضاء كل الناس، فإنها لن ترضي أحداً، والمطلوب من الآباء والأمهات الجلوس مع أبنائهم ومتابعة عادات وأنماط تعرضهم لوسائل الإعلام لترشيدها .

وعلى الرغم من الانتقادات التي يحلو للبعض توجيهها إلى وسائل الإعلام بصفة عامة، والمضامين التي تقدمها للطفل بصفة خاصة، فإن البحوث العلمية أوضحت أنها تلعب دوراً هاماً في تثقيفه، من خلال إمداده بالمعلومات، وخلق آراء عنده عن الموضوعات الجديدة عليه، والمساهمة في تكوين صور ذهنية عن الأفراد والمنشآت والدول ... إلخ، وإشباع احتياجاته النفسية والاجتماعية على النحو الآتي :

أولاً : دور وسائل الإعلام في إمداد الطفل بالمعلومات :

إن عملية استقبال المعلومات تتركز في عدد من الأعضاء والأجهزة، هي أعضاء الاستقبال الحسي. وتختص هذه الأعضاء باستقبال المعلومات عن التغييرات في المناخ المحيط بالإنسان، وإعادة إرسالها في صورة متطورة إلى أجهزة التحليل والتعامل .

وعندما يولد الطفل، ويفتح عينيه على الحياة لأول مرة، فإن مخه سرعان ما يبدأ في استقبال واختزان المعلومات التي يراها حوله. وتعتبر هذه اللقطات السريعة عن العالم المحيط به، التي تسجل في المخ، من خلال حاسة النظر، أولى المصادر عن المعلومات. وقد ذكر بعض الخبراء أن المرء يحصل على المعلومات أو المعرفة الإنسانية عموماً عن طريق الحواس الخمس. وبعد عدة تجارب وجدوا أن الإنسان يحصل على معلوماته بالنسب المئوية الآتية : عن طريق البصر 75٪، عن طريق السمع 13٪، عن طريق اللمس 6٪، عن طريق الشم 3٪، وعن طريق التذوق 3٪ .

وعلى الرغم من أن مخ الإنسان يتميز بسعته الضخمة في اختزان المعلومات، فإن

حجمه يعتبر صغيراً جداً عند مقارنته بالكميات الضخمة من المعلومات في العالم، فالفرد لا يمكنه أن يتعلم إلا جزءاً بسيطاً من كل شيء معروف، ومع هذا فإن المخ البشري يستخدم فقط $\frac{1}{7}$ مقدرته الكلية خلال الفترة التي يعيشها الإنسان. وعلاوة على هذا، فإن مجرد تذكر قطع كثيرة من المعلومات لا يعني أن الفرد سوف يصبح شخصاً عالماً أو حكيماً؛ ذلك أن المعرفة والحكمة يمكن أن ينتجا فقط من فهم المعلومات واستخدامها. فالإنسان المتعلم والمفكر الذي يعرف كيفية ملاءمة معلوماته في نمط تفكير يقود إلى الأداء الذكي، والإنسان الحكيم هو الذي يمكنه تطبيق هذه الأنماط بطريقة بناءة على مشاكل الحياة .

أ- حول دور وسائل الإعلام في امداد الطفل بالمعلومات :

ونود في بداية المحاضرة أن نحدد بوضوح أننا نتحدث عن كيفية وصول المعلومات إلينا، فإذا كانت عن طريق وسائل الإعلام، فلابد أن نعترف أن لهذه الوسائل تأثيراً هاماً، سواء أكانت معلومات الفرد عميقة أم ضحلة، حيث نحصل على معلومات عن الناس والمشاكل والأحداث أساساً من وسائل الإعلام، ويزيد التعرض لوسائل الإعلام من معلومات الطفل، فمن المعروف أن الأفراد يخصصون في المتوسط لوسائل الإعلام ما لا يقل عن ست ساعات يومياً، ومن المحتم أن تعرض الفرد يومياً لهذه الوسائل لمدة ست ساعات يجعله يأخذ قدراً من المعلومات منها، ويحتفظ بها .

ولقد أوضحت عديد من الدراسات الميدانية العربية والأجنبية أن التعرض لوسائل الإعلام يزيد معلومات الفرد بصفة عامة والطفل بصفة خاصة، فالطفل لا يجلس سلبياً أمام جهاز التليفزيون مثلاً، وإنما كما سبق وذكرنا تشبيه هوفمان له كقطعة الإسفنج، التي تمتص كل ما تتعرض له، وهو ما أكدته بعض الدراسات التي أشارت إلى أن المعلومات التي يحصل عليها الفرد في الدراسة ضئيلة إذا ما قيست بالمعلومات المتنوعة التي يستقيها من وسائل الإعلام، وهو ما أكدته كذلك ندوتا : ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، حيث أوضحتا أن وسائل الإعلام المتعددة تمد الطفل بالمعلومات، وهي تختلف من حيث وظيفتها الإعلامية ومن حيث أثرها، خاصة إذا قيست بالمدة التي يقضيها الطالب في المدرسة، حيث التعليم القصدي، واعتبرناها لمدة أربع أو خمس ساعات، فإن وسائل

الإعلام تلاحقه أينما ذهب. ولهذا يفوق أثرها في الطفل أثر المدرسة فيه. ويكتسب التليفزيون أهمية خاصة بين وسائل الإعلام المختلفة، حيث يتميز بأهمية خاصة عند الطفل؛ لأنه جهاز قادر على الترفيه والتثقيف في وقت واحد، ومن ثم يؤثر على عقلية الطفل ووجدانه، ويعتبر أداة هامة للتعليم المباشر، إذ ينقل إلى الفرد المعلومات والمعارف والأخبار المحلية المختلفة، ويقدم له الكثير من عادات وتقاليد الجماعات والمجتمعات المختلفة. وتزداد أهمية التليفزيون في مجال تثقيف الطفل؛ لأنه يجذب انتباه الأطفال من سن سنتين تقريباً، ويقضي الأطفال فترة طويلة في مشاهدته، واحتل مكان باقي وسائل الإعلام، ولأنه يخاطب حاستين من الحواس، وهما حاستا البصر والسمع. ومن المعروف أن الوسيلة التي تخاطب أكثر من حاسة من حواس الطفل يكون أثرها التعليمي أكثر عمقاً ودواماً من الوسائل التي تخاطب حاسة واحدة فقط .

ب- نماذج من دور وسائل الإعلام في إمداد الطفل بالمعلومات :

ونحاول فيما يلي تقديم نماذج من الدراسات التحليلية والميدانية العربية التي تناولت دور وسائل الإعلام في إمداد الطفل بالمعلومات، إذ أشارت نتائج العديد من الدراسات العربية إلى الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في إمداد الطفل بالمعلومات. ونتناول ذلك من جانبين، أولهما : ماذا قدمت وسائل الإعلام للطفل من معلومات؟ وثانيهما تأثير هذه المعلومات على الأطفال. وذلك على النحو الآتي :

1- نماذج من الدراسات التحليلية للمضامين الموجهة للأطفال ودورها في إمدادهم بالمعلومات :

1/1 أجرينا دراسة حول دور التليفزيون في إمداد الطفل بالمعلومات من خلال برامج الأطفال، حيث حللنا المعلومات في كل برامج الأطفال في كل فترات الإرسال وأيامه خلال خمسة أشهر، وبلغ عدد المعلومات 961 معلومة موزعة على 22 موضوعاً، هي : المعلومات العلمية (18,4٪)، الفنية (13,4٪) التراجم (10,9٪)، الدينية (7,8٪)، الجغرافية (7,5٪)، الاقتصادية (5,7٪)، الرياضية (5٪)، الترويحية (4,8٪)، اللغوية، السياسية (3,6٪) لكل منهما، الطبية (3٪)، الأثرية (2,9٪)، الجو/ فضائية، الاجتماعية (2,4٪)، لكل منهما، العسكرية (1,8٪)، الكشفية والاتصالية

(1,5٪) لكل منهما ، الغذائية (1,4٪)، السكانية (1,1٪)، القانونية (0,5٪)، النفسية والأدبية (0,4٪) لكل منهما .

ووجدنا أن أهم القطاعات التي قدمت معلومات عنها في برامج الأطفال عينة الدراسة هي : الإنسان (15,5٪)، المواقع (31,2٪)، الحيوانات (12٪)، الأجهزة والآلات (10,2٪)، الأشياء المعنوية (7,8٪)، اللوحات الفنية (6,7٪)، الطيور (4,2٪)، الجماد (4٪)، الأعياد والمناسبات (2,3٪)، اللغات (3٪)، العرائس (2,7٪)، المنظمات (1,6٪)، النباتات (1,5٪)، الألوان (0,5٪)، الأقنعة (0,4٪)، وقطاعات أخرى متنوعة (13,4٪) .

كما تتوزع مصادر المعلومات في هذه البرامج على : أسرة البرنامج (72,1٪) الأطفال (17,4٪)، والضيوف (17,4٪) .

وتبين من التحليل أن هذه المعلومات أذيعت من خلال خمسة قوالب، هي : الحديث المباشر (49,9٪)، الراوي للصورة (19,7٪)، إجابات عن أسئلة (17,5٪)، حوار (7,7٪)، والقالب التمثيلي (5,2٪) .

ويعرف معلومات من التليفزيون 19,8٪ من الأطفال الذين يشاهدونه. وأهم المواد والبرامج التليفزيونية التي يعرفون معلومات منها هي : برامج الأطفال (69,7٪)، المباريات الرياضية (33,9٪)، المسلسلات العربية (31,1٪) ،والأفلام الأجنبية (27٪). وأرسل معلومات إلى برامج الأطفال (6,37٪) من مشاهديها وأهم مصادر هذه المعلومات هي : التليفزيون (19,3٪)، الصحف والمجلات (65,2٪)، الراديو (52,17٪)، والكتب والناس (20,43٪) لكل منهما .

2/1 كما وجدنا من دراسة تحليلية لثلاثة عشر برنامجاً كلفنا بإجرائها اتحاد إذاعات الدول العربية، وتذاع من سبع دول عربية، أن هذه البرامج تمد مشاهديها بالمعلومات: الاجتماعية والتعليمية والترويجية (10,34٪) لكل منها، العلمية (9,16٪)، التاريخية والجغرافية (8,06٪) لكل منهما، الرياضية واللغوية (6,90٪) لكل منهما، الفنية والغذائية (5,75٪) لكل منهما، الدينية (4,60٪)، الاقتصادية والطبية (2,45٪) لكل منهما، الأدبية والتراجم (2,3٪) لكل منهما، والمعلومات النفسية والإعلامية (1,15٪) لكل منهما .

3/1- وتبين من دراسة لمسلسلات رسوم الأطفال المتحركة في تليفزيون سلطنة عمان أن مسلسل الأرنب والمزارع الكسول تضمن المضامين : العلمية (54,96٪)، الثقافية (22,52٪)، الاقتصادية (9,92٪)، الوطنية (8,27٪) والاجتماعية (4,33٪) .
كما تضمن مسلسل روبي المضامين : الثقافية (47,17٪)، العلمية (28,25٪)، الاجتماعية (17,54٪)، الاقتصادية (3,87٪) والوطنية (3,17٪) .

2- نماذج من الدراسات الميدانية والتجريبية حول دور وسائل الإعلام في إمداد الأطفال بالمعلومات :

1/2- تبين من دراسة ميدانية على ألف من الأطفال بالمدارس الابتدائية أن 89٪ منهم يشاهدون التليفزيون، ويتدخل 80٪ من آبائهم في اختيار البرامج التي يشاهدونها، ويرى أولياء الأمور والآباء أن أطفالهم يكتسبون معارف ومعلومات عامة من مشاهدتهم للتليفزيون، حيث ينمي المدارك (26٪)، ويكسب المشاهدين المعلومات العامة (21٪) .

2/2- وتبين من الدراسة التي أجريناها حول دور التليفزيون في إمداد الطفل بالمعلومات من خلال برامج الأطفال، على 400 طفل وطفلة بالصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية بالحضر والريف؛ أن 95,75٪ من الأطفال يشاهدون التليفزيون، وتأكد وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين معرفة الإجابة الصحيحة على عشرة أسئلة معرفية وخمس صور ضمها اختبار المعلومات ومشاهدة برامج الأطفال بعد تثبيت تأثير كل من الاستماع إلى الراديو وقراءة الصحف، وتأكد وجود تأثير لمشاهدة برامج الأطفال التليفزيونية ومعرفة الإجابات الصحيحة، حيث روعي طرح أسئلة وردت معلومات عنها في هذه البرامج، ولا يتضمنها المنهج المدرسي .

3/2- وتبين من دراسة حول برنامج "افتح يا سمسم" على عينة من الأطفال، استخدموا كعينة ضابطة وعينة تجريبية في الوقت نفسه بأسلوب الاختبار القبلي البعدي، من خلال استمارة مماثلة لاختبار المعلومات قبل وبعد مشاهدتهم لعشر حلقات من البرنامج؛ تبين أن تأثيراً كبيراً حدث على مستوى معلومات ومعارف الأطفال في العينة التجريبية، إذ ازدادت درجاتهم جميعاً في الاختبار البعدي بعد تعرضهم

للمتغير التجريبي المتمثل في مشاهدة برنامج "افتح يا سمسم" عما كانت عليه في الاختبار القبلي، وبلغ الفرق في درجاتهم 940 درجة. ومما توصل إليه هذا البحث ما يلي :

* تبين أن النسبة المئوية للإجابات الصحيحة على المعارف اللغوية ارتفعت من 26,6٪ إلى 48,3٪ في الاختبار البعدي .
* وتبين أن النسبة المئوية للإجابات الصحيحة على المعارف العامة ارتفعت من 38,7٪ إلى 64,4٪ في الاختبار البعدي .
* وتبين ارتفاع معلومات الأطفال في الاختبار البعدي عن الاختبار القبلي في عدة مجالات أخرى، منها : الرياضيات والتمييز الإدراكي (39,6٪ ، 60,8٪)، جغرافية الوطن العربي (21,1٪ ، 48,9٪)، والعلوم (33,5٪ ، 52,5٪) .

4/2 وتبين من دراسة ميدانية على 360 طفلاً وطفلة أن الأطفال اكتسبوا مجموعة من المعلومات من قراءة مجلاتهم، تتمثل في : معلومات عن الحيوانات (10,2٪)، معلومات دينية (8,4٪)، معلومات عن الشخصيات التاريخية (6,4٪)، معلومات جغرافية (6,4٪)، الهوايات المختلفة (6,2٪)، النباتات (5,3٪)، الفضاء (4,9٪)، الموسيقى والموسيقيين (4,5٪)، التمثيل والفنانين (4,2٪)، الاكتشافات (4,1٪)، الحروب السابقة (3,9٪)، الرسم (3,6٪)، عادات الشعوب (3,4٪)، الطب (2,9٪)، الأدب والأدباء (1,5٪) ومعلومات عن السياسة (0,8٪) .

وخلاصة ما سبق أن المعلومات تحيط بنا في كل مكان ومن كل اتجاه، حتى أطلق البعض على عصرنا عصر الانفجار المعرفي، ذلك أن ثلاثة أرباع المعلومات والمعارف المتاحة اليوم لم تكن معروفة حتى الحرب العالمية الثانية. وتنمو المعلومات في هذا العصر، وتتضاعف في بعض المجالات كل خمسة عشر عاماً، كما أن طفل اليوم الذي سوف يتخرج في إحدى الكليات، سيجد حجم المعلومات قد تضاعف أربعة مرات عما كان عليه عندما كان طفلاً، وعندما يبلغ الخمسين، سيتضاعف هذا الحجم 33 مرة. هذه المعلومات التي تحيط بنا من كل جانب جعلتنا مثل السمك في المحيط، لا نستطيع أن نخرج أو نبتعد مدة طويلة عن محيط المعلومات. وتلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً – خاصة مع بدء عصر البث المباشر بالأقمار الصناعية – في تزويد الأفراد بشكل أو آخر بمعلومات عن الأحداث

والشخصيات والمواقع، بل يذهب البعض إلى القول بأن وسائل الإعلام تدفع المواطنين إلى الحصول على مزيد من المعلومات بشأن موضوعات معينة في ظروف خاصة. ويدللون على صحة ذلك من اتجاه الأمريكيين إلى وسائل الإعلام؛ لمعرفة معلومات عن جلطة الشريان التاجي، عندما عرفوا بإصابة الرئيس أيزنهاور بأزمة قلبية، ورغبوا في معرفة المزيد عن غزو الفضاء بعد إطلاق الأقمار الصناعية، ومزيد من المعلومات عن الغدة الدرقية بعد مرض الرئيس بوش (الأب) بها .

ثانياً : دور وسائل الإعلام في خلق آراء عن الموضوعات الجديدة عند الأطفال :

يرى بعض الباحثين أن وسائل الإعلام تستطيع خلق آراء عن الموضوعات الجديدة؛ لأن درجة وضوح الموضوع أو عدم ارتباطه بتجمعات، أو تمركز الاتجاهات الموجودة تجعله قادراً على التغلب على الصعوبات التي تقف عادة عقبة أمام التحول. فالفرد ليس مهيئاً لأن يرفض وجهة النظر التي سيسمعها حول موضوع جديد عليه؛ لأن العمليات الانتقائية - كالتعرض والاختيار والتذكر الانتقائي - لن تقف في تلك الحالة عقبة في وجه المعرفة، وإن كان من غير المحتمل أن تعاون تلك العمليات الرسالة على تحقيق التأثير .

وكما يقول جوبلز إن من يقول الكلمة الأولى للعالم على حق دائماً. وقد عبر بذلك عن إيمانه بأن وسائل الاتصال شديدة الفاعلية في خلق اتجاهات عن الموضوعات الجديدة التي تظهر أو تثار .

وتستطيع وسائل الإعلام خلق آراء عن الموضوعات الجديدة بدرجة أكبر بالنسبة إلى الأطفال فلقد وجد روز أن الأفلام والوسائل الأخرى التي تحث على التسامح العنصري كانت فعالة بشكل خاص بين الأطفال الذين لم يفكروا بعد في هذا الموضوع .

ووجدت هملوايت في دراستها الرائدة عن التليفزيون والطفل أن التليفزيون استطاع أن يؤثر على أفكار الأطفال الذين لم يكن عندهم معلومات سابقة عن الموضوع المعروض. وتقول هملوايت إن التليفزيون يمارس نفوذاً عندما لا تكون الصور والآراء التي قدمها قد وقرت في الأذهان والقلوب من قبل، وحين يسبغ من ألوان المعرفة ما لم يكن قد سبق الظفر به من مصادر أخرى. وتبين أن المواقف التي تعرض في الأفلام الأمريكية قد تؤثر كثيراً

على المراهقين، ولكنها قد تؤثر على الجماعات التي تصغرهم كثيراً في العمر؛ لأن اتجاهات الأطفال لم تتبلور بعدُ حيالَ أمور كثيرة .

ثالثاً : دور وسائل الإعلام في تكوين الصور الذهنية عند الأطفال :

أ- تعريف الصورة الذهنية :

يكون كل فرد العديد من الصور الذهنية نتيجة لتفاعله مع البيئة الحقيقية، كذا تختلف الصورة من شخص إلى آخر؛ لأن خبرة كل فرد لا يمكن أن تتشابه مع خبرة الآخرين، ومن ثم فإن كل فرد يشرح ويفسر خبرته في ضوء تجاربه وخبراته التي يكتسبها طوال حياته. والسؤال هو : ما هي الصورة الذهنية؟

يرى كينث بلدنج في كتابه الرائد : الصورة أن الصورة الذهنية تتكون من تفاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل، منها : المكان الذي يحيا فيه الفرد، موقعه من العالم الخارجي، العلاقات الشخصية وروابط الأسرة والجيران والأصدقاء المحيطة به، والزمان والمعلومات التاريخية والاجتماعية التي يحصل عليها .

ويعرف قاموس ويبستر الصورة الذهنية بأنها التقديم العقلي لأي شيء لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر، أو محاكاة لتجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة، أو تخيل لما أدركته حواس الرؤية أو السمع أو اللمس أو الشم أو التذوق .

والواقع أن الصورة الذهنية هي الناتج للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام معين أو جنس معين أو منشأة أو منظمة محلية أو دولية أو منهة معينة، أو أي شيء آخر معين؛ أن يكون له تأثير على حياة الإنسان. وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة. وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم. بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب فهي تمثل بالنسبة إلى أصحابها واقعاً صادقاً ينظرون من خلاله ما حولهم ويفهمونه، أو يقدرونه على أساسها .

ب- نماذج من الدراسات حول دور وسائل الإعلام في تكوين الصور الذهنية عند الأطفال :

يحصل الفرد على المعلومات والآراء والمواقف من وسائل الإعلام، وتساعده على تكوين

تصور للعالم الذي يحيا فيه، ويعتمد عليها - بالإضافة إلى خبراته - في تعرُّف الواقع المحيط به، ولذلك يقال إن حوالي 70٪ من الصور التي يبنيها الإنسان مستمدة من وسائل الإعلام الجماهيرية حيث تعد احتمالات تأثر الفرد بما يتعرض له من وسائل الإعلام احتمالات كبيرة؛ لأن لهذه الوسائل دوراً كبيراً في الطريقة التي نبني أو نشيد بمقتضاها تصورنا للعالم، حيث تلعب المعلومات التي تتناقلها وسائل الإعلام، خاصة تلك التي تتصف بالاستمرارية، دوراً في تكوين معارف الجمهور وانطباعاته، وتؤدي في النهاية - ربما بعد مناقشتها مع الذات والغير - إلى تشكيل الصور العقلية التي تؤثر في تصرفات الإنسان. ووسائل الإعلام لا تؤثر على حياتنا الثقافية فقط، بل إن الصور التي في مخيلتنا عن العالم والأفكار التي لدينا من تلك الصور لم تعد تستمد من تجربتنا المباشرة فقط، ولكن أصبح لوسائل الإعلام دور أساسي في تشكيلها .

وتعتبر الصور النمطية من أهم الأساليب التي يلجأ إليها الدعائي؛ لأن معرفة غالبية الناس بكثير من القضايا تعتمد في الأساس على هذه الصور النمطية للتأثير عليهم. ولقد نجحت الدعاية الصهيونية في تكوين صورة سلبية عن العربي، حيث صورته كأسمر، زائغ العينين، متآمراً وجباناً وعمل التليفزيون بالصورة والصوت على تقوية هذا الانطباع، في حين صور الإسرائيلي بأوصاف منها :شاب، نشط، محب للفكاهة، مجد، وشجاع .

وباختصار، تلعب وسائل الإعلام الجماهيرية دوراً رئيسياً في خلق الصورة المنطبعة في أذهان جمهورها، فهي النافذة التي تطل من خلالها الجماهير على العالم وعلى الأحداث المحلية والدولية؛ لأنها الامتداد الطبيعي لأبصارنا وأسماعنا على حد قول مارشال ماكلوهان. وأكثر من يكونون صوراً ذهنية عن الأفراد والدول والمهن من وسائل الإعلام هم الأطفال، إذ تقوم وسائل الإعلام الجماهيرية بتضخيم هذه الصورة بدرجة كبيرة وطبعها بقوة في الأذهان إلى حد أن القارئ أو المستمع أو المشاهد يشعر في أحيان كثيرة أنه التقى فعلاً باشخصيات التي تتناولها وسائل الإعلام، على الرغم من أنه لم يقابلها قط، فإننا ننشئ علاقات مع هؤلاء الأشخاص، كما ننشيء علاقات مع أصدقائنا .

وتقوم وسائل الإعلام بتبسيط المعلومات والمعارف الجديدة، وتقدمها للجمهور في جرعات سهلة الهضم؛ لعدم قدرة أي فرد على ملاحقة السيل الجارف من المعلومات التي تصله عبر وسائل الإعلام. وهو ما أكدته دراسة تحليلية لصورة الفلاح في الدراما

التليفزيونية، مع دراسة ميدانية على أطفال الصف السادس الابتدائي ببعض مدارس القاهرة إذ كون الأطفال صورة للفلاح مغايرة لواقعه ومستمدة من التليفزيون. ويتفق الناقد المعروف عبدالقادر القط مع ذلك، ويسمي هذا الفلاح فلاح الإذاعة أو فلاح التليفزيون، حيث هذه الصورة النمطية القائمة على مجرد التخيل البعيد عن طبيعة الواقع .

والخلاصة أن القدرة على الفهم وإدراك المعاني هما العاملان الأساسيان في تكوين الصورة الذهنية، التي هي المحصلة النهائية لفك الرموز والاستجابة للمؤثرات التي نتعرض لها. وستظل وسائل الإعلام الجماهيرية تلعب دوراً رئيسياً في إمداد الأطفال بصفة خاصة، والأفراد والشعوب بصفة عامة، بالمعلومات والرسائل التي تتكون منها الصورة المنطبعة. ومن المتوقع أن تزداد أهمية وسائل الإعلام في هذا الصدد مع البث المباشر بالأقمار الصناعية، الذي من بين أهداف بعض القائمين عليه تكوين صور ذهنية مدروسة لبلاد معينة وسلع محددة وقضايا مختلفة. ولن يجدوا أسهل من الأطفال لخلق صور ذهنية عندهم – كما يريدون – وهم في نفس الوقت أطفال اليوم شباب الغد نصف الحاضر وكل المستقبل .

رابعاً : مجالات التأثير السلبية لوسائل الإعلام على ثقافة الطفل :

يدفع تعدد الدراسات وتناقضها في مجال دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب إلى أخذ نتائجها بالحذر، حيث إن معظمها انتهت إلى احتمال أن يدفع العنف على الشاشة إلى عمل مشابه في واقع الحياة، بينما أوضحت بعضها أن ذلك يحدث في نطاق ضيق وظروف محددة، بل يرى البعض – ومنهم هالوران– أنه مما يدعو إلى السخرية أن نجعل وسائل الإعلام، وخاصة التليفزيون، كبش الفداء لأمراضنا الاجتماعية؛ لأن التليفزيون ليس السبب الرئيسي لنشر العنف بين أفراد المجتمع، حيث يقدم برامجه في وسط بيئة اجتماعية معقدة، يدخل في تشكيل القيم والأخلاقيات فيها عناصر وعوامل عديدة. ويجب أخذ هذه العوامل في الحسبان عند دراسة دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب .

ويتضح من الاطلاع على أهم الأدبيات في هذا الموضوع ازدياد الشكوى من العنف

في أجهزة الإعلام منذ الثلاثينيات ،حين ظهر ما سُمِّي بعنف هوليود الجديد، الذي ساد محتوى الأفلام في تلك الفترة. وبانتشار مشاهدة التليفزيون، توجه الاهتمام إلى الأفلام والمسلسلات التي تعرض (مشاهد عنف)؛ باعتبارها تساعد لا شعورياً على ارتكاب أعمال القسوة والتدمير والعنف. وتزداد أهمية التركيز على دراسة هذا المجال من مجالات تأثير وسائل الإعلام على ثقافة الطفل نتيجة للاقبال المستمر والمتزايد على مشاهدة الرسوم المتحركة، ومعظمها مستوردة ومتضمنه لعنف وقيم سلبية أشار إليها عديد من الدراسات التحليلية لمضمون وسائل الإعلام .

ومما يلفت النظر، ويثير القلق، وتتوفر فيه أدلة التكرار الواسع لأعمال العنف في وسائل الإعلام من ناحية، والإثارة التي تتضمنها البرامج والمضامين التي تتضمن العنف من ناحية أخرى؛ مما دفع إلى تزايد الاهتمام بدراسة آثار العنف في وسائل الإعلام على المجتمع عامة والشباب والأطفال خاصة. وأجريت منذ الثلاثينيات آلاف الدراسات، وعقدت مئات المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية؛ لمناقشة دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب، بينما توجد دراسات قليلة جداً في المكتبة الإعلامية العربية في هذا المجال .

وفي رأينا أن هناك ضرورة ملحة لدراسة مضمون المواد الإعلامية، بالإضافة إلى دراسة الجمهور عند تناول موضوع دور وسائل الإعلام في نشر الرعب والعنف والانحراف؛ لأن تأثير وسائل الإعلام ثمرة التفاعل الواقعي بين خصائص وسيلة الإعلام وخصائص جمهورها المستهدف، فالطفل أو الشاب ليس مخلوقاً سلبياً يعمل فيه التليفزيون كما تعمل الريح في الريشة، وليس من الإنصاف أن ينظر إلى التليفزيون على أنه السبب الوحيد للانحراف؛ لأن الانحراف سلوك معقد للغاية ينتج عن عوامل متشابكة لها جذورها في البيت وجماعات الأقران في المدرسة والمجتمع

تطور الاهتمام بدراسة دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب :

لقد دار – ولا يزال – نقاش حول تأثير وسائل الإعلام على جمهورها، ومعظمه حول تأثير التليفزيون في نشر العنف والرعب. وشارك في هذا النقاش – سواء بإبداء الآراء أو إجراء الدراسات – الباحثون الإعلاميون والاجتماعيون ورجال الإعلام والقضاء والصحة

النفسية والسياسة. ولعل من يرى حجم العنف والرعب وأفلام الجنس التي تتزايد أعدادها يوماً بعد يوم، يدهش من معارضة الأمريكيين عام 1868 لعرض فيلم الأرملة جونز لاحتوائه على قبلة واحدة ومن البدايات الهامة لدراسة دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب الاستقصاء الذي أعدته لجنة السناتور إيستس كيفوفر الفرعية عام 1952 حول جنوح الأحداث، واتهمت الشهادات التي أدلى بها الخبراء التليفزيون بأنه مسئول، ليس فقط لأنه يعرض العنف، ولكن لأنه يحث الأحداث على تقليده، وتلا ذلك دراسة عام 1954 تبين منها أن 70٪ من الآباء يلقون باللوم على قصص الجريمة وبرامج العنف، ويرون أنها وراء ظاهرة جناح الأحداث، كما يرى أحد القضاة في محاكم الأحداث في الولايات المتحدة أنها جعلت الشباب يخرجون عن طورهم؛ مما دفعه إلى منع أحد الشباب من رؤيتها؛ لعدم موافقة والديه عليها .

وزاد الاهتمام بهذه القضية عقب مقتل جون كنيدي عام 1963، وخصصت الحكومة الأمريكية مليون دولار؛ لدراسة قضية العنف على شاشات التليفزيون تحت عنوان (مشروع بحثي كبير : دراسة كبير الأطباء عن التليفزيون والسلوك الاجتماعي)، والذي انتهى إلى الإشارة إلى وجود التقاء بين البحوث العلمية التجريبية والميدانية بقيام علاقة سببية للعدوان على المدى القصير بين بعض الأطفال لمشاهدتهم العنف على الشاشة .

وفي عام 1964 أصدرت اللجنة التحقيقية البرلمانية التابعة لمجلس الشيوخ الأميريكي إنذاراً لأصحاب الإعلام التليفزيوني؛ للحد من العنف. وكما قال رئيس اللجنة إن ما يعرضه التليفزيون الأمريكي من مشاهد إجرامية زاد بنسبة 200٪ خلال السنوات العشر الأخيرة، وإن 25 مليوناً من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن الثانية عشرة يتعرضون لمثل هذه الجرائم يومياً. وفي عام 1975 منعت حكومة المكسيك أكثر من 30 برنامجاً وفيلماً؛ لامتلائها بالعنف، وساد الخوف من أن يحدث ما انتهت إليه إحدى الدراسات من أننا يجب ألا نتعجب عندما نجد أطفالاً وشباباً يستخدمون العنف أساساً لحل مشكلاتهم الشخصية طالما أنهم يرون كل يوم مشاهد حية بها موظفون رسميون يستخدمون العنف في تعاملهم مع مشكلات المجتمع .

ويتزايد الاهتمام يوماً بعد يوم بدراسة هذه القضية، سواء على المستوى الدولي، أو العربي. ومن أمثلة الدراسات التحليلية حول التليفزيون والعنف ما يلي :

- تابع شرام وزملاؤه البرامج التليفزيونية المختلفة خلال أسبوع في أربع محطات فوجدوا أن المضامين المخصصة للأطفال تتوزع على : الصور المتحركة (18٪)، الأفلام الغربية (13٪)، أفلام الجريمة (11٪)، أفلام خاصة ممتازة (10,5٪)، أخبار (7,75٪)، أفلام فكاهية مثيرة (5٪)، مغامرات (3٪)، أفلام سياحية (2٪) تمثيليات درامية (1,5٪)، موسيقى كلاسيكية (1,25٪)، ووجدوا أن المائة ساعة التي عرضت خلالها هذه المضامين تضمنت : 12 جريمة قتل، 16 معركة بالمسدسات، 21 شخصاً يصابون بالرصاص، 21 من الأعمال العنيفة والتضارب تتراوح بين الإصابة بالرصاص أو الضرب، 37 من مناظر الصراع والتضارب بالأيدي أو بأدوات مختلفة ومحاولات للخنق وصراع تحت الماء وتقييد اليدين، إصابة بسكين في الظهر، 4 محاولات للانتحار نجح منها ثلاث، 4 حوادث سقوط من مرتفعات عالية، حادثتين لسيارات تسقط من قمة جبل، محاولتين لدهس أشخاص بالسيارة عمداً، منظرين لجماهير متجمعة، وفي أحد المنظرين يشنقون رجلاً لم يرتكب إثماً، مريضاً هارباً من مستشفى الأمراض العقلية، يقوم بأعمال جنونية في طائرة ركاب، وحادثاً لرجل يسقط قتيلاً تحت سنابك حصان، وصوراً مختلفة لأعمال عنيفة، منها صراع في طائرة، وقاتلاً مأجوراً يتعقب ضحيته، وحادث سرقة ونشل، وامرأة تسقط من قطار ومنظر زلزال عنيف وموجة عالية من الماء، ومنظر إعدام بالمقصلة .
- وتوصلت هيلموايت وزملاؤها في دراستهم حول التليفزيون والطفل من فحص البرامج، التي يمكن أن يراها الأطفال من سن 10 – 14 سنة، قبل ذهابهم إلى النوم، وبين البرامج التي تعرض بعد ذهابهم إلى النوم بالتليفزيون المستقل وتليفزيون هيئة الاذاعة البريطانية؛ توصلت إلى عدة نتائج هامة، منها أن التليفزيون المستقل عرض ما يقرب من 84 تمثيلية شهرياً، بينما عرض تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية 48 تمثيلية معدة للبالغين، وخصصت كل من القناتين نحو خمس الوقت المخصص للدراما لمسلسلات الجريمة والبحث البوليسي. وتبين من تحليل بعض التمثيليات، وكذلك عشرة من أفلام الغرب الأمريكي وعشرة من برامج الجريمة والبحث البوليسي أن أحد الأفلام تضمن إطلاق 149 طلقة رصاص واختفاء العنف وراء قناع الفكاهة. وليست هناك محاولة

لتجنب مشاهد العنف إذ تبقى آلة التصوير على من أصيب، فترى الدم على يديه، وحبات من العرق على جبينه، وتسمع صوت شهيقه؛ باحثاً عن الهواء .

- وتبين من دراسة أجريت على أربع قنوات تليفزيونية تذيع 12 برنامجاً للأطفال أن هذه البرامج تضمنت 22 عملية اغتيال و16 معركة بالمسدسات والرشاشات و27 معركة بالأيدي و21 مشهد نزاع وعملية قتل بالخنجر و4 حالات انتحار وعديداً من السرقات .
- وتبين من تحليل عينة الأفلام والبرامج التي أذيعت في اليابان على مدى 24 ساعة إرسال وجود 55 عملية قتل و51 معركة بالمسدسات والحجارة والسيوف، بل وجد أن 149 طلقة نارية أطلقت في أحد الأفلام المخصصة للأطفال .
- كما صنفت إحدى المنظمات الأمريكية المتخصصة في دراسة العنف في التليفزيون كثيراً من برامج الأطفال التي ما زالته تعرض على شاشات التليفزيونات العربية على أنها تتضمن درجة عالية من العنف، مثل طرزان وتوم جيري .
- ولعل ما سبق يشير إلى صحة إحدى الإحصاءات الأمريكية من أن معدل ما يشاهده الطفل الأمريكي على شاشة التليفزيون بين سن الخامسة والرابعة عشرة من عمره يزيد على ثلاثة عشر ألف جريمة قتل. وهذه النوعية من المضامين قادمة إلينا بالبث المباشر، الذي يتطور يوماً بعد يوم من الناحية التكنولوجية؛ مما يجعله أرخص وأكثر انتشاراً، بالإضافة إلى ألعاب الأتاري التي تنتشر بشكل متزايد بين الأطفال والشباب، رغم ما تتضمنه من عنف يكون الطفل أو الشاب مشاركاً فيه لا متفرجاً عليه فقط .

وفي نهاية هذه المحاضرة اسمحوا لي أن أشكركم على حسن الاستماع. وأود أن أشير مرة أخرى إلى أهمية تعاون الأسرة مع أجهزة الإعلام، باختيار الوسائل الإعلامية المناسبة لأطفالهم، واختيار المضامين المناسبة لأعمارهم، مما تعرضه هذه الوسائل، وضرورة إدارة الحوار والنقاش بين أفراد الأسرة، وعدم إلقاء العبء كاملاً على وسائل الإعلام ومطالبتها بالقيام بدور الأب الثالث؛ ذلك لأن الإعلاميين يسعدهم التعاون بين الجميع من أجل تنشئة الطفل تنشئة سليمة. كما يهمني أن أشير إلى أن بعض الانتقادات التي توجه إلى وسائل الإعلام تظلمها، فالعنف الذي نسمع الشكوى منه نجده في ألعاب الفيديو وأفلام الفيديو وقنوات البث المباشر. وهذه كلها مواد تشتريها الأسرة بحُرِّ مالها،

وتعود لتشكو من كثرة تعلم أطفالها للعنف .. إن وسائل الإعلام تختار أجود ما في السوق العالمي والعربي، وتغربله حتى لا يتضمن العنف أو ما يتعارض مع تعاليم الدين أو التقاليد الأصيلة، ولكنها ليست رقيباً على كل فرد في منزله .. ولنثقف أطفالنا .. لنجلس معهم ونختار لهم ما يناسبهم، ونجرى حواراً هادفاً حول مضمون ما يقرءون ويسمعون ويشاهدون؛ حتى نوجد الطفل الذي ننتظره : نصف الحاضر وكل المستقبل .

قـــضــــايا في إعـــلام الطفـــولـة

أ.د. بـــلال عـــــــــــــرابـــي ✿

شهد العصر الحديث ثورة معلوماتية كبيرة مع نهاية الألفية الثانية؛ مما فرض تقنيات حديثة على الحياة الاجتماعية وعلى شكل تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان ومع الطبيعة . ولقد تأثر الأطفال بوصفهم جزءاً من المجتمع بهذه الثورة العلمية التقنية التي تناولت كل مظاهر الحياة، وأهمها التعليم والإعلام وتبادل المعلومات في البيت والمصنع والمدرسة .

ولذلك جانب إيجابي يتمثل في انفتاح العالم على بعضه، وتعرُّف مختلف الحضارات التي تعيش على هذا الكوكب، وسرعة تبادل المعلومات والمعرفة والأخبار والتقنيات الضرورية لحياة البشر ونموهم، وكذلك تبادل الخبرات والعمالة .

ولهذه الثورة جانبها السلبي في أثرها على الاستقلال الوطني والقومي، حيث إن تعميم المعلومات استفادت منه الشركات الاستثمارية في تعميم الاستهلاك وزيادة أرباح الشركات العالمية، التي استغلت نظام العولمة الجديد لخدمة أغراضها في استغلال الشعوب الصغيرة ومنع التقنية الحديثة عنها ، والعولمة بأبعادها الكبيرة تؤدي إلى ذوبان الشخصية القومية واضمحلالها في ظل عولمة تحول العالم إلى قرية واحدة مستهلكة .

تمتاز ثورة الاتصال المعلوماتية الحديثة – بأقمارها وتكنولوجيتها – بقدرتها على عولمة العالم المعاصر وتحويله إلى قرية واحدة، بهيمنة غربية من قبل من يملك التكنولوجيا الاتصالية المتفوقة والمبرمجة؛ مما يشكل ضغطاً مباشراً على الهوية العربية القومية ، التي

✿ أستاذ علم الاجتماع بجامعة دمشق .

يمكن أن تفقد تميزها وطابعها الاجتماعي والثقافي لصالح الغير . وبسبب التكنولوجيا العالية لوسائل الإعلام الغربي؛ يمكن للنموذج الثقافي الغربي أن يصبح مسيطراً في هذه القرية .. مزيحاً النماذج الحضارية والثقافية القائمة .

والكم الهائل من المعلومات والتقانة الحديثة مفروضة اليوم على العالم في مختلف المجالات. وحتى في المجال الحربي أصبحت الحرب تعتمد على تقنية المعلومات قبل الحرب وأثناءها وبعدها.

أثناء تفقد القائد الأمريكي لقواته المرابطة في صحراء السعودية خلال حرب الخليج ، توجه بحديثه لأحد جنوده قائلاً : "ما من أحد منكم قد اشترك في حرب من قبل ، وفي الحروب السابقة لم يكن باستطاعتنا تحقيق أي نجاح من أول اشتباك. كيف تفسر نجاحكم الباهر في معركتكم الأولى؟" .

أجابه الجندي قائلاً : "سيدي ، لم تكن هذه معركتنا الأولى ، لقد كانت هذه معركتنا رقم 15، فلقد حاربنا ثلاث معارك في مركز تدريب القوى في فورث اروين بكاليفورنيا، وأربع معارك في مركز التدريب على المناورة القتالية في هيونغيلز بألمانيا ، وعدة معارك أخرى باستخدام نظام المحاكاة الآلية. وجاءت معركتنا الحقيقية في الخليج أقرب ما تكون لما تدربنا عليه". (علي، 1994).

إن عصر المعلومات والتقانة الحديثة يؤثر على جميع شعوب العالم – والعرب منهم – ويكون الموقف الصحيح منها بالانتقاء الصحيح للتطور التقاني الذي يناسب المجتمع العربي الذي يعاني من تخلف معلوماتي كبير . إن وجود التحدي الإسرائيلي يعني صراع العرب مع عدو يستهدف وجودنا وقوميتنا وحياة أولادنا، ومواجهة هذا العدو تتطلب العمل مع الأطفال بالدرجة الأولى؛ لخلق الجيل الواعي المؤمن بقوميته والمدافع عنها، المؤمن بتاريخه المجيد وشخصيته غير القابلة للذوبان، و المتزود بالمعرفة العلمية و التقنية المناسبة، لبناء المستقبل، الذي يعتمد على جيل الشباب العربي، الذي ينطلق من أطفال اليوم .

إن تهيئة المجتمع لعصر المعلومات لا يتم إلا بتنمية وعي فئاته المختلفة بالأبعاد الحقيقية المختلفة لتكنولوجيا الكمبيوتر و المعلومات وآثارها الاجتماعية الراهنة والمرتقبة ، وهي بلا شك تحتاج في تنفيذها إلى مشاركة فعالة من مؤسسات التعليم الرسمي وغير الرسمي ، ووسائل الإعلام والمنظمات، وقادة الفكر والرأي في المجتمع .

إن قوة تكنولوجيا المعلومات تفوق ما سبقها من تكنولوجيا ، وهي تختلف في شيء أساسي، أنها تقطع طولاً و عرضاً جميع الأنشطة المجتمعية من أعمال المهارات الدنيا إلى العليا، ومن الصناعة إلى الخدمات ، ومن النواحي الاجتماعية إلى الأمور البيئية. وإذا كان التصنيع – كما أورد البعض – قد أحدث تحولاً جوهرياً من مجتمع يحوي بداخله الاقتصاد إلى اقتصاد يطوي بداخله المجتمع ، فقد أصبحت المعلومات في عصرنا المصدر الرئيسي للقوة الاقتصادية . لقد وصل المجتمع الحديث إلى درجة من التعقيد يستحيل معها السيطرة على أدائه و فهم ظواهره دون اللجوء إلى نظم معلومات فعالة وديناميـة. لقد نشأت تكنولوجيا المعلومات كعنصر مؤازر للأنشطة المجتمعية، لكن سرعان ما استقلت بذاتها؛ لتصبح مقوماً اجتماعياً قائماً بذاته وعنصراً فعالاً غاية في التأثير، يحطم أدواراً اجتماعية مستقرة، وينشئ أخرى مستحدثة، ويعيد صياغة العلاقات الاجتماعية التي باتت في حالة سيولة هائلة. (علي ، 2001) .

لقد أثرت ثورة المعلومات على طريقة تكون طفلنا العربي الثقافي والعلمي، وترافقت هذه الثورة بتطور أشكال الإعلام المحيط بالطفل من تليفزيون وإذاعة و مجلات ... إلخ. ونركز في هذا البحث على عدة قضايا ترتبط بتكون ثقافة طفل اليوم ، نجد ضرورة الالتفات إليها والتأكيد عليها.. منها:

أولاً - علاقة الطفل بالكتاب :

إذا مررت أمام أية مدرسة ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية في أواخر آيار من كل عام، وهو موعد انتهاء امتحانات العام الدراسي في سورية ، فسيدهشك هذا الكم الهائل من الكتب والدفاتر الممزقة والملقاة على الأرض هنا وهناك ، بشكل عشوائي وانتقامي .. في عملية تبدو طقساً تطهيرياً من رجس الدراسة والنظام والنظافة ... وفي كل عام أتساءل : ما الذي يدفع هؤلاء الطلاب لإلقاء كتبهم ؟ وهم لا يلقونها في الحاويات المخصصة للقمامة، وإنما في الطرقات ؟ ولماذا يمزقونها بهذا الشكل النزق الانفعالي ؟

وأجد أن التحليل لهذه الحادثة يبرز كيف يربط الطلاب عقلياً بين الكتب و المدرسة والنظام و العلاقات الامتحانية و رهبة الامتحان والدوام الإجباري وأوامر المدرسين ... كل ذلك يمكن إلغاؤه والخلاص منه دفعة واحدة مع آخر يوم من أيام العام الدراسي ...

الكتب هنا ليست وسيلة معرفية تلبي حاجة الطفل - المراهق إلى الاطلاع والمعرفة، وإنما وسيلة للحصول على علامات تنقلنا إلى صف أعلى فقط !

لذلك ومع منظومة معرفية اجتماعية مرسخة منذ الطفولة هذا شكلها لا نستغرب أن نقول لطلاب الجامعة بأن الصفحات من 260 إلى 290 غير مطلوبة للامتحان، فيسارع أحد الطلاب إلى تمزيقها ورميها من الكتاب. إن قيمة الكتاب كوسيلة معرفية واطلاعية وليست امتحانية لم ترسخ في مجتمعنا، لا من خلال الدراسة، ولا من خلال الأسرة، ولا من خلال الحياة الاجتماعية العامة .

في الفيلم المسمى "451 فهرنهايت" الذي أخرجه (فرانسوا تروفو) يظهر مجتمع مستقبلي مهمته محاربة الكتب ، كما نحارب اليوم المخدرات ، حيث تقتحم الفرق المسلحة البيوت لمصادرة الكتب وإحراقها. ويبدو أن الفيلم يتخوف من فترة يسيطر فيها التلفاز لدرجة يصبح فيها الكتاب منبوذاً ومرفوضاً؛ لأنه يعني تفرداً لشخصية القارئ غير مرغوب لدولة المستقبل، بينما يقوم التلفاز بصياغة ثقافة جماعية منمطة.

يجري الحديث اليوم عن التلفاز بوصفه الوالد الثالث فعلاً ، إذ إنه يأتي في المرتبة الثالثة بعد الأم والأب، من ناحية تقديم القيم والمثل، وأحياناً كثيرة في المرتبة الأولى ، عند كثير من الأسر التي يقتصر فيها دور الأب والأم على تقديم الطعام والشراب . في حياتنا المعاصرة يسهم التلفاز أكثر فأكثر في إعداد وتربية الأبناء، إذ أصبح معروفاً مع تعقد حياتنا وهمومنا أن يشتري الآباء سكوت أبنائهم وسكونهم بفتح جهاز التلفاز لهم بدون ضوابط معقولة . تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "اليونيسكو" يقول إن الأولاد في الوطن العربي بين سن السادسة والسادسة عشرة يقضون أكثر من ثلاث ساعات يومياً أمام شاشات التلفاز.. من الأبيض والأسود إلى الملون ، دخل التلفاز كل بيت من أفقر الأحياء إلى أغناها وحتى الخيام. إن الذي دخل ضيفاً خجولاً أصبح من أصحاب المنزل فعلاً!

وإذا أضفنا لساعات انشغال الأطفال بالتلفاز ساعات الانشغال بأجهزة الكمبيوتر والألعاب الإلكترونية .. وهي في الغالب معارك قتال وصراع لا يهدأ - الكثيرة الانتشار حالياً - ودخول العرب عصر القمر الصناعي والبث التليفزيوني الدائم (الستلايت) ، فإن الطفل اليوم يغرق في بحر من المعلومات والأفكار والعادات والقيم القادمة من خارج

الأسرة ومن خارج المدرسة، وغالباً من خارج منظومتنا الاجتماعية والثقافية؛ بسبب عدم قدرة البث العربي على تقديم إنتاج وطني للأطفال فإن 90٪ من البرامج المقدمة للأطفال هي أجنبية مترجمة أو مدبلجة، وتحمل بكل أسف كثيراً من القيم التي لا تناسب فكرنا وقيمنا ، كما لا تناسب توجهاتنا القومية والحياتية. يدعو البعض إلى مقاطعة التلفاز وإلغائه من المنزل، لكن ذلك غير ممكن بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة متصلة من خلال وسائل الاتصال المختلفة . والتلفاز وسيلة إعلامية و تثقيفية مهمة إذا أحسن استخدامه... لذلك تتساءل الباحثة (ماري واين) عن التلفاز ومدى تأثيره على الأطفال بقولها (هل هذا تلفاز أم مخدرات؟) وتنتهي إلى أن التلفاز مع ما يعود به على الطفل ومع ما له من إيجابيات بوجه عام هو أشبه بالمخدرات؛ لأنه يسلب الطفل المشاهد إرادته، ويعوده الاسترخاء العقلي، ويبعده عن التركيز، ويقلل قدرته على الفهم. وهذه أمور لا تضيع عليه فرص تنمية لغته فحسب ، وإنما تنعكس على تحصيله المدرسي والذي يحتاج إلى التركيز والفهم واليقظة وحيوية الفكر ، ومن ثم فإنها تؤثر على تحصيله الفكري وعلى نمو شخصيته (المعتوق 1996) وفي الحقيقة إن الخوف على الكتاب من التلفاز هو خوف عام من قبل المثقفين ، خوف على ثقافة الجمهور، فكيف هو الحال بالنسبة إلى الطفل الذي يمكن أن ينشأ على أسلوب في انتظار المعلومة من جهاز صغير أكثر من البحث في بطون الكتب عن المتعة و الفائدة؟! ويبدو أثر التلفاز السلبي كبيراً في تعويد الطفل على تلقي المعلومات دون المشاركة في صنعها. والأصل أن عادة المطالعة تترسخ عند الطفل بوجود مكتبة في المنزل و برؤية الأب يقرأ وبتزويد الطفل بالمجلات و القصص المناسبة.. ولكن كل ذلك لا يحصل في مجتمع الآباء ، ومن ثم لا يورث إلى الأبناء .

في دراسة حول مقتنيات العائلة من المجلات و القصص المخصصة للأطفال، أجاب 21٪ من الآباء فقط بأنهم يشترون لأطفالهم قصصاً و مجلات ، في التحري عن الأسباب التي من أجلها أحجمت 79٪ من الأسر عن شراء المجلات و القصص، تبين أن ما يقارب 30٪ من الأسر لا تشتريها لعدم القناعة بفائدتها و 70٪ لا تشتريها بسبب عدم قدرتها المالية على الرغم من توفرها في أماكن إقامتهم ووجود أطفال الأسر في سن مناسبة للقراءة . (المكتب المركزي ، 1979) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل صحيح أن ضعف القدرة الشرائية هو الذي

جعل نسبة كبيرة من الأسر لا تشتري مجلات وقصصاً لأطفالها، أم أن الموضوع برمته يتعلق بمستوى الوعي و النضج لدى المجتمع ؟ أم مدى الإحساس بأهمية القراءة للأطفال مقارنة بالطعام والشراب واللباس ؟

لقد طورت منظمة الطلائع في سورية تجربة فريدة و مهمة في تقريب الكتاب إلى الحياة الاجتماعية للطفل من خلال (جمعيات قراء الأطفال) وهي أن يقوم المشرف على الصف في المدارس الابتدائية بالقراءة الجيدة لبعض الأعمال الإبداعية أمام الأطفال ، وبعد قراءة النص يتم سماع رأي الأطفال و مناقشتهم، بحيث يصبح الكتاب عنصراً في حياة الطفل الاجتماعية. وهذه التجربة بحاجة إلى رعاية دائمة وتوسيع دائرة الاهتمام بها في المدارس العامة والخاصة؛ لتصبح جزءاً من حياة التلميذ المدرسية الابتدائية والإعدادية والثانوية. وهذا يستلزم تعاوناً أكبر وتنسيقاً لاستمرار قيم القراءة بين الجهات المشرفة على ثقافة الطفل المراهق من الابتدائية وحتى نهاية المرحلة الثانوية في سورية .

لقد برهن الفرنسي "جاكويس لينهاردي" والهنغاري "بيريه جوغسا" سوياً على أن القراءة ظاهرة اجتماعية وإيديولوجية ، بمعنى أنها ترتبط بسلم القيم الجماعية ، وعلى أن الجمهور ليس كتلة متجانسة ؛ بل تدخل المصالح الفئوية أو الطبقية المتعارضة غالباً لتتمفصل على مستوى القراءة . فقد أظهرت بعض الأبحاث حول فهم النصوص أن قراء مختلفين لا يدركون في نفس الكتاب سوى ما يعنيهم ، ومن ثم فإن الرسالة المبثوثة تتغير بحسب نفسية كل قارئ . (بنحدو ، 1994)

والحقيقة أن الكتابة للأطفال في بلادنا لا تراعي على الغالب أي شكل من أشكال التفرقة بين الأطفال لا ثقافياً ولا اجتماعياً ولا حتى عمرياً ... مع أن هذه التفرقة مهمة جداً لاستيعاب النص من قبل الطفل ولدخوله الأعمق في منظومة الطفل الاجتماعية و الثقافية.

إن الطفل تفصله عن أفكار المؤلف حواجز لغوية وتطورية وظروفية مختلفة . لذلك نجد أن التأليف في كتب الأطفال يجب أن لا يتوجه إلى الأطفال، بل أن ينطلق من فكر الأطفال .. بإيجاد سبل الحوار التي تشرك الطفل في تناول الأفكار ومعالجتها، وصياغة المتناسب مع تطور الطفل الذهني والعمري .

نخلص إلى عدة أمور في علاقة الطفل الكتاب :

1- لا بد من ترسيخ وعي الكتاب كوسيلة معرفية وإمتاعية عند جمهور الأطفال والابتعاد

عن فهم الكتاب كوسيلة امتحانية ، إذ أضر هذا الفهم كثيراً بمكانة الكتاب النفسية، وأثر في تداوله بين الأطفال .

2- ربط وجود الكتاب وتداوله بالحياة الاجتماعية للأسرة، من خلال التوعية العامة بأهمية الكتاب ودوره في ثقافة الطفل (إدخال الكتاب في كل أشكال الهدايا المقدمة للأطفال بما يربطه بالمبهج في الحياة مع اختيار المناسب لعمر الطفل).

3- تعد برامج التلفاز المنافس الأول للكتاب في تسلية الطفل وإمتاعه. وهنا لا بد من تجارب تحد من أثر التلفاز السلبي على فاعلية الطفل الذهنية. ويمكن أن يساهم التلفاز نفسه في تشجيع القراءة من خلال عرض بعض الكتب وتشجيع اقتنائها، وتدخل الأسرة للاختيار الصحيح للبرامج التي تناسب عمر الطفل، وكذلك تحديد العلاقة الصحيحة مع هذا الجهاز المؤثر. مع الاعتراف بأهمية التلفاز ودوره في ثقافة الطفل .. فإن هذا الدور يجب أن لا يطغى على وسائط الاتصال الأخرى (صحف، مجلات، كتب...)؛ لأن ذلك يؤثر سلبياً على ذهنية وتكوين الطفل الثقافي ، والأسلم أن تسهم وتتعاون وسائط الاتصال معاً في هذا التكوين.

4- خصوصية الكتابة للأطفال تتلخص في أن الكاتب يكتب لعالم غير عالمه المألوف، ومن ثم لا بد من الانطلاق من عالم الطفل التصوري واللغوي والنفسي، في كل ما يتناول هذا النوع من الأدب الذي نؤكد أنه الأصعب والأهم للمستقبل . وهذه المهمة تحتاج إلى الموهبة الأصيلة والخبرة المرتبطة بدراسة علم نفس الطفل وقاموس الطفل ونموه العقلي؛ لتقديم الممتع والمفيد في كل مرحلة . ونؤكد هنا على ضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى في كل ما يقدم للأطفال كوسيلة اتصال لكل العرب. فنقدم من خلال الكتب الأفكار الغنية والمفيدة والهادفة، بحيث يشعر الطفل أن الفكرة وصلت إليه في سورية كما وصلت إلى أخيه في أي بلد عربي آخر . وهكذا يكون الكتاب عامل توحيد قومي .

5- للمدرسة دور كبير في احترام الكتاب وتكريسه كقيمة معرفية دائمة ، والتوعية بأهمية الكتاب اجتماعياً ضرورة ملحة في مكان يقضي فيه الطفل فترة تكونه العقلي والجسمي، وتتشكل فيه مواقفه من قضايا العالم المحيط . المعلومة يجب أن تقدم في المدرسة على أنها معلومة مفيدة للتلميذ ، لا أنها معلومة للامتحان؛ لأن ذلك يجعلها

فقط للامتحان وليس للحياة . بعض المعلمين يصرون على ربط كل ما يقدمونه من معلومات وخبرات بالامتحان القريب ، وشكل الأسئلة ودرجات كل إجابة ... إن نظرية "فيثاغورس" في المثلث القائم تهمنا في حل معادلات في المثلث، وتفيدنا في مساحات بعض الأراضي الزراعية ، في فهم الأشكال والعلاقات المثلثية ، وفي حياتنا العامة . وكل الرياضيات هي فهم للمحيط بطريقة توسع مداركنا وتنميها.

إن تثقيف الطفل له دور كبير وأثر بالغ في تكوين شخصية الطفل وسلوكه واتجاهاته، ويسهم الكتاب كوسيلة اتصال جماهيرية في تكوين شخصية الطفل ، حين يغني عقله ويرضي فضوله في حب المعرفة، ويزيد من خبراته ، بما يحقق اندماجاً في ثقافة المجتمع العامة وتمثلاً لأهدافه ... ولا يحقق الكتاب هذه الوظيفة إلا حين يصبح جزءاً من الحياة الاجتماعية التفاعلية للناس .

ثانياً- تأثير الإعلانات على الطفل :

كما وجدنا في الحديث عن الكتاب فإن التلفاز هو المنافس الأول للكتاب، بل و المنافس الأول لتربية الأسرة وقيمها في العلاقة مع الطفل. وتكمن خطورة التلفاز في أنه وسيلة لبرمجة اعتناقاتنا الفكرية وملامحنا الذوقية وأساليبنا وتوجهاتنا العملية والسلوكية . إنه يضخ فينا ما يشاؤه لنا أن نكون وأن نفعل ، ويقتل فينا ما نشاؤه نحن أن نكون وأن نفعل. إنه يجتث فينا تلقائيتنا الإبداعية الحرة، ويستنبت فينا تصوراته و رغباته وأوامره ومصالحه، فنحققها له كأنما نحن أحرار نحققها لأنفسنا بأنفسنا . (العالم ، 1995) .

تشكل الإعلانات إحدى القنوات المؤثرة والخطرة على المستوى البعيد من قنوات تأثير ثورة المعلوماتية والعولمة؛ بسبب علاقة وكالات الإعلان بالأرباح الاقتصادية للشركات متعددة الجنسيات، حيث أكبر ميزانيات الإعلان في الولايات المتحدة الأمريكية ثم إنكلترا ثم ألمانيا، وهي نفس الدول المسيطرة على الإعلام عالمياً .

وتركز الدراسات التي تتناول موضوع الإعلانات التجارية وآثارها على إيجابيات الإعلان من حيث كونه مصدراً لتمويل المؤسسة الإعلامية و تغطية نفقاتها وتحسين إمكانياتها . وسلبيات الإعلان من حيث هو اقتناص لمساحات تحريرية وبرامجية ، تؤخذ من وقت المؤسسة الإعلامية ومن وقت القارئ أو المشاهد الثقافي أو الإخباري، والأهم من

وجهة نظرنا هو التعامل مع الإعلان بوصفه توجيهاً سلوكياً و قيمياً قابلاً للتبني و المحاكاة. إذ لا يمكن أن تبني المدرسة والأسرة والمجتمع سياساتها التربوية و الثقافية و القيمية باتجاه ، وتقدم الإعلانات توجهاتها وقيمها بالاتجاه المعاكس تماماً . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وخاصة على ساحة الطفل الفكرية الغضة، التي تتعرض من خلال كم الإعلان وفنونه إلى عملية تشويه قيمي لا ندرك أبعادها الحالية. نحن نعرف اليوم أن الأطفال يهتمون بالإعلانات أكثر من اهتمامهم بالبرامج التلفزيونية المخصصة لهم ، وذلك لأسباب عديدة أهمها التكرار الشديد للإعلان ، واستغلال الإعلان و فهمه لعلم نفس الطفولة و حاجاتها ، وكذلك شكل الإعلان ومضمونه الذي يثير اهتمام الأطفال ، واختيار الوقت والمكان الإعلانيين المناسبين حين يدخل إلى كل بيت وإلى عقل كل طفل .

ونحمد الله أن إذاعة دمشق بعيدة عن عدوى الإعلانات بما يعني احترام المستمع و تحقيق خدمة إعلامية مميزة ، علماً بأن بعض الدول لا تسمح بالإعلانات لا في الإذاعة و لا في التلفاز ، مثل بلجيكا و الدانمارك و النرويج والسويد. (مشوط، 1987). و نعرف أن الطفل يحفظ كامل الإعلانات التلفزيونية عن ظهر قلب أكثر من حفظه لجدول الضرب. وينشدُّ الأطفال لهذه الإعلانات بصورة كبيرة ، فقد أصبحت جزءاً من حقهم في المشاهدة إلى جانب برامجهم الخاصة . و تبدو إعلانات التلفاز أكثر تأثيراً؛ بسبب الدور الكبير الذي أخذ يلعبه التلفاز في حياتنا وحياة أطفالنا، فقد دخل هذا الجهاز كل بيت من أفقر الأحياء إلى أغناها ، رغم أن علم النفس ينظر إلى المشاهدة التلفزيونية بوصفها فعلاً غير إبداعي، ولا ينمي قدرات الطفل العقلية؛ بسبب تلقي الطفل لكل ما يعرض عليه من قبل التلفاز الحاكم الآمر بدون مناقشة . يقول الباحث "هيملويت ": "إن المشاهدة التلفزيونية نفسها نشاط ذهني سلبي". وتؤثر هذه المشاهدة على الطفل بصورة أكبر؛ لقدرته الأقل على التمييز من جهة ، ولتوفر هذا النشاط بصورة أيسر للطفل من جهة أخرى. توصلت " دراسة هالوران " الميدانية إلى نتيجة مرعبة – على حد تعبيره – وتتمثل هذه النتيجة في أن 97٪ من الأطفال في سن الحادية عشرة الذين شملتهم الدراسة أعلنوا أنهم يثقون بالتلفاز كمصدر إعلامي أكثر من ثقتهم بأي مصدر آخر. ويضيف هالوران قائلاً : وعندما سألنا هؤلاء الأطفال إذا سمعتم قصة من والدكم أو من مدرسكم أو من الإذاعة والتلفاز، فأية رواية تصدقون؟ أجاب 54٪ من الأطفال أنهم يصدقون التلفاز. (وطفة 1992).

وتوصلت دراسة ميدانية في مصر حول الفلاح في التلفاز المصري استناداً إلى الأعمال الدرامية التي عرضها التلفاز المصري عام 1984 إلى نتيجة تعزز النتيجة التي توصل إليها "هالوران". سئل تلاميذ أعمارهم بين 11- 12 سنة عما إذا كانوا يعتقدون أن ما يشاهدونه في التلفاز عن الفلاح المصري مطابق لمعيشته الحقيقية ؛ وكانت النتيجة أن 61٪ من أفراد العينة يعتقدون أن ما يشاهدونه في التلفاز عن الفلاح المصري مطابق تماماً لمعيشة الفلاح الحقيقية. (نور الدين، 1994) .

يعرف الإعلان بأنه "عملية اتصال غير شخصي من خلال وسائل الاتصال العامة ، بواسطة معلنين يدفعون ثمناً لتوصيل معلومات معينة إلى فئات من المستهلكين، حيث يفصح المعلن عن شخصيته في الإعلان". (مشوط ، 1987) .

وهذا التعريف المجرد للإعلان بوصفه دعوة تجارية لشراء سلعة معينة لا يعنينا في هذه الدراسة التي تركز على الإعلان بوصفه اتصالاً ثقافياً هو رسالة إعلامية بين مُلَقٍّ ومُتَلَقٍّ تؤدي إلى تأثير طويل مهما صغرت . هذه الرسالة الإعلامية يجب أن تكون لكل فئات المجتمع، وبخاصة ما يخصص منها للأطفال. يجب أن يراعي قيم المجتمع التي يقدمها لأبنائه ، بتقديم السلوك الذي إذا قلد يبني ولا يخرب. ودراسة الإعلانات المختلفة التي يتعرض لها الطفل من خلال الصحف والمجلات، وخصوصاً التلفاز، تثبت أن هناك خرقاً ثقافياً يتعرض له أطفالنا من خلال هذه الإعلانات على المستوى الاقتصادي واللغوي والقيمي والصحي .

الاختراق الثقافي للأطفال اقتصادياً :

بهدف الاستحواذ على مدارك الجمهور و الحصول على أكبر قدر من الأرباح؛ أخذت شركات الإعلان تزداد وتتسع مساحاتها على مختلف أشكال الاتصال، من الصحف والمجلات إلى الراديو و التلفاز والسينما، وتفرض إرادتها على إدارات الصحف والمؤسسات الإعلامية؛ بسبب مساهمتها في تغطية نفقات المؤسسات الإعلامية ، بما فيها رواتب موظفي هذه المؤسسات ومدرائها . وأمام هذا الحجم الاقتصادي الذي تؤثر فيه وكالات الإعلان على مساحات القراء التحريرية يبدو جلياً قدرة هذه الوكالات على التدخل في القرار الإعلامي، واستخدامه مطية لأغراضها. فمما لاشك فيه ارتباط المخرجات

الإعلامية باقتصادياتها التي تعتمد على الإعلان بصورة أساسية . إن الإعلان كمصدر مهم من مصادر الإيرادات للمؤسسات الإعلامية يصبح مجالاً واسعاً لصناعة عدد من القرارات داخل هذه المؤسسة. وتذكر الباحثة "أميرة العباسي" مجموعة من التجاوزات يصبح فيها القرار الإعلاني طاغياً على القرار التحريري، خاصة فيما يتعلق بإعلانات شركات توظيف الأموال في الصحف المصرية حيث قدمت تحقيقات صحفية دعائية لصالح هذه الشركات مقابل مبالغ كبيرة خصصتها هذه الشركات للإعلانات ، التي يذهب القارئ ضحيتها السهلة حين تفلس هذه الشركات وتظهر وهمية مشاريعها. تشير الباحثة "أميرة" إلى برامج بالكامل في التلفاز ممولة من الإعلانات ، تعلن شركات الإعلان فيها عن نفسها، وتتحكم في تقديم هذه البرامج ، فتقوم باختيار القائمين عليها واختيار موضوعاتها السطحية، حتى إن الباحثة تتساءل : أيهما أقوى في مواجهة الآخر ... الإعلان أم التحرير؟ (عباسي، 1994).

إشاعة النمط الاستهلاكي والترفي هو المطلوب ، حيث نلاحظ من الإعلانات التلفزيونية والصحفية أن العالم كله يركض وراء الاستهلاك ، وأن لا غاية للإنسان غير ذلك. إن هدف الشركات المنتجة والشركات المعلنة دفع الأطفال للاستهلاك بدون توقف، بما يعني الاستهلاك كنمط سائد للحياة المحترمة. والواقع يحمل غايات ووسائل للوصول إليها ، وأنه يجب التركيز على الأهداف وعلى وسائل بلوغ هذه الأهداف تربوياً – نقصد الوسائل المشروعة – وإلا أصبح الغنى بحد ذاته، والحصول على السلع هدفاً مطلوباً، بغض النظر عن مشروعية الوسائل ، ما دامت السعادة و حيوية الشباب و الاستمتاع بطعم الحياة والبيت الأنيق كلها موجودة في هذه المنتجات، فهذه هي الحياة .. ولقد أشار الباحثون إلى خطورة الإيحاء للطفل بنمط استهلاكي من هذا النوع و تبعاته؛ لأن الطفل لا يستوعب مبررات عدم حصوله على كل هذه السلع .. وتستغل الإعلانات دوافع الشراء المختلفة (التملك، تقدير الذات، الراحة البدنية، التقليد. حب الظهور، الخوف ...) في دفع الأطفال لشراء أشياء هم على الغالب لا يحتاجونها ، بما يسمى تحقيق الطلب على السلعة. وعدم تلبية رغبات الأطفال في شراء السلع المعلن عنها يؤدي إلى إحباطات عند الأطفال والإحساس بالتفاوت الاجتماعي الذي يخلقه امتلاك البعض لهذه السلع والخدمات، وحرمان الآخرين منها، مع عدم قدرة الأطفال على تقدير الأسباب الحقيقية . لنلاحظ مثلاً

أن إعلانات البضائع المرتبطة بصغار السن و المراهقين تضم كثيراً من الأطفال أو المراهقين (حسب نوع السلعة)، وكلهم يمتلكون هذه السلعة؛ للإيحاء بأن ارتداء أو استخدام هذه السلعة ظاهرة شاملة ، وأنه لم يبقَ إلا أنت فماذا تنتظر ؟ واقتصادياً يزيد الإعلان عموماً من أسعار السلع؛ لأنه يدخل في حساب تكلفة السلعة المقدمة للطفل؛ لأن كل ما يتكلفه المنتج لقاء خدمات الإعلان يضاف إلى سعر السلعة، بما يعني أن الطفل يدفع ثمن نفس السلع سعراً أكبر بسبب الإعلان. والتجوال في الأسواق يثبت ذلك؛ لأن السلع التي لا تعتمد حملات إعلانية تكون أرخص من غيرها .. بغض النظر عن الجودة. ويعرف المعلن أن الطفل لا يشتري بنفسه، ورغم ذلك يتوجه الإعلان للطفل؛ لأنه و سيلة ضاغطة على الأب أو الولي في اتخاذ قرار الشراء ، بحيث أصبحت طلبات الأبناء أكثر من طاقة الآباء على الاستجابة .

ولقد استطاعت الإعلانات – ببريقها ووسائلها النفسية و اهتمام الأطفال بها – التأثير على أمور لا تدخل ضمن دائرة الاهتمامات الطفلية ، مثل اختيار مساحيق التنظيف.. فقد سمعت طفلاً يقول لأمه في السوق اشترِ لنا مسحوق كذا ... لمجرد أنه يسمع و يشاهد إعلاناته في كل مكان! فكيف التأثير على الطفل في القضايا التي تهمه : مثل أنوا ع العلكة (اللبان) ورقائق البطاطا ... إلخ التي تجبر الأب تحت ضغط طلبات الأبناء على شرائها ، مع تفاهة مردودها الغذائي، وضخامة ثمنها في تكرر طلبها وتعدد أنواعها.. وهناك خدعة يدعمها الإعلان هي إغراء الأطفال بجمع الصور اللاصقة للحصول على هدايا مزعومة .. يشتري الطفل العلكة أو البسكويتة ويلقي بها من أجل الصورة ! وخداع الأطفال باستمرار لاستكمال مجموعات الصور المطلوبة .. فمن يضمن أن هذه المجموعات كاملة أصلاً ؟ إضافة للإعلان عن علكة للأطفال وأرقام تربح منها سيارة شاحنة. لا أدري ما حاجة الطفل لسيارة شاحنة ؟ ألا يحتاج الطفل لحماية ضد غش من هذا النوع؟ يحرم الإعلان القراء والمستمعين والمشاهدين حقوقهم في مساحات ثقافية وإعلامية وفنية : يدفع مشتري الصحيفة ثمنها، وتقتطع من وقت المشاهد، وتجير لصالح شركات الإعلان .

الإعلان و الاختراق اللغوي :

بسبب سيطرة الجهل على مصممي الإعلانات التجارية وضعف الخيال الفني؛ يحفظ

الأطفال جملاً عامية مفككة وملتوية هي غالباً مكررة وضحلة المعاني . جاء في إعلان تلفازي لنوع من الغسالات السورية "عملنا حفلة و أحلى غسلة"، مع أنه لا علاقة للغسالات بالحفلات ولا علاقة للحلاوة بالغسيل !

في موضوع علاقة التلفاز باللغة العربية التي هي جزء من هويتنا، يرى سمر روحي الفيصل "أن التلفاز يقلص قراءات الأطفال، ويزيد من صعوباتها ، ويدفع الأطفال إلى الاسترخاء العقلي. فالبرامج و المسلسلات والإعلانات تجري دون توقف ودون أن يستطيع الطفل إيقافها ليفهم شيئاً منها". ويشير الفيصل إلى دور التلفاز في ترسيخ الازدواجية اللغوية وترسيخ العامية المحلية، خاصة في موضوع الإعلانات التي تصاغ بقالب غنائي جميل، تتسرب إلى ألسنة الأطفال، فيقلدونها و يرددونها؛ لأنهم ميالون بطبيعتهم للمحاكاة. والنتيجة البدهية لهذا التقليد أن تترسخ العامية في نفوسهم، وتلوكها ألسنتهم، ويزداد رصيدهم منها (الفيصل ، 1982) .

إن أغلب من يقرأ قصة، ثم يشاهدها على الشاشة، تعجبه القصة الأدبية أكثر؛ لأنه يساهم في خلق أبطالها و حوادثها بخياله مع القراءة. من هنا نقول إن القراءة للطفل فعل ينمي خياله وقدراته الذهنية أكثر بكثير من المشاهدة التلفزيونية. يذكر الدكتور " عبد الكريم اليافي " المفكر العربي والأستاذ بجامعة دمشق أنه عندما كان في الصف الرابع الابتدائي ، كانوا يقرؤون أدب الدنيا والدين للماوردي.. وهو كتاب يعجز عن متابعته طلاب الجامعات اليوم . وأطفالنا يقرؤون يومياً صفحات من إعلانات رقائق البطاطا، التي لا تسمى بهذا الاسم، ولا يعرفها أطفالنا إلا باسمها الأجنبي "الشيبس" .

مجموعة إعلانات المجلات الطفلية الموجودة في الأسواق : فيها كم هائل من الكلمات الأجنبية! ففي مجلة علاء الدين الطفلية تجد إعلاناً لمسلسل جديد للأطفال اسمه "شاركيز" وإعلان عن شوكولاته اسمها (بم بم، هاف تايم) وكذلك (شيكوبون من هين ويل ..) وفي مجلة الأطفال "ماجد" إعلانات متعددة عن شراب الجلي، وجبنة بوك مع الفراولة وبالفانيليا ومسابقة سن توب..إلخ. ويستغرب من يقرأ إعلانات هذه المجلات : هل هي مجلات عربية أم أجنبية؟!

وفي إعلانات التلفاز ما هو أصعب و أمر .. فاللغة الأساسية لهذه الإعلانات هي العامية التي تتشكل عند الأطفال في قوالب مترابطة ، وتشكل الحصيلة اللغوية الأساس

لطفل اليوم . أحد الزملاء ذكر لي بأنه أيقظ ابنه الذي لم يبلغ الرابعة بعد بكلمة صباح الخير، فأجاب الطفل بجملة واحدة : "صباح النور ما أطيب قهوة زرزور".. بمعنى أن نتائج التربية الإعلاناتية تظهر سريعاً على صفحة عقل ولغة الطفل الذي يتبنى اللغة في البداية كنماذج جاهزة اجتماعياً للتداول، وجملاً من أمثال "مع شوية معقم بالمي بترتاحي وبتقولي خي". فيها تزحلق لغوي تافه لا مبرر له ، ولا يخدم حتى هدف المعلن، فما علاقة المعقم بالراحة و الأقوال؟!

خرق قيم الطفل الاجتماعية :

أما عن القيم فهذا ما لا يفكر الإعلان به ، أو هذا ما يسخر منه الإعلان باستمرار ، فالنكتة بالنسبة إلى مصممي هذه الإعلانات لا تنعقد إلا ضد موروثنا من العادات والتقاليد السائدة والمحترمة ... (فجدة الأولاد تدخل المنزل لتسرق علكة الأولاد و تتركهم يبكون ثم تطير إلى السماء بالمنطاد..) وهذا الإعلان يحفظه الأطفال عن ظهر قلب .. فكيف سيحب الطفل جدته – وهي في منظومتنا الثقافية رمز الحنان و العطف – عندما تسرق أحفادها و تأكل وحدها ما يحبون؟! إن التكرار الدائم بطريقة الإعلان يدخل الرسالة الإعلانية إلى عقل الطفل ، وأحياناً إلى لا وعيه قبل وعيه ، ولذلك فإن تأثير إعلان من هذا النوع – طيران الجدة بواسطة العلكة البالون – أخطر من طيران "سوبر مان" ؛ إذ إن فيلم "سوبر مان " يراه الطفل مرة واحدة ، بينما يرى الإعلان كل يوم لمرات عديدة ، إضافة لوضوح النموذج و قرب المادة، أي العلكة إلى متناول يد الطفل .

إن التعامل مع قيم الطفل الثقافية علم قائم ، له شروطه وواجباته ، فكيف يسلم لمن لا يهمه سوى ترويج سلعة ، ولو على حساب كل قيم التعليم والصدق والعائلة؟! والإعلان التالي يقدم خرقاً واضحاً للقيم المتعارف عليها وإساءة لصحة وأخلاق الأطفال : يبدأ الإعلان الساعة الثامنة صباحاً .. تحضر الطفلة حقيبة المدرسة، وتأخذ بدل الكتب عدة أصابع من الشوكولاته تحشو بها حقيبتها المدرسية ... تخرج إلى الطريق متأخرة، فيفوتها باص المدرسة ... فتتوارى قرب المنزل لتأكل الشوكولاته حتى الثانية والنصف ظهراً ... يستقبلها الأب والأم بدهشة ، فتقول الطفلة : الحق على الشوكولاته الفلانية . فيبتسم الأب والأم، وتتم المصالحة؛ لأن الشوكولاته الفلانية فعلاً لا تقاوم.

الإعلان يروج لمنتج واحد وخمس قيم سيئة هي :

1 – الشوكولاته أهم من الكتب والمدرسة.

2– يمكن لبنت عمرها تسع سنوات أن تترك المدرسة، وتتمشى على الطرقات من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الثانية والنصف ظهراً .

3– الهروب من المدرسة .

4– الكذب على الأهل .

5– الأهل لا يغضبهم ترك المدرسة (ما دام الحق على الشوكولاته) .

وهكذا يقدم الإعلان قنبلة من الإساءات للأخلاق والقيم من أجل كمية من المال . وهذا مثال صارخ لمنظومة ثقافية قيمية متفق على أهميتها (الصدق واحترام المدرسة واحترام الكتب) تعمل باتجاه ويعمل الإعلان بالاتجاه المعاكس تماماً .

في الإذاعة والتلفاز وفي مجلات الأطفال ، إدارة المؤسسة مسؤولة مسؤولية مباشرة عن صحة الإعلانات المنشورة فيها ، إذ إن كثيراً من الإعلانات تحوي معلومات كاذبة مضللة ، ويحاول المعلنون بشتى أساليب الإغراء دفع الأطفال للشراء . من حقوق الطفل أنه لا يجوز قطع مسلسل الأطفال من أجل عرض لوحة إعلانية؛ لأن ذلك يعد تعدياً على الانسياب الطبيعي لأحداث المسلسل المقدم ، وتجاهلاً لمشاعر وأخلاقيات الممارسة المهنية في المجتمع ، وتأكيداً لقيمة المال قبل الجمال والمدفوع قبل الممنوع .

إن هدف الإعلانات هو إعطاء الحياة لوناً واحداً، هو لون الاستهلاك . وذلك حين نستخدم جملاً من أمثال (الأداء المتميز للحياة العصرية ، أحلى لمعة وآخر صرعة ، بدكن ترتاحوا وتتهنوا، مبيض كذا ، منظف كذا بيفكر عنك ... كويس وأوفر بكتير ...) أو الإعلان عن نوع من المياه الغازية يقول : استمتع بطعم الحياة ، حيث نرى مجموعة من الناس لا تعرف ماذا تفعل ، ومهمومة كأنها في مأتم ، بدون هذا المشروب ، ومع هذا المشروب : السعادة وطعم الحياة المنعش وألوان الحياة الجميلة (وبدونه الحياة أبيض وأسود) .

ولقد قرأت أكثر من مرة عن قضية استخدام الأطفال في هذه الإعلانات مقابل أجور... ورقص الأطفال على شاشة التلفاز خدمة للمعلن ... هذا العمل لا يعتبر من التربية في شيء. وتلقيهم الأجر على ذلك يدخل الأطفال عالم التجارة والاحتكاك مع الكبار ، وجو أماكن التصوير التي لا تتناسب مع مرحلة الأطفال العمرية. فعمل الأطفال محرم دولياً ما

دام الطفل في مرحلة تكونه التربوي والعقلي التي لا تسمح له بخوض تجارب من هذا النوع .

الخرق الصحي الغذائي لنظام الأطفال :

حجم الإعلام الصحي الموجه للطفل عن فوائد الحليب الطبيعي والخضار الطازجة وضرر الأصبغة الصناعية، أضعف بكثير من حجم الإعلان التجاري الموجه للحليب المجفف وأنواع العصير الذي لا يحوي إلا النكهة ، ورقائق البطاطا التي تحمل أسماء أبطال الأطفال المفضلين . ناهيك عن الأطعمة الكثيرة التي يعلن عنها في فقرات البث المخصصة للأطفال . الأطعمة ذات القيمة الغذائية المخربة لنظام الطفل الغذائي ، والتي أصبحت تحمل أشكالاً لا حصر لها ، وألواناً زاهية محببة وجاذبة لاهتمام الأطفال. وفي حقيقتها هي أكل في الحلم أو أصبغة غير صحية ، أو مقبلات لا قيمة غذائية لها . فلقد أحصيت في الفترة التلفزيونية المخصصة للأطفال في يوم واحد أحد عشر إعلاناً عن مشروبات ومأكولات تهم الأطفال .. هي في حقيقتها نكهات ومياه غازية لا تفيد الطفل، وغالباً تضره. وحين نقول نظام الطفل الغذائي، فنحن نقصد عادات الطعام المنزلية الثابتة، التي تضعها الأسرة؛ لتنمية جسم الطفل. تخلق هذه الإعلانات عادات طعامية جديدة مضرة بنظام الطفل الغذائي؛ لأن الطفل يريد أن يجرب كل ما يعلن عنه ، متجاوزاً ، في كثير من الأحيان ، قدرة معدته على تحمل الطعام وأوقاتها.. إضافة إلى كون الشركات المنتجة تهتم بالإعلان أكثر مما تهتم بتحسين نوعية المنتج الصحي .. وكم مرة نشرت الصحف ضبوطات وزارة التموين عن مخالفة هذه الشركات بأرقام الأصبغة الصحية ونسب المكونات الفعلية ...

(لا حاجة بعد اليوم لجلب البقرة إلى البيت ، بدك حليب طازه و مغذي : خود حليب مجفف) هذا الإعلان تكرر كثيراً على مسامعنا، مع أنه يحمل مغالطة علمية و صحية واضحة . فكيف يمكن أن يعادل الحليب المجفف حليب البقرة الطبيعي ؟ ولكن قلب الحقائق في الإعلانات ممكن باستخدام شخصيات محببة، وأسلوب القص الفكاهي .. لنقول عن الأسود أبيض و نصدقها . ونقول عن رقائق البطاطا مسبقة الصنع بزيت لا نعرفه ، يمكن أن يتفاعل مع أكياس التغليف ويشكل مادة مسرطنة .. إنها أشهى ومفيدة

تماماً كالبطاطا الطازجة . علماً أن الكيس فيه 18 غراماً ثمنه 5 ليرات سورية ، أي ما يعادل ثمن 500 غرام من البطاطا الطبيعية الطازجة . ولكن من يقنع الطفل بحقيقة هذه المنتجات بعد حملات الإعلان التي لا تتوقف . نحن فعلاً بحاجة إلى جهد إعلامي ضخم؛ لمواجهة هذا الخرق الصحي لأطفالنا، وهم أغلى ما نملك للمستقبل. هنا الأسرة والمدرسة مدعوتان لدور مهم في حماية نظام الطفل الغذائي .

وفيما يتعلق بحماية المستهلك – الطفل وترشيد الاستهلاك ، فلقد ازدادت الإعلانات طولاً وعرضاً بدون مبرر، والتأثير على الأطفال هو محور أغلبها ، فمن يدافع عن مصلحة الطفل في هذا الكم الهائل من التأثير على ساحة التفكير الغضة ، والأكثر عرضة للغواية ، بحيث إن الأطفال يتركون الجبنة البلدي كاملة الدسم ، ويطلبون الجبنة المبسترة والمستوردة ، لمجرد أنهم شاهدوا إعلاناً لهذه الجبنة التي هي (دائماً لذيذ .. تذوقها فتشعر وكأنك مغامر في عالم كله مفاجآت) .

والدفاع عن حقوق الطفل في الصحة والنماء يتضمن تقديم سلع وخدمات لا تضر بصحته أو تربيته الاجتماعية ، وتقديم إعلان بمواصفات السلعة الفعلية، بغض النظر عن جمال العرض . وهذا يعني أن يكون المعلن مسئولاً قانونياً عن صحة ودقة البيانات التي يقدمها للجمهور عن سلعته .

نضع هنا مجموعة من المقترحات و التوصيات التي نعتقد أنها مفيدة في مجابهة الغزو الإعلامي للأطفال من طرف الإعلانات، التي يتسع مداها و تأثيرها على الأطفال، بما يتعارض مع تربيتنا الاجتماعية وتوجهاتنا التنموية :

1- عدم استخدام الأطفال في الإعلان عن المنتجات والخدمات، بغض النظر عما إذا كانت هذه المنتجات أو الخدمات تخص الأطفال أو الكبار .

2- المراقبة يجب أن تكون صارمة على أشرطة الفيديو الإعلانية التي تقع خارج و داخل التلفاز؛ لتحديد محتواها ومدى ملاءمتها للطفل سلوكياً وقيمياً . ورفض الإعلانات التي تحرف السلوك الاجتماعي القويم.

3- في التلفاز وفي المجلات والصحف : إدارة المؤسسة مسؤولة عن صحة المعلومات الواردة في الإعلانات التي تصدرها ، ولها أن تطلب البيانات التفصيلية لصحة ما يعلنه المنتج .

4- التأكيد على إعفاء إعلانات النفع العام، مثل (النظافة و تنظيم الأسرة ومنع التدخين وتجنب الأمراض ...) نهائياً من دفع أية تعويضات لخزينة المؤسسات الإعلامية عن هذه الإعلانات التي تعتبر خدمة اجتماعية عامة .

5- الدعوة إلى التوعية الاجتماعية للأطفال؛ للتمييز في حملات الإعلانات بين الغايات والأهداف؛ للحفاظ على صحة الطفل و نظامه الغذائي ، وتوعية الطفل بمخاطر الحياة الاستهلاكية على صحته ونموه وأخلاقه (توجيه معاكس للإعلانات) .

6- توجيه الطفل نحو أنشطة وفعاليات أكثر تنمية لوعيه ومداركه الذهنية وقدراته الجسمية، من المشاهدة التلفزيونية التي هي فعل سلبي لعقل الطفل، تستحوذ على ذهن الطفل، ولا تدفعه للحوار والتواصل .

7- رفع السوية الثقافية للعاملين في وكالات الإعلان ومسؤوليتها : بما يتناسب وخطورة الإعلانات على القيم الاجتماعية وعلى اللغة العربية، وعدم استخدام العامية في أي إعلان مقروء .

إن حماية الأطفال من الغزو الثقافي الإعلاني بأشكاله المختلفة بوجود البث المتواصل من كل محطات العالم تتطلب جهوداً مكثفة لتوعية الأطفال بمخاطر الانزلاق إلى الاستهلاك كنمط حياتي، في بلاد تعني لها التنمية القومية خياراً استراتيجياً لتجاوز التخلف وتحقيق الوفرة. ولا بد من تعاون الجهات المتعددة الرسمية والشعبية والدولية ... بهدف حماية الطفل من الاستغلال، واحترامه كغاية ، وتكامل عمل هذه الجهات من أجل مستقبل أفضل لأطفالنا : اقتصادياً وقيمياً وصحياً ، بما يعني حماية مستقبل المجتمع العربي المأمول .

ثالثاً :- علاقة الطفل المعاق بالإعلام

ظاهرة الإعاقة موجودة منذ أقدم العصور ، فمنذ وجد الإنسان يخلق معاقاً ، أو يتعرض لصدمة أو ضربة تجعله أقل من غيره عضوياً، بحيث يحرم من أداة أو أدوات من وسائل اتصاله و تفاعله مع البيئة المحيطة. هذا الحرمان من أداة للاتصال بالطبيعة وبالآخرين والتفاعل معهما يخلق جملة من المشكلات النفسية والاجتماعية عند المعاق نفسه ومن يحيطون به. ومهمة الباحث الاجتماعي والنفسي فهم هذه المشكلات والعمل على إيجاد السبل الكفيلة بالتغلب عليها، ليس لمصلحة المعاق فحسب، بل لمصلحة المجتمع ككل.

والفكرة الأخيرة لم تعها البشرية إلا في وقت متأخر، إذ إن الماضي شهد تجنياً كبيراً على المعاقين، حين كان المجتمع ينظر للمعاق على أنه عضو ضار غير نافع وغير منتج، أو أنه مجال لاستدرار عطف الآخرين و شفقتهم ، والاقتصار على ذلك . والواقع أن المجتمع كان ينظر للمعاق نظرة فيها قصور كبير ، وعدم وعي لمبلغ الإفادة التي يمكن أن يجنيها المجتمع من تشغيل المعاقين له ولهم .

الإنسان – معاق أو سوي – اجتماعي بطبعه يرغب في الاتصال بالآخرين وتبادل الخبرات مع من حوله، ومن خلال اتصاله يكتسب الإنسان معارف متنوعة في مختلف النواحي : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. هذا الاتصال يتم عادة من خلال الإعلام الذي هو ظاهرة اجتماعية قديمة قدم المجتمع البشري. إنه ظاهرة نقل خبرة الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة. إن وسائل الإعلام مختلفة ومتنوعة. وقد أدى تعاون العلم و التقنية إلى ظهور أسلوب جديد مبدئياً للإعلام و الاتصال يشكل تياراً وحيد الجانب من الأخبار والمعلومات الموجهة لجمهور غير معروف نسبياً، وكبير عددياً، وغير متجانس نوعياً. وهذا النوع من الإعلام يسمى عادة بالإعلام الجماهيري .. وهو عملية نشر المعلومات (المعارف ، الأحداث ، القيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية المختلفة) عن طريق وسائل تقنية (صحافة ، سينما ، إذاعة ، تلفاز) على أعداد واسعة موزعة من الجماهير . لعل الطابع الاجتماعي للإعلام الجماهيري يستدعي سؤالاً مبرراً عن نصيب الفئات المعاقة بين الجماهير من هذا الإعلام الجماهيري، في عصر المساواة وحقوق الإنسان وديمقراطية المعرفة المطلوبة من الجميع وللجميع .

إن العمليات الإعلامية بوسائلها المختلفة هي عملياً : (آلية الوراثة الاجتماعية) التي تلبي حاجات نفسية اجتماعية إلى المعارف والتواصل الاجتماعي وترسيخ القيم الروحية والقواعد الأخلاقية والسياسية للمجتمع أو لجزء منه .

هناك 460 مليون معاق. وفي تعداد عام 1985 للأمم المتحدة أربعة من كل خمسة معاقين هم من سكان البلدان النامية، وثلثهم أولاد دون الخامسة عشرة من العمر .

وبحساب النسب العالمية العامة للإعاقة و هي عادة 5٪ من مجموع السكان ، نجد أنه في كل قطر عربي أعداد من المعاقين بمئات الألوف ... وهو رقم مهم في حسابات التنمية ، وأغلبهم خارج قوة العمل. ولكن من أين يأتي هذا العدد الضخم من الإعاقة؟

لعل ثالوث المرض والجهل والفقر أكبر الموردين للإعاقات في العالم. وهذا الثالوث يجد مرتعه الخصب في بلدان النمو المنخفض ، فطبيعياً أن يكون أربعة أخماس المعاقين من سكان البلدان النامية، هي بحاجة لكل يد عاملة فيها ولكل جهد من أجل تنمية اجتماعية واقتصادية وثقافية، تنتشلها من مستقبل مجهول . ورغم ذلك تعاني هذه الدول أكثر من غيرها ويلات حروب مستمرة تعتبر مورداً أساسياً للعاهات والفقر والمرض. ونجد الأطفال أوقات الحرب بدون حماية؛ مما يجعلهم و قوداً لنار لم يشعلوها ولا ذنب لهم فيها. هذا ما يعتبره تقرير منظمة الطفولة لعام 1992 (وصمة عار على جبين القرن العشرين). إن حماية عقول الأطفال وأجسامهم تستحق الأولوية على اهتمامات المجتمع في أوقات الرخاء كما في أوقات الشدة ، وفي أوقات الازدهار الاقتصادي كما في أوقات الركود ، وفي أوقات الحرب والسلم . يقول التقرير إن حروب الثمانينيات أدت إلى قتل أكثر من مليون والنصف من الأطفال . وإعاقة أكثر من أربعة ملايين آخرين إعاقات جسدية؛ حيث بترت أطرافهم ، أو تلفت أدمغتهم، أو فقدوا أبصارهم وسمعهم. (غرانت ، 1992)

يعاني أبناء فلسطين – على وجه الخصوص – من همجية العدو الصهيوني الذي يحتل الأرض العربية منذ عام 1948 . ويتعرض الأطفال في هذا الجزء من العالم لأقصى درجات القسوة والعنف والسجن والاعتقال بشكل غير مسبوق إلا فترة النازية . عدد الأطفال المعتقلين والمحتجزين في السجون الإسرائيلية خلال العام 2000 (420 طفلاً أقل من 18 سنة)، وعدد الشهداء في الانتفاضة الأخيرة من الأطفال أقل من 18 سنة 85 طفلاً شهيداً . وعدد الجرحى 4435 طفلاً . إن أياً من هؤلاء الأطفال الذين سقطوا ضحايا لهذه الهجمات الدموية الشرسة لم يكن مجنداً ، ولم يرتدِ زي الجندية أو شعاراتها ، ولم يشكل أي منهم تهديداً لحياة الجنود الإسرائيليين المحصنين خلف دباباتهم و مدافعهم وطائراتهم. لقد طالتهم يد الموت الآثم في مدارسهم و ملاعبهم و مساكنهم و بين أحضان أمهاتهم. (اليازجي ، 2001) . أما الآثار النفسية : فإن التعرض لويلات الحروب يؤثر سلبياً على نمو الطفل النفسي و الجسدي و على شكل علاقته بالآخرين و على مستقبله . لقد تبين من دراسة آثار العنف الإسرائيلي على الأطفال الفلسطينيين أن عينة الدراسة البالغة 330 طفلاً قد عانوا من اضطرابات نوم بعد الانتفاضة بنسبة 94٪ وأن 88٪ منهم

يشعرون بالخوف، وأجاب 56٪ من الأطفال أنهم بحاجة للشعور بالأمان (الوحيدي ، 2001)

لقد حان الوقت لإطلاق صرخة عالمية مدوية بوقف الحرب على الأطفال ، فإذا كان لا بد من خوض الحروب ، فإن أقل شيء ينبغي عمله هو توفير الحماية للأطفال من أسوأ تأثيراتها. اتفاقية حقوق الطفل التي تمت المصادقة عليها من قبل دول العالم تطالب بتوفير الإجراءات الممكنة لحماية و رعاية الأطفال الذين تعرضوا للنزاعات المسلحة . وهذه ضرورة عالمية، ولكن إسرائيل لا تحترم أي نوع من هذه المواثيق؛ بدليل أنها أعطت أوامر لجنودها بإيجاد عاهات مستديمة لأطفال فلسطين، بتكسير أطرافهم عمداً . يتوجب على الرأي العام العالمي أن يتخذ موقفاً صلباً ومتشدداً ضد (الحرب على الأطفال في فلسطين) . تجسدت انتهاكات إسرائيل لكل حقوق الطفل حينما نقلت الأقمار الصناعية مشهد الطفل " محمد جميل الدرة " ابن الثانية عشرة وهو يعدم رمياً بالرصاص، مستنداً على الحائط، محتمياً بأبيه، الذي رفع يديه مستجيراً لفرق الإعدام الإسرائيلية ألا تسلب حق صغيره في الحياة، وأعاد هذا المشهد إلى ذاكرة البشرية الممارسات النازية التي طالت السماء بوحشيتها .. ثم انتهى بها الأمر إلى مهملات التاريخ ، وصاغ الطفل محمد بلحظة استشهاده هذه أمام العالم أجمع شهادة ميلاد نازية ثانية مصيرها حتماً سيكون مصير الأولى. فقد قررت جامعة الدول العربية أن يصبح تاريخ استشهاد محمد الدرة 1 / 10 / 2000 من كل عام هو يوم الطفل العربي؛ كي تحتفظ ذاكرتنا جميعاً.. وذاكرة أطفالنا في كل أرجاء الوطن العربي باللحظة التي سلبت فيها إسرائيل حق الطفل محمد في الحياة ، والكثيرين مثله من الأطفال الذين .. فقط .. غابت عنهم آلات التصوير ، مثلما غابت عن غيرهم من أطفال فلسطين، الذين سلبتهم إسرائيل حقهم في الأمان ، حقهم في الوطن ، حقهم في العيش في كنف ذويهم الذين لقوا الشهادة ، حقهم في الحماية من العنف والقسوة والإذلال ، وهي حقوق من أولويات حقوق الإنسان وحقوق الطفل، التي تضمنتها الوثيقة الدولية، وتعهدت دول العالم بالالتزام بها ، عدا إسرائيل .

دور الإعلام في حماية الطفولة من الإعاقة :

يساعد الإعلام المعاقين على تجاوز إعاقتهم بربطهم بنشاطات مجتمعهم، والتوجه

إليهم بحيز من اهتماماته ووقته (يعرفهم على المجتمع ويعرف المجتمع عليهم). ومن جهة أخرى يقود الإعلام الحملات المتواصلة لتجنب الإعاقة أصلاً ، بتحصين الأطفال ضد الأمراض الشديدة التي تسبب الإعاقة. التحصين الموسع مثلاً يبعد خطر الشلل الذي يقعد نصف مليون طفل سنوياً. وإن ما يراوح بين اثنين وتسعة بالألف من تلاميذ المدارس في بعض البلدان النامية هم مقعدون .

لقد أظهرت خبرات التلقيح على مدى سنوات أن وضعه في متناول الناس ليس كافياً وحده، ففي أحيان كثيرة يحمل نصف الأطفال فقط إلى مراكز التلقيح، ولا يعاد سوى نصف هؤلاء لتلقي الجرعتين الثانية والثالثة . ولكي تحقق رسالة التلقيح غايتها ، ينبغي إطلاع الأهل على الفوائد الكثيرة للتلقيح . ومن الضروري أيضاً أن يستطيع هؤلاء إحضار أطفالهم للتلقيح من غير أن يجبروا على التضحية بوقتهم و جهدهم الثمينين في كفاحهم اليومي لتأمين سبل العيش . وبرنامج التلقيح ضد أمراض الطفولة المسببة للإعاقة في مدينة (جوبا) بالسودان أثبت أهمية الحملات الإعلامية بمختلف الوسائل؛ لتحقيق أعلى نسبة تلقيح للأطفال . فبعد سنتين من بدء برنامج التحصين الموسع في جوبا، أجري مسح لتقويم النتائج ، وجاءت البيانات محبطة للعزائم ، فقد تم تلقيح 8٪ فقط من أطفال المدينة ، و لم يعرف سوى 40٪ من الأهل بتوافر خدمات التلقيح. وقررت دائرة الصحة العامة اللجوء إلى طريقة مختلفة بدءاً من قطاع "كاتور" في المدينة. وإذ لحظت الدائرة محدوديتها وقصر باعها ، دعت منظمات وهيئات أخرى للمساهمة في الحملة، ومن بينها دائرة الشباب والرياضة ومنظمات غير حكومية وزعماء كاتور الشعبيون. كما خضع الموظفون البلديون المولجون بالنشاطات الخارجية لدورة تدريب دامت شهراً على طرق الاتصال، ولا سيما الأساليب التقليدية والزهيدة الكلفة، كرواية القصص والتمثيل والمناقشات الجماعية. وبدعم من البرامج الإذاعية الأسبوعية والمقالات في صحيفة (مرآة النيل) وسيارة مجولة مع مكبر صوت، زاروا جميع المنازل؛ لتشجيع الآباء والأمهات على إحضار أولادهم إلى مراكز التلقيح، والتأكيد على أهمية اللقاحات الكاملة. وكانت النتيجة – حتى الآن – ارتفاع نسبة أطفال كاتور المحصنين كلياً ضد الأمراض من أقل من 10٪ إلى أكثر من 40٪. واليوم يزداد أكثر فأكثر اعتماد الأمم المتقدمة والمتأخرة على تقنيات الاتصال في تسويق الأفكار الاجتماعية؛ لزيادة فعالية الحملات التي تمس صحة الأطفال وحياتهم، وكذلك تعميم حملات

التوعية الصحية على أكبر قطاعات السكان. والتسويق الاجتماعي هو استخدام تقنيات الاتصال المختلفة؛ لترويج وتعميم تأثير الأفكار الهادفة إلى إحداث تغيرات مرغوبة في سلوك الأفراد وتحسين شروط حياتهم المجتمعية .

برامج إعلامية مقترحة للطفولة المعاقة :

في الوطن العربي للتلفاز أهمية كبيرة في مجال الاهتمام بالطفولة عموماً، وبالطفل المعاق خصوصاً؛ وذلك لما لهذا الجهاز من تأثير كبير على الأطفال بألوانه الزاهية. واجتماع الصوت والحركة أمام الطفل يحببه بهذا الجهاز، ويدفعه إلى مراقبته والتعلق به فترات طويلة كل يوم. أصبح الطفل يعتمد عليه في تكوين اتجاهات وقيم كثيرة عن البيئة المحيطة. وخطورة التلفاز المتزايدة تستدعي أن يولي هذا الجهاز مسألة الإعاقة الاهتمام الذي تستحقه ، حرصاً على سلامة ومستقبل من سيصنعون مستقبل هذه الأمة . والواقع أن التلفاز – حتى الآن – لا يقوم بهذه المهمة؛ لتجنيب المجتمع آلام ومصاعب الإعاقة قدر المستطاع . وأعتقد أن برامج التلفاز والإذاعة - من بين وسائل الاتصال - قادرة على خلق فهم أكبر للظروف التي تؤدي إلى الإعاقات، وكيف يمكن تقبل الشخص المعاق، وكيف يكون عنصراً فاعلاً في المجتمع. ونقترح هنا مجموعة من البرامج الممكنة في سبيل خطة إعلامية تضع في اعتبارها الطفل المعاق؛ كشريحة اجتماعية لها حقوقها الإعلامية في المجتمع .

أ- برامج إعلامية لتجنيب الأطفال الإعاقة :

1- برامج إعلامية لتجنيب الأطفال الحوادث المختلفة التي يمكن أن يتعرضوا لها : (حوادث من محيط الطفل المنزلي- حوادث السيارات والطرقات- حوادث المدرسة...)
2- تمثيليات لظروف وأساليب حياة تؤدي إلى الإعاقة ، مثل زواج الأقارب ، أو معاملة الأطفال ، أو تناول الأدوية .
3- برامج للاهتمام بالأم الحامل، وتعاطي الأدوية والعلاقة بالمراكز الصحية .
4- برامج التغذية الصحيحة والخاطئة للأم والطفل .
5- برامج لمساعدة الأهل في التعرف المبكر على الإعاقة ومعالجتها .

ب- برامج إعلامية (تلفاز - إذاعة) لدمج المعاق بالمجتمع :

1- برامج للتعريف بالطفل المعاق : مكفوف – أصم – معاق حركياً ...
2- اللعب مع المعاق وتقبل المعاق في الوسط الاجتماعي.
3- نماذج للعبقرية المعاقة : (أبو العلاء المعري ، طه حسين ، هيلين كيلر) . إن هذه النماذج تفيد الأسوياء في فهم تحدي الوجود ومجابهة الظروف مهما كانت قاسية ، وتجاوزها نحو الإبداع .
4- إبراز مجالات إدماج المعاق بالحياة الاجتماعية ، والأعمال المناسبة لكل إعاقة .
5- تحتاج فئة الصم برنامجاً إخبارياً تلفزيونياً يومياً بلغة الإشارة .
6- المكفوفون بحاجة إلى برنامج إذاعي خاص يعنى بشؤون المكفوفين وأخبارهم ونشاطاتهم، ويصلهم بالصحافة المكتوبة والكتب المنشورة ، عن طريق الأذن .

إن الصعاب الجسام التي يتحملها كل من المعاق وأهله في التعايش مع أي نوع من أنواع الإعاقة – التي تبدو لهم قدراً مظلماً ـ تتطلب تضافر جهود متعددة مخلصة في العمل على تجاوز الإعاقة وتقبلها اجتماعياً ، بما ينعكس إيجابياً على المعاق وعلى المجتمع. وللإعلام دور كبير في تحقيق هذه الغاية .

المراجع

- العالم ، محمود أمين ، (1995) ، كلما أنبت الزمان قناة ، مجلة الهلال ، العدد السابع القاهرة ، الصفحات (70 – 75) .
- العباسي ، أميرة ، 1994 ، الإعلانات .. وصنع القرار في المؤسسات الإعلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني والعشرون ، العددان الأول والثاني، الكويت ، ص (260 ـ 295).
- الفيصل ، سمر روحي، (1983) ، ندوة إذاعة وتلفاز الأطفال ، منشورات منظمة طلائع البعث ، دمشق (الصفحات 191 – 210) .
- المعتوق ، أحمد محمد ، (1996)، الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة 212 ، المجلس الوطني للثقافة، الكويت .
- أمثلة إعلانات التلفاز مأخوذة من التلفاز العربي السوري ، أكثر الأقنية تأثيراً على الأطفال : أولاً من حيث كم امتلاك الأسر السورية لجهاز التلفاز ، وثانياً من حيث علاقة الإعلانات بالسوق المحلية ومشتريات الأطفال . أما الأقنية الفضائية، فتعلن عن أشياء غير موجودة في الأسواق المحلية. وهذا يزيد قضية الإعلانات تعقيداً، ويزيدنا مسؤولية.

- المكتب المركزي للإحصاء في سورية ، (1979) ، بالتعاون مع صندوق رعاية الطفولة (اليونيسيف)، الخدمات المقدمة للطفل في القطر العربي السوري ، دراسة ميدانية .
- الوحيدي ، ميسون ، (2001) ، الآثار النفسية للعنف الإسرائيلي على الأطفال الفلسطينيين، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة، العدد الرابع ، المجلس الأول،الصفحات (85 – 105).
- اليازجي ، أحمد (2001) ، الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الطفل الفلسطيني ، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة ، العدد الرابع ، المجلد الأول ، الصفحات (175 – 180).
- بنحدو ، رشيد ، (1994) ، العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة في دولة الكويت، المجلد الثالث والعشرون، العددان الأول والثاني 1994 ، الصفحات (471 – 495).
- علي ، نبيل (1994) ، العرب وعصر المعلومات ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة ، ط 1 الكويت .
- علي ، نبيل ،(2001) الثقافة العربية وعصر المعلومات ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.
- غرانت ، جيمس ب ، (1992) ، وضع الأطفال في العالم ، منظمة الأمم المتحدة للطفولة – اليونسيف، عمان .
- وطفة ، علي ، (1992) ، أثر متغيري الجنس والمستوى التعليمي للأب على الفترة الزمنية التي يقضيها الشباب في مشاهدة التلفاز في محافظة درعا ، مجلة مؤتة ، المجلد التاسع ، العدد الثالث، الصفحات (11 – 48).
- محمد عباس نور الدين، (1994)، العلاقة المحتملة للتلفزيون والسينما بالانحراف ، المجلة العربية للدراسات الأمنية ، المجلد التاسع ، العدد الثامن عشر ، الرياض ، الصفحات (11 – 32) .
- مشوط، محمود، (1987)، الإعلان ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق .

العلاقة بين الأطفال العرب والتليفزيون دراسة تحليلية للدراسات والبحوث الميدانية التي أجريت على الطفل العربي ✪ من 1960 - 2000

د. ليلى عبد المجيد ✪✪

إن تأثر الطفل بوسائل الإعلام أمر لا يمكن إنكاره ولا تجاهله، وتتمتع هذه الوسائل ـ بدرجة متفاوتة ـ بتأثيرها المباشر أو غير المباشر على الأطفال الذين يتعرضون لها، سواء أكان هذا التعرض انتقائيا أم غير انتقائي؛ إذ يهيئ الاتصال عبر هذه الوسائل الأطفال للمشاركة، ويمكنهم من إشراك أنفسهم ـ إلى درجة ما ـ في مواقف خبرات قد لا يمرون بها في حياتهم العادية ، وتقمص أدوار ذاتية وأخرى اجتماعية في العديد من الجماعات قد لا يتاح لهم في واقع الحياة أداؤها.

وعلى هذا يمكن القول إن للاتصال الجماهيري دوراً مهماً في التأثير على مدارك الأطفال ودوافعهم واتجاهاتهم ومستويات فهمهم واهتماماتهم وأذواقهم ووجهات نظرهم وقيمهم وأنماط سلوكهم . إذ يتعرض الأطفال لما تقدمه وسائل الإعلام الجماهيري ـ بشكل عام ـ الموجه إليهم، كما يتعرضون للإعلام الموجه إلى الكبار.

والطفل العربي بمختلف فئاته العمرية والاجتماعية ـ يعيش واقعا إعلاميا متغيرا تتمثل أهم ملامحه في :

✪ هذه المقالة هي ملخص لدراسة قدمتها د. ليلى عبد المجيد باسم المجلس العربي للطفولة والتنمية إلى المؤتمر العربي للإذاعة والتليفزيون والطفل ، الذي نظمه اتحاد إذاعات الدول العربية ، بتونس 3 ـ 6 إبريل 2002

✪✪ أستاذ الصحافة بكلية الإعلام – جامعة القاهرة ، وعميد كلية الإعلام ، جامعة 6 أكتوبر .

1 ـ التزايد المستمر لدور وسائل الإعلام في حياتنا المعاصرة.

2 ـ التطور الهائل والمتلاحق في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، والطفرة الضخمة في كم المعلومات المتغيرة» إضافة إلى التضارب في اتجاهاتها، وما تتبناه من قيم إيجابية وسلبية وأفكار متعارضة .

3 ـ الاتجاه العالمي نحو الخصخصة والتأثيرات المصاحبة على صناعة الاتصال واقتصادياته، بما تحمله من تطبيق آليات السوق .

4 ـ التوجه نحو تطبيق اتفاقية التجارة العالمية بكل تأثيراتها الإيجابية والسلبية؛ حيث المنافسة بلا حدود والبقاء دائما للأفضل والأقوى .

5 ـ العولمة بكل ما تثيره من تحديات وإشكاليات خصوصا ما يتصل منها بالهوية القومية.

6 ـ التطور الديمقراطى وما يصاحبه من اتساع نطاق حرية الرأى والتعبير والاهتمام الكبير بحقوق الإنسان .

7 ـ الاتجاه نحو القبول بمزيد من التعددية والتنوع في وسائل الإعلام .

8 ـ تغير مفهوم الرقابة، إذ أصبح من العسير، فرض أى شكل من أشكال الرقابة الخارجية على السيل المنهمر إلينا من رسائل إعلامية من مختلف المصادر المحلية والإقليمية والعالمية؛ مما يطرح مفهوما جديدا للرقابة يقوم على الاقتناع بقدرة البشر على الاختيار والانتقاء والحكم السليم، وتنمية الفكر النقدى لديهم .

ويأتى التليفزيون فى المرتبة الأولى بين غيره من وسائل الاتصال ليس فقط من حيث عدد الساعات التى يقضيها الطفل أمام شاشته، من حيث قوة تأثيره . يصل إلى أعلى مستوياته في المراحل الأولى من المراهقة. فالأطفال مستهلكون للتليفزيون بشكل كبير، لما للحركة والخيال الذي يجسده من قرب للواقع، ودوره في إثارة الاهتمام خصوصا عندما تكون الصورة ملونة ؛ حيث يتمتع التليفزيون كوسيلة سمعية بصرية بقدرات هائلة، قد يكون لها دور فى تنمية وظائف النمو العقلي عند الطفل، والتعلم المجدى من خلاله يتم عن طريق التسلية ، خصوصاً أن كثيراً من الدراسات قد كشفت أن الأطفال يشاهدون برامج الكبار أكثر من مشاهدتهم للبرامج الموجهة إليهم فعلاً.

لقد أصبح التليفزيون يشكل مدرسة موازية في نقل المعارف والعلوم، ولا شك أن عامل التكرار فيما يقدمه التليفزيون له تأثيره في إضافة معلومات جديدة إلى الطفل تختلف ـ كما وعمقا ـ عن معلوماته السابقة، وتغير أو تضيف إليه صورا ذهنية عن الأحداث والمواقف والأشخاص ، وقد اتضح من بعض الدراسات أن أفكار الأطفال تتأثر تأثراً قوياً عندما تقدم البرامج في شكل درامى وتطرح قيما أو أفكارا مرتبطة بقيم وأفكار يكون لدى الأطفال استعداد لقبولها، وعندما لا يكون بإمكان الطفل الحصول على معلومات خاصة بموضوع معين من مصادر أخرى كالأبوين أو الزملاء ، كما تشير بعض الدراسات إلى أن الطفل يبدأ المشاهدة الهادفة للتليفزيون في السنة الثانية أو الثالثة من عمره، وإن اختلف ذلك من طفل إلى آخر، ونظرا إلى كون هذه السن مبكرة يكاد التليفزيون يشترك مع الوالدين في الاتصال المبكر نسبيا مع الطفل.

وعلى الرغم من تقدير الكثيرين لدور التليفزيون في تثقيف الطفل وتوسيع مداركه ، من خلال نقل المعارف والخبرات، يوجه البعض ـ من خلال نتائج بحوث ميدانية ـ العديد من الانتقادات إلى الدور التربوى للتليفزيون، منها:

1 ـ إفساد الأطفال، من خلال ما يقدمه أحيانا من إعلانات غير ملائمة ، وأسلوب معالجته الجرائم والانحرافات، وكذلك من خلال عرضه المتكرر بعض الأفلام ، التى قد تتضمن ما هو خطر على الأطفال في المرحلة العمرية التى يمرون بها، خصوصا أن الطفل دون السادسة ـ في رأى البعض ـ قد لا يمكنه التمييز بشكل دقيق بين ما هو خيالى وما هو واقعي؛ ويكون أكثر عرضة لتعلم أساليب وطرق العدوان من مشاهد العنف المتكررة. كما أن الطفل في السنوات الأولى من عمره يكون عاجزاً عن التمييز الدقيق بين الشخص والموقف الذى هو فيه، فيلجأ إلى تعميق تجاربه مع الآخرين، ويقبل تجارب الآخرين تعميما على شخصه. وتتوقف درجة هذا التأثير على درجة ذكاء الطفل ومستواه الاجتماعى والثقافى، وطبيعة المناخ الفكري الذي يعيش فيه، والظروف التي يتعرض فيها الطفل للمادة التليفزيونية.

2 ـ إن التليفزيون بسيطرته وهيمنته على جمهوره جعلهم أسرى له؛ مما أضعف التواصل والعلاقات الأسرية والاجتماعية بشكل عام، وجعل الفرد يتوه في دنيا من الوهم ضاعت معها معالم الحقيقة والواقع.

3 ـ إن التنشئة التليفزيونية أثرت على الأطفال، وحولتهم من نشطاء مندفعين راغبين في فهم الأشياء والشروع في العمل، إلى أطفال أكثر حذراً وسلبية، تفكيرهم متعجل، لا يريدون التقدم واكتشاف الأدوار بأنفسهم. وتشير بعض الدراسات إلى أن الجيل الذى شب وهو يشاهد التليفزيون بكثافة ، يعتقد أن حياة الكبار تبدو مملة ومرهقة ، وأن استمتاعهم بالحياة يفتقد شيئا ما.

4 ـ كشفت بعض الدراسات ـ التي أجريت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ـ عن وجود علاقة بين مشاهدة التليفزيون والتحصيل الدراسي، وأنه كلما زادت مشاهدة الأطفال للتليفزيون انخفض تحصيلهم الدراسي، غير أنه لم يثبت أن غياب التليفزيون بالضرورة كان مسئولا عن تحقيق الأطفال لدرجات أعلى.

5 ـ هناك دلائل تشير إلى أن مشاهدة التليفزيون لا تؤدي إلى تقليل وقت اللعب عند الأطفال فحسب، بل إنها أثرت في طبيعة لعب الأطفال ذاتها، وخصوصا اللعب فى المنزل أو المدرسة . وقد طرحت بعض الدراسات عدة تساؤلات حول تأثير تقليل وقت اللعب عند الأطفال؛ نتيجة لاستبدال أنشطته بمشاهدة التليفزيون ، إلى زيادة السلوك العدوانى الذى كان يتم امتصاصه اجتماعيا، من خلال تجارب اللعب.

6 ـ على الرغم من دور التليفزيون في النمو الاجتماعي والثقافي للطفل، فإنه قد يؤدي إلى نتيجة عكسية، ويجعل الطفل شخصية ضعيفة منفصلة عن مجتمعها إذا ما ركز على عرض قيم وثقافات أخرى تؤثر على ذاتية الطفل الاجتماعية والثقافية.

وفى ضوء ما سبق تبدو أهمية الدراسات الميدانية التى أجريت على الطفل العربى؛ حيث ترجع بدايات هذه الدراسات والبحوث ـ التى أمكن حصرها ـ إلى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، وإن شهد عقدا الثمانينيات والتسعينيات اهتماما كبيرا بهذا النوع من البحوث الميدانية التي سعت إلى قياس مدى تعرض الطفل العربى للتليفزيون ، وظروف هذا التعرض والعوامل المؤثرة فيه، واستهدف بعضها تعرف آراء الأطفال فيما يقدم لهم من خلال التليفزيون، كما حاول بعضها قياس التأثيرات المختلفة للتليفزيون الإيجابية منها ، والسلبية على الطفل.

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلى:

1 - رصد وتوصيف وتحليل الدراسات والبحوث الميدانية الخاصة بالعلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون.

2 - تحديد مدى التطور الذى حدث فى العلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون على مدى أربعة عقود أو يزيد حتى عام 2000.

3 - المقارنة بين المؤشرات الخاصة بعلاقة الطفل العربي بالتليفزيون ، في ضوء الفئات العمرية المختلفة للطفل (طفل ما قبل المدرسة) - (الطفولة المتأخرة من 6 - 12 سنة) - (المراهقة المبكرة من 12 - 15 سنة) - (المراهقة المتأخرة من 15 - 18 سنة).

4 - تقييم الوضع الراهن للعلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون ، من خلال ما انتهت إليه البحوث والدراسات الميدانية التى اعتمدت على عينات من الأطفال العرب.

5 - الخروج بمجموعة من الاستنتاجات والخلاصات العامة حول مستقبل العلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون ، في ضوء المتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية الراهنة.

منهج الدراسة:

تنتمى هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية ، وتعتمد على مدخل المسح من خلال استخدام أسلوبى التحليل الكمي والكيفي للبحوث والدراسات الميدانية التى أجريت حول العلاقة بين الطفل العربي والتليفزيون خلال فترة التحليل.

مجتمع الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على تحليل 92 بحثاً ودراسة ميدانية أمكن حصرها - قدر الإمكان - من البحوث والدراسات الميدانية التي أجريت في 19 دولة عربية، هى: مصر.. التى استأثرت بنسبة كبيرة من هذه البحوث، بلغت 61٪ من إجمالى ما أجري من بحوث، والعراق - قطر - السعودية - الأردن - السودان - سوريا - الكويت - الإمارات - اليمن - فلسطين - سلطنة عمان - جيبوتى - موريتانيا - البحرين - الصومال - الجزائر - تونس - لبنان، وذلك خلال الفترة الممتدة من عام 1960 وحتى عام 2000 م.

توصيف مجتمع الدراسة حسب المراحل المختلفة للطفولة:

أولاً: طفل ما قبل المدرسة (أقل من 6 سنوات) :

حظي طفل ما قبل المدرسة في البحوث العربية بتسع دراسات - مما تم حصره - بنسبة 9,8٪ من إجمالي ما أجرى من بحوث ودراسات حول الطفل العربي منذ الستينيات وحتى الآن. وأجريت سبع دراسات منها في مصر وحدها، ودراسة واحدة في كل من الأردن والعراق. وتركزت كل هذه الدراسات في الفترة الممتدة خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، مما يكشف عن عدم الاهتمام بدراسة علاقة التليفزيون بهذه المرحلة العمرية المهمة حتى وقت متأخر نسبيا.

واعتمدت هذه الدراسات الميدانية على عينات صغيرة نسبيا (لم تتجاوز 200 طفلٍ وطفلة)، وفى بعض الدراسات تم الاعتماد على عينات أقل من خمسين طفلا. واتجهت غالبية هذه الدراسات إلى الاهتمام بدراسة طفل ما قبل المدرسة عموما، دون التركيز على خصوصية طفل الحضر أو الريف. كما عنيت أغلب هذه الدراسات والبحوث باستطلاع آراء الطفل حول تعرضه لبرامج التليفزيون بشكل عام ، دون تحديد لمضمون بعينه، وإن كانت هناك دراستان اتجهتا إلى دراسة تعرض الطفل للإعلانات وتأثيرها عليه ، ودراسة واحدة اهتمت باستطلاع آراء الأطفال - ما قبل المدرسة - حول برنامج «افتح يا سمسم .

ثانياً : الأطفال من 6-12 سنة (مرحلة الطفولة المتأخرة) :

اهتمت 36 دراسة - من إجمالي ما أمكن حصره من بحوث عربية ميدانية بنسبة 39,1٪ - باستطلاع آراء الأطفال في المرحلة العمرية من ست سنوات إلى 12 سنة، واستأثرت مصر وحدها بنسبة 77,7٪ من إجمالى هذه الدراسات، تلتها العراق ؛ حيث أجريت فيها أربع دراسات، واليمن - الإمارات - سوريا - سلطنة عمان، دراسة واحدة في كل منها. وأجريت نسبة كبيرة من هذه الدراسات فى الثمانينيات والتسعينيات (83,3٪) أغلبها في التسعينيات (ثلثا هذه البحوث) وأجريت في السبعينيات خمس دراسات، ودراسة واحدة فقط في الستينيات.

وتفاوتت أحجام عينات البحوث ، وإن كانت نسبة كبيرة منها بلغت أحجامها بين 300 وأقل من 500 طفل وطفلة.

ثالثاً: مرحلة المراهقة المبكرة «12 ـ 15 سنة»:

تناولت دراستان علاقة الطفل بالتليفزيون في مرحلة المراهقة المبكرة بشكل مستقل، وشكلت هذه الدراسات نسبة 2,2٪ من إجمالي ما أجري من بحوث ودراسات . وأجريت دراسة منهما في الكويت عام 1974، والثانية في مصر عام 1997.

وقد طبقت إحداهما على عينة من الأطفال في هذه المرحلة، بلغت 500 طفل وطفلة، والثانية «في الكويت، طبقت على 100 طفل وطفلة فقط، كما ركزت إحدى الدراستين على الأطفال في الحضر، والثانية لم تحدد البيئة الجغرافية للأطفال الذين طبقت عليهم.

وقد اهتمت الدراسة التى أجريت في الكويت ، بالعلاقة بين الطفل وبرامج التليفزيون عامة. أما الدراسة الأخرى التى أجريت في مصر فقد درست تعرض الأطفال ـ في هذه المرحلة ـ لنشرات الأخبار التليفزيونية.

رابعاً: مرحلة المراهقة المتأخرة (15 ـ 18 سنة):

تناولت ست دراسات علاقة المراهقين بالتليفزيون، وذلك بنسبة 6,5٪ من إجمالى ما أجرى من بحوث ودراسات ، وأجريت هذه الدراسات كلها في مصر . وأجريت في عقد التسعينيات، واعتمد أغلبها (80٪ منها) على عينات تتراوح ما بين 300 وأقل من 500 مراهق ومراهقة، واعتمدت دراسة واحدة على عينة بلغت 100 مراهق ومراهقة ، واهتم نصفها بالمراهقين في الحضر، ودراستان بالمراهقين عموما، ودراسة واحدة فقط بالمراهقين في ريف مصر.

وعنيت دراستان بعلاقة المراهقين بالبرامج الدينية، ودراستان بتعرضهم للأفلام السينمائية ، ودراسة واحدة بتعرضهم للمسلسلات العربية، ودراسة واحدة ـ أيضا ـ بالمواد التليفزيونية عامة.

خامساً: الأطفال في مرحلة المراهقة عموما (12 ـ 18 سنة):

استهدفت دراسة واحدة استطلاع آراء عينة من المشاهدين من النشء والشباب فى المرحلة العمرية 12 ـ 18 سنة في برامج التليفزيون، وأجريت في قطر، وشكلت نسبة 1,1٪ من إجمالى ما أجرى من دراسات وبحوث . وأجريت هذه الدراسة في عام 1994م،

معتمدة على عينة تزيد على 600، وتقل عن 700 من النشء، واهتمت هذه الدراسة باستطلاع آراء النشء (12 ـ 18 سنة) في برامج التليفزيون عموما .

سادساً: التليفزيون والأطفال فى مرحلتى الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة (6 ـ 15 سنة):

أجريت أربع عشرة دراسة في الدول العربية بنسبة 15,2٪ ،من إجمالى ما تم من دراسات حول الطفل العربى والتليفزيون، جمعت في اهتمامها بين علاقة الطفل فى مرحلة الطفولة المتأخرة (6 ـ 12 سنة) بالتليفزيون، والطفل في مرحلة المراهقة المبكرة (12 ـ 15 سنة). وقد أجري أكثر من ثلثى هذه الدراسات في مصر (تسع دراسات) وأجريت دراستان فى كل من قطر والعراق، ودراسة واحدة فقط في المملكة العربية السعودية.

وتركز ما يقرب من نصفها (42,9٪) منها ست دراسات في السبعينيات من القرن العشرين، وأجريت أربع دراسات في كل من الثمانينيات، والتسعينيات.

وتفاوت حجم العينات؛ إذ اعتمد بعضها على عينات كبيرة (1000 طفل فأكثر) وذلك في ثلاث دراسات، وبعضها على عينة من 400 إلى أقل من 500 طفل (أربع دراسات منها). وبعضها على عينات صغيرة نسبيا من 100 إلى 200 طفل (ثلاث دراسات منها) ومن 200 إلى أقل من 300 طفل (دراسة واحدة منها).

واتسم أغلبها بالعمومية؛ وركزت دراستان فقط على أطفال الحضر وحدهم. وعني أغلب هذه الدراسات (71,4٪) منها باستطلاع آراء الأطفال حول تعرضهم لبرامج التليفزيون عموما، وركزت أربع دراسات فقط على تعرضهم لبرامج الأطفال فقط.

بعض التصورات والرؤى المقترحة لتطوير العلاقة بين التليفزيون والطفل العربي

أ ـ البحث عن آليات وأشكال فنية جذابة ومشوقة قادرة على حفز الأطفال على المشاركة، وإتاحة الحرية لهم للتعبير عن أفكارهم، وتنمية قدراتهم على النقد وتشجيعهم على المناقشة .

وكذلك حفزهم على التفكير، وتدريبهم على الطرق الصحيحة والمنظمة له، وإكسابهم

القدرة على التحليل والاستنتاج، ومساعدتهم على تكوين جوانب شخصياتهم المستقلة المبدعة القادرة على مواجهة المشكلات، وإعدادهم للمستقبل بسماته المتمثلة في المرونة، والسرعة، والقابلية للتغيير.

2 ـ الاهتمام بإعداد الطفل العربي لاستيعاب العلم والتكنولوجيا، ومواكبة التطورات السريعة والمتلاحقة في هذا المجال، والتعامل مع المتغيرات التى تطرحها ونشر الثقافة العلمية بينهم. كذلك إعدادهم للتعامل مع ما يطرحه النظام الاقتصادى العالمى الجديد، واتفاقية الجات من منافسة تتطلب التميز والقدرة على التنافس.

3 ـ تدريب الأطفال من خلال برامج التليفزيون، على التعامل والتفاعل مع الكمبيوتر والإنترنت، ليس كوسائل للتسلية فحسب، بل كوسائط تعليمية وثقافية .

4 ـ تربية الأطفال من خلال برامجهم التليفزيونية على احترام الحق في الاختلاف والتعدد والتنوع، وتقبل الآخر، والتسامح مع الآخرين، واحترام قيم المشاركة والحرية والعدالة والمساواة، وإكسابهم القيم الديمقراطية.

5 ـ توجيه مزيد من الاهتمام الكمى والنوعى للأطفال ذوى الحاجات الخاصة بكل فئاتهم، من خلال مراجعة المضمون المقدم إليهم وتدقيقه من جانب المتخصصين، وتخصيص برامج توجيهية للأم والأب وأفراد الأسرة والمعلمين لكيفية تنشئتهم بشكل طبيعى.

6 ـ إعطاء مزيد من الاهتمام من خلال ما يقدمه التليفزيون في الدول العربية لطفل القرية وكذلك للأطفال في مرحلة المراهقة التى مازالت مهملة إلى حد كبير.

7 ـ الاهتمام من خلال المواد التليفزيونية المختلفة، بتغيير النظرة التمييزية ضد الطفلة الأنثى في المعاملة.

8 ـ التدقيق في محتوى الدراما التليفزيونية، وما تقدمه من نماذج للسلوك والقيم الاجتماعية؛ وكذلك مراعاة التدقيق في الإعلانات وشكلها ومحتواها، وعدم استغلال الطفل كأداة ترويجية في هذه الإعلانات.

9 ـ تعليم الأطفال في المراحل التعليمية المختلفة، كيفية التعامل مع وسائل الإعلام، خصوصا التليفزيون، وتدريبهم على مهارات الاختيار، ومعايير الانتقاء بين برامجه، بما يتناسب مع أعمارهم وظروفهم واحتياجاتهم، واهتماماتهم ، وربط المدرسة

ببرامج الأطفال، والتنسيق بين قنوات التليفزيون والمؤسسة التعليمية؛ من أجل توظيف هذه البرامج، وتصميم برامج مدرسية لمناقشة هذه البرامج ونقدها .

10 ـ توجيه برامج الأطفال التليفزيونية نحو مزيد من الاهتمام بغرس العادات والتقاليد والقيم والتراث الشعبى، من خلال القصص والحكايات من جانب، وتقديم روائع الأدب العالمى والعربى في شكل فني جذاب، من جانب آخر.

11 ـ الاهتمام بوضع معايير دقيقة لانتقاء واختيار برامج الأطفال التي يتم استيرادها؛ بحيث تتوافق مع ثقافتنا وقيمنا ومعتقداتنا، والاهتمام بإنتاج أفلام محلية وعربية للأطفال، وتوفير الإمكانات المادية والفنية والتكنولوجية التي تكفل لها تحقيق المستويات العالمية .

12 ـ تصحيح صورة الطفل العربى ـ كما يقدم في برامجه ـ التي كشف العديد من البحوث والدراسات أن الأطفال غير راضين عنها؛ حيث تنظر إليهم هذه البرامج كقاصرين وسذج، وتستخف بقدراتهم، وتتعامل معهم كدمى.

نتائج الدراسة

أولاً: مقارنة بين المؤشرات الخاصة بعلاقة الطفل العربي بالتليفزيون في ضوء الفئات العمرية المختلفة للطفل:

1 ـ حظيت الفئة العمرية من 6 إلى 12 سنة (الطفولة المتأخرة) بأعلى نسبة اهتمام من بين البحوث والدراسات الميدانية منذ الستينيات وحتى عام 2000م بنسبة 39,1٪، وتلاها بفارق كبير الفئة العمرية أقل من 6 سنوات (الطفولة المبكرة) بنسبة 9,8٪. أما مرحلة المراهقة (المبكرة والمتأخرة)، فقد كان الاهتمام بها محدوداً، إذ لم يتجاوز 8,7٪ وإن لم يمنع هذا بعض الدراسات من تناول هذه المرحلة في إطار بحوث ميدانية طبقت على عينات من الأطفال عموما.

2 ـ شهدت الثمانينيات والتسعينيات نمواً متزايداً للبحوث والدراسات الميدانية التي طبقت على الأطفال العرب، واتسمت هذه المرحلة من الدراسات بما يلي:

1/2: حرص الدراسات والبحوث على معرفة المرحلة العمرية للأطفال في إطار

التقسيمات للفئات العمرية للأطفال التي حددها علماء النفس والاجتماع والتربية.

2/2: توجيه الاهتمام لبعض الفئات العمرية التي لم تكن البحوث والدراسات تهتم بها من قبل كطفل ما قبل المدرسة، والمراهقة.

3/2: الاهتمام بعلاقة الأطفال بمواد تليفزيونية بعينها ، التي أكدت بعض الدراسات السابقة ارتفاع معدلات تعرض الطفل لها، مثل: الدراما ـ الأفلام السينمائية ـ الإعلانات التليفزيونية.

4/2: شهد النصف الثاني من التسعينيات اهتماما متناميا بدراسة التأثيرات المختلفة للتعرض للتليفزيون على الطفل العربي .

3 ـ اتضح ارتفاع متوسط ساعات المشاهدة عند أطفال ما قبل المدرسة؛ إذ بلغت 4,4 ساعة يوميا، وأشارت الدراسات – أيضا – إلى أن الانتباه عند هؤلاء الأطفال قليل أو نادر، وكان متوسط ساعات المشاهدة عند أطفال المراهقة المتأخرة أكثر من 3 ساعات يوميا، وتراوح بين ساعتين وأقل من 3 ساعات في مرحلة الطفولة المتأخرة، بينما بلغ متوسط ساعات المشاهدة اليومية 2,7 ساعة بين أطفال المراهقة المبكرة.

4 ـ ارتفاع كثافة المشاهدة عند الفئة العمرية (6 ـ 12 سنة) في فترتى المساء والسهرة، وانخفاض معدلات المشاهدة فى الفترات الصباحية والضحى والظهيرة. أما بالنسبة إلى مرحلة المراهقة المبكرة فقد ارتفعت هذه الكثافة في فترة السهرة وبعد الظهر، وكانت محدودة في الفترة الصباحية، وتتمثل فترات كثافة المشاهدة بالنسبة إلى المرحلة المراهقة عموما (12 ـ 18 سنة) في فترتي الصباح والعصر يوم الجمعة، وفترتى الظهيرة والسهرة يوم الخميس .

وهناك علاقة بين كثافة المشاهدة في الفئة العمرية (6 ـ 12 سنة) ومدى وجود رقابة من الأسرة والمستوى التعليمي، ومدى وجود اهتمامات متنوعة للطفل، لا تنحصر فى مشاهدة البيئة الجغرافية التى يعيش فيها الطفل فحسب (لصالح الأحياء الشعبية مقابل الأحياء الراقية، والحضر مقابل الريف). وكثافة المشاهدة لا تعنى في كل الأحوال عمق تأثير التليفزيون في حياة الطفل بوجه عام، وهذا التأثير يرتبط بعدة عوامل، منها: المضمون، استعداد الطفل واهتماماته ورغباته، وظروف حياته،

ونمط تفاعله مع الجماعات الأولية والثانوية التى ينتمى إليها.

وكشف بعض الدراسات التى أجريت مع المراهقين، أن المتغيرات الديموغرافية كالنوع ونوع الدراسة والمستوى الاقتصادى ـ الاجتماعى لا تؤثر في مدى استغراق المراهقين في المشاهدة، خصوصا بالنسبة إلى الأفلام السينمائية.

5 ـ يشاهد ما يقرب من ثلثى أطفال ما قبل المدرسة التليفزيون مع بقية أفراد الأسرة خصوصا الأم. وبالنسبة إلى الأطفال من 6 إلى 12 سنة، فقد اتضح أن الأطفال الأصغر سنا يشاهدون البرامج المخصصة لهم منفردين غالبا، أما الأكبر سنا فإنهم يندمجون فيما تشاهده أسرهم.

6 ـ أفلام الكارتون هى الشكل التليفزيونى الأكثر جاذبية عند طفل ما قبل المدرسة، ويزيد الاهتمام بها مع زيادة عمر الطفل، يليها الموسيقى والأغانى، ويفضل الطفل في هذه المرحلة استخدام الصور المتحركة والدمى. أما أكثر المواد التليفزيونية تفضيلا لدى الطفل من 6 إلى 12 سنة، فهى برامج الأطفال وأفلام الكارتون، ثم الدراما التليفزيونية من مسلسلات وأفلام عربية، ويلى ذلك البرامج والمباريات الرياضية، ثم الإعلانات.. وجاءت البرامج التعليمية في ترتيب متأخر. وجاءت الدراما في مقدمة ما يفضله الأطفال فى مرحلة المراهقة، وتراجعت البرامج التعليمية – أيضا – لتحتل ترتيبا متأخرا.

7 ـ اختلف مدى تدخل الأسرة في مدة ووقت مشاهدة الأطفال من 6 إلى 12 سنة للتليفزيون، ويلاحظ – بشكل عام – انخفاض نسبة هذا التدخل مع مرور السنين. ففى السبعينيات، كانت نسبة من لا يسمحون لأطفالهم بالمشاهدة أثناء وقت المذاكرة 77٪، ومن يمنعون أطفالهم من مشاهدة المناظر المخيفة 61,7٪، وفي الثمانينيات اتضح أن ما بين 59٪ و66٪ من الأطفال يشاهدون التليفزيون في أي وقت يرغبونه، وظهر وجود رقابة محدودة من الآباء على مشاهدة أطفالهم التليفزيون في النصف الأول من التسعينيات، وفى نهاية عقد التسعينيات، أشارت إحدى الدراسات إلى أن الأسرة لا تستطيع التحكم في مشاهدة الطفل للدراما التليفزيونية على وجه الخصوص.

وبالنسبة إلى الأطفال في مرحلة المراهقة المبكرة، فقد ظهر من بعض البحوث أن

34٪ من الآباء يتدخلون لمنع أبنائهم من مشاهدة بعض البرامج، وأن الإناث أكثر تعرضا لهذا المنع مقارنة بالذكور.

كما أن الأسرة تمنع الأطفال المراهقين - في بعض الأحيان - من مشاهدة أفلام الرعب والعنف والمواد الهابطة والخليعة والمصارعة الحرة، كما لا تسمح لهم بالمشاهدة في أوقات الاستذكار والنوم والامتحانات.

8 - كان أهم تأثيرات التليفزيون على طفل ما قبل المدرسة ما يلي :

- زيادة الحصيلة المعرفية واللغوية.
- الميل إلى تطبيق ما تعلمه من التليفزيون.
- تعلم قيم اجتماعية.
- التوحد مع بعض الشخصيات ذات الصفات الإيجابية (وإن كان لطبيعة الطفل مسالماً كان أو عدوانياً، تأثير في ذلك).
- هناك علاقة ارتباط إيجابية دالة بين مشاهدة برامج التليفزيون، واكتساب المهارات الحركية والحسية والاجتماعية والعقلية.

وبالنسبة إلى الطفل من 6 إلى 12 سنة، فكان أهم التأثيرات:

- لم تثبت بعض هذه البحوث وجود علاقة بين النوع والصف الدراسى والانتماء إلى الريف أو إلى الحضر، ومدى معرفة معلومات من مشاهدة التليفزيون، وإن كانت هناك علاقة بين الصف الدراسى وتذكر المعلومات التي يقدمها التليفزيون.
- تأثير الدراما على الطفل تراكمى، ويتأثر بعوامل أخرى، كالأسرة، ودرجة وعى الطفل، ومستوى ذكائه، والتنشئة الاجتماعية.
- تقل درجة شعور الطفل بالعزلة واللامعيارية والتمركز حول الذات والشعور بالعجز، مع ارتفاع درجة مشاهدة التليفزيون.
- المشاهدة المتكررة لمناظر العنف في المسلسلات أصابت الأطفال بنوع من الجمود العاطفى.
- تسهم برامج الأطفال في تعديل السلوك الاجتماعى للأطفال.
- أكثر من نصف الأطفال الذين طبقت عليهم بعض البحوث، يحاكون أشكال العنف في أفلام الكارتون، وإن كان الذكور أكثر ميلا لتقليد شخصيات الكارتون.

- ارتفعت نسبة السلوكيات الضارة التي يقلدها الأطفال مثل : العراك بالأيدي، وترديد بعض الألفاظ غير اللائقة، وتقليد الجرائم.
- لم يثبت وجود علاقة إيجابية بين التعرض للإعلانات واكتساب الأطفال مفردات لغوية.

أما المراهقون (12 ـ 18 سنة) فقد كان أهم تأثيرات التليفزيون عليهم:

- لا يحاصر التليفزيون هوايات الأطفال محاصرة كبيرة، كما يشاع من خلال الانطباعات أو الحالات الفردية.
- تحسين مستوى اللغة العربية.
- تعلم اللغات الأجنبية.
- التليفزيون هو المصدر الأول للمعلومات عندهم، وتوجد علاقة ارتباطية بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي، ومستوى المعرفة العامة والمتعمقة.

9ـ كانت أهم الأسباب التى طرحها الأطفال من 6 إلى 12 سنة حول ما لا يعجبهم في برامجهم:

- أنها مكررة ومملة.
- مواعيدها غير مناسبة.
- المغالاة في كثرة الأسماء المذاعة.
- قلة الاهتمام برسائل الأطفال.
- كثرة النصائح.
- كثرة تحدث المذيعين.
- تكرار إذاعة بعض الفقرات.
- قلة التصوير الخارجى.
- عدم وضوح الترجمة (بالنسبة إلى المواد الأجنبية) وسرعة الترجمة، وعدم مواكبة التعليق – أحيانا– على المضمون الأجنبى للصور المعروضة على الشاشة.

وأورد الأطفال بعض ما يفتقدونه في برامجهم، ومن ذلك:

- عدم الاهتمام بالقدر الكافى بطفل القرية.

- نقص الاهتمام بالمعلومات البيئية والدينية والرياضية.
- قلة الحوار حول المحافظات خارج العاصمة.

10 ـ أبدت نسبة كبيرة من الأطفال العرب إعجابهم ببرامج الأطفال الأجنبية المستوردة، وذكر 96٪ منهم أنهم استفادوا منها.

ثانياً: مؤشرات عامة حول تعرض الطفل العربي للتليفزيون وعلاقته به:

1 ـ احتلت مشاهدة التليفزيون مكان الصدارة بين الأنشطة التي يقوم بها الطفل، خصوصا في مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة.

2 ـ الأطفال لا يشاهدون البرامج الموجهة إليهم فقط، بل برامج التليفزيون الموجهة إلى الكبار أيضا. والأطفال الصغار (أقل من 12 سنة) يفضلون مشاهدة البرامج الموجهة إليهم، في حين يفضل الأطفال من 12 إلى 18 سنة مشاهدة برامج الكبار والشباب؛ لعدم الاهتمام الكافى بإعداد برامج خاصة لفئتهم العمرية.

3 ـ اهتمت النسبة الكبرى من البحوث والدراسات الميدانية بدراسة العلاقة بين الطفل العربى وبرامج التليفزيون بشكل عام، وكذلك برامج الأطفال، وتعرضت بعض الدراسات ـ بشكل أقل ومحدود ـ لعلاقة الطفل بالإعلانات التليفزيونية والدراما وأفلام الكارتون والرسوم المتحركة وبرامج الأطفال المستوردة ونشرات الأخبار.

4 ـ هناك اتجاه متنامٍ نحو زيادة معدلات مشاهدة الأطفال للتليفزيون منذ الستينيات وحتى عام 2000 م.

وقد بلغ المتوسط العام لساعات المشاهدة اليومية من ساعتين إلى أقل من 3 ساعات، ويصل التعرض للتليفزيون إلى أعلى معدلاته فى المراحل الأولى من المراهقة، ويصل أقصى إشباع من التليفزيون بعد المراحل الأولى من المراهقة، بفترة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات، وإن كان ارتباط الطفل بالتليفزيون ـ بشكل عام ـ لا يتعلق بالنوع أو بالصف الدراسى، أو بمحل الإقامة، أو بالحالة الأسرية. وتتأثر معدلات المشاهدة ببعض المتغيرات، منها: زيادة مدة التعرض يوميا بتقدم عمر الطفل ـ ارتفاع معدلات المشاهدة بين الذكور عن الإناث، وبين الأكبر سنا مقارناً بالأصغر سنا. كما أن الأطفال ذوي الظروف الصعبة أكثر تعرضا

للتليفزيون مقارنة بالأطفال العاديين.

5 ـ كثافة مشاهدة الطفل العربي للتليفزيون هي في الجمعة والخميس، ثم الأحد، ويرتفع متوسط ساعات المشاهدة خلال الإجازات، مقارنةً بأيام الدراسة. وأكثر الفترات من حيث كثافة المشاهدة هي فترتا العصر والمساء، والفترة الصباحية يوم الجمعة، وفترة السهرة يوم الخميس.

6 ـ إن أكثر المواد التليفزيونية التى يفضلها الأطفال ـ بشكل عام ـ مع اختلاف الترتيب هي: الدراما ، برامج الأطفال، وإن كانت نسبة من الأطفال لا سيما المراهقون والأكبر سنا بشكل عام، يرون أن برامج الأطفال لا تراعي الاختلافات العمرية، وأنه لا توجد برامج تلائمهم أو تناسبهم .

7 ـ إن غالبية الأطفال غير راضين عن الصورة التى يظهر بها الأطفال في برامجهم، ويزداد عدم الرضا مع زيادة عمر الطفل وارتفاع المستوى الاقتصادي له؛ وذلك بسبب استخفاف المذيع بقدرات الطفل ومقاطعته والاستهانة بكلامه، والتعامل معه كأنه دمية تحركها المذيعة.



من حاجات الطفل إلى حاجتنا للطفل

أ.د. محمد عباس نور الدين

التربية المتحفية وثقافة الطفل العربي

أ.د. عبلة حنفي عثمان

الخصائص النفسية والسلوكية لأطفال ما قبل المدرسة

أ. مبارك سالمين

من حاجات الطفل
إلى حاجاتنا للطفل

أ.د. محمد عباس نور الدين*

يتحدث المتخصصون في قضايا الطفل عن حاجات الطفل من النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية ، وهي حاجات يجب توفير الشروط الموضوعية لإشباعها ، بالنظر لتأثيرها المباشر في نمو الطفل البيولوجي والنفسي والاجتماعي . وذهب هؤلاء المتخصصون إلى الحديث عن مجموعة كبيرة من الحاجات قدرها البعض بحوالي ستين حاجة ، وركزوا بصورة خاصة على مجموعة من الحاجات النفسية والاجتماعية التي اعتبروها أساسية ؛ لكي ينمو الطفل نمواً متوازناً وسليماً . وهذه الحاجات هي : الحاجة إلى الحب والأمن ، والحاجة إلى اكتساب خبرات جديدة ، والحاجة إلى التقدير والتشجيع ، وأخيراً الحاجة إلى التتحمل المسؤولية (1) .

وإذا كان المتخصصون في قضايا الطفل قد توسعوا في الحديث عن حاجات الطفل ، وأصدروا كثيراً من الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ، إلا أنهم لم يعطوا الأهمية نفسها لجانب من علاقة الآباء بالطفل ، ألا وهي حاجة الآباء إلى الطفل والدور الذي يلعبه الطفل في نمو شخصية الآباء ونضجهم النفسي والاجتماعي .

وفي هذا البحث سنحاول تسليط الضوء على هذا الجانب ؛ اعتقاداً منا بأن حاجة الأبوين إلى الطفل لا تقل عن حاجة الطفل إلى الأبوين ، الأمر الذي يدفعنا إلى القول بحاجة متبادلة بين الطفل ووالديه ، ومن ثم إضافة بُعد جديد إلى موضوع حاجات الطفل

* أستاذ علوم التربية – جامعة محمد الخامس – الرباط – المغرب .

والنظر إليها بمنظار نقدي ، يخرجنا من الإطار الذي غالباً ما نتحدث فيه عن حاجات الطفل . إننا كثيراً ما نتحدث عن الطفل في إطار حديثنا عما سماه هشام شرابي "ثالوث الاضطهاد" : اضطهاد الفقير ، واضطهاد الطفل ، واضطهاد المرأة [2]، أو نتحدث عن الطفل كما لو كان إنساناً معاقاً يحتاج إلى عناية خاصة ورعاية متميزة .

لقد تعودنا أن نتحدث عن الحاجات الصحية والنفسية والاجتماعية .. للأطفال ، ولكننا ننسى أن الآباء هم أيضاً يحتاجون إلى أطفالهم ، وأن حاجتهم إلى أطفالهم قد تفوق حاجة الأطفال إليهم ، خاصة عندما يكبر هؤلاء الأطفال ويصبحون قادرين ، بل وراغبين في الاستقلال عن آبائهم ، ولكن هل يتقبل الآباء بمثل هذه السهولة استقلال أبنائهم عنهم؟ ألا يحتاج الآباء إلى الأبناء؟ وفي عملية التنشئة الاجتماعية للطفل من يساعد من؟ هل الآباء وحدهم هم الذين يساعدون أطفالهم؟ ألا يقدم الأطفال بصفة عامة – ودون وعي منهم– مساعدة مهمة لآبائهم، من غير أن يدرك الطرفان – الأطفال والآباء – أن الأمر يتعلق بحاجة متبادلة : حاجة الأطفال للآباء ، وحاجة الآباء للأطفال؟

تعلق الآباء بالأبناء :

هناك نقطة أساسية ننساها نحن الآباء عندما نتحدث عن مشاكل أطفالنا وأبنائنا على العموم ، وهي أن الطفل جيء به إلى هذا العالم دون أن يطلب منه ذلك ، أو دون أن يستشار أو يؤخذ رأيه . وهذا ما جعل العالم الفرنسي "جيرار مندل" يقترح بأن يمنح الأطفال حق التصويت، ابتداءً من سن الثانية عشرة؛ حتى يتاح لهم إبداء رأيهم في كثير من القضايا التي تهمهم، لا سيما الخاصة بعلاقاتهم بآبائهم[3] . وعلى العكس من ذلك فإن الآباء هم الذين يقررون إنجاب الطفل؛ لشعورهم بالحاجة إليه؛ ليملأ ما يشعرون به من فراغ ووحدة ، خاصة بعد أن يتسرب الملل والرتابة إلى حياتهم . وفي كثير من الحالات التي لا تكون فيها العلاقة الزوجية قائمة على الحب المتبادل وعلى اختيار كل من الطرفين لبعضهما البعض ، فإن إنجاب الأطفال يصبح هو الحل للخروج من مأزق العلاقة غير المرغوب فيها بين الزوجين ، ويصبح تعلق الأبوين (الزوج والزوجة) بالأبناء هو البديل عن تعلقهما ببعضهما البعض .

وفي هذا الصدد يستشهد "راباي" بما حدث لبعض المبشرين عندما انتقلوا إلى

إحدى القبائل ، في إطار عملهم التبشيري ، وبنوا مدرسة في تلك القبيلة؛ لنشر تعاليمهم بين الأطفال ، إلا أنهم فوجئوا بردود فعل الأمهات اللواتي رفضن إدخال أطفالهن إلى المدرسة بقولهن : لا يمكن لنا أن نترك أطفالنا يذهبون إلى المدرسة ، فليس لديهم الوقت الكافي الذي يسمح لهم بالذهاب خارج المنزل ، إذ ما يزال عليهم أن يتعلموا الشيء الكثير داخل المنزل(4) .

كما يشير بعض المعالجين النفسيين إلى حالات واقعية قاموا بدراستها ومحاولة علاجها، تظهر تعلق الأب والأم بابنهما إلى درجة لا يستطيعان الابتعاد أو الانفصال عنه . ويشعر الأبوان في مثل هذه الحالة بمتعة كبيرة؛ لكون أبنائهما لا يعتمدون إلا عليهما ، ويذهب بهما الأمر أحياناً إلى التفاخر بذلك . وفي هذا الصدد يشير الدكتور **عبد العزيز القوصي** إلى حالة أم قام بدراستها ومحاولة علاجها ؛ حيث كانت تصاب بالإغماء أو الإنهاك الشديد إذا حاول ابنها أن ينفصل عنها ، ويقول بأن "بعض الأمهات يهيئن للابن أساليب المرح ، وأحياناً أساليب الاتصال الجنسي غير المشروع ؛ حتى لا يلجأ إلى الزواج، أو إلى البحث عن متعته بعيداً عن أمه"(5) .

إن تعلق الآباء بالأبناء يتحدد بشكل أكثر وضوحاً عندما يتحول الآباء إلى أجداد ، أي عندما يصبح لهم أحفاد وحفيدات . وكلنا يلاحظ مدى تعلق الأجداد بأحفادهم وحفيداتهم ، ذلك أن الحفيد يتيح لجده أو جدته أن يلعبا من جديد دور الأب ودور الأم ، إلا أن تعلق الأجداد بالأحفاد قد يفرز تناقضات بين الطرفين؛ نتيجة تمسك الأجداد بنموذجهم في السلوك الذي نشؤوا عليه ، وعدم قدرتهم على التكيف مع سلوك الأحفاد .. أو بعبارة أخرى إن التناقض ينشأ بسبب تمسك الأجداد بالماضي وعدم قدرتهم على الانسجام مع الحاضر الذي يشعرون إزاءه بالعجز والإحباط(6).

من العلاقة الدموية إلى العلاقة النفسية الاجتماعية :

إن العلاقة بين الآباء وأطفالهم تبدأ كعلاقة بيولوجية، وتتحول تدريجياً إلى علاقة ذات أبعاد نفسية واجتماعية ، ويتجلى الطابع البيولوجي لهذه العلاقة في علاقة الطفل بأمه ؛ حيث تشعر الأم بحاجتها البيولوجية إلى الطفل ، كما يشعر الطفل بحاجته إلى الأم . وهذا ما سماه المحلل النفسي الفرنسي "**إجوريا غيرا**" الإشباع المتبادل Satisfaction

mutuelle بين الأم وطفلها . فالأم تشبع غريزة الأمومة من خلال علاقتها بابنها ؛ فهي بحاجة إليه ، كما أنه بحاجة لها (7).

ومن الناحية الاجتماعية إن الأم تحتاج لابنها الذي يكسبها مكانة خاصة داخل المجتمع ، لم تكن لتتمتع بها بدون الابن . إن إنجاب الأم لطفلها يمنحها هوية جديدة في نظر المجتمع .. أنها لم تعد مجرد فتاة ، بل أصبحت أمًا . وحول هويتها الجديدة كأم تتمحور مجموعة من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تقيم أمومتها وتعطيها صورة إيجابية عن ذاتها . والتحليل نفسه ينطبق على الأب الذي يشبع من خلال أبنائه "غريزة الأبوة" التي لا يمكن له إشباعها بدون الأبناء . لذا فهو في حاجة إليهم، كما أنهم في حاجة إليه. وحاجته إليهم تستمر مدى الحياة . وعلى المستوى الاجتماعي إن الجماعة تشيد بالأب الذي يعتني بأبنائه ، وتيسر له القيام بهذه العناية ، وتمنحه التقدير والاحترام ، ومن ثم تتيح له أن يكون صورة إيجابية عن ذاته ؛ مما يحدث توازناً في شخصيته ينعكس إيجابياً على سلوكه ومواقفه .

وهكذا فإن حاجة الأبناء للآباء ، وإن كانت من نوع الحاجات الأولية ، خاصة في السنوات الأولى من طفولة الأبناء (توفير الغذاء والحماية ..) ، إلا أن حاجة الآباء للأبناء أكثر تعقيداً؛ إذ من خلالها يكتسب الآباء هوية جديدة، ويسقطون على أبنائهم ما تعرضوا له من إحباطات ، ويحاولون جهدهم؛ لكي يحقق لهم الأبناء ما لم يتمكنوا من تحقيقه ، وبذلك تعطي للآباء فرصة تصحيح ما يرونه من أخطاء ارتكبها آباؤهم وأجدادهم أثناء تعاملهم معهم .

إن العلاقة الدموية، أو ما تسمى بالعلاقة البيولوجية بين الآباء وأطفالهم لا يمكن أن تحل محل مفهوم المسؤولية الواعية للآباء إزاء أطفالهم ، فالرغبة في تحمل الآباء لمسؤوليتهم نحو أطفالهم وقدرتهم على تحمل هذه المسؤولية ليست بالضرورة مرهونة بالعلاقة البيولوجية، وليست نتيجة لها (8). لذا يجب إعداد الزوجين (المرأة والرجل) إعداداً مناسباً لتحمل مسؤوليتهما كأبوين ، على أن يشمل هذا الإعداد مختلف ميادين العلاقات الإنسانية ، ولاسيما المتعلقة منها بنمو الطفل وحاجياته . ولكي يتحمل الزوجان مسؤولية رعاية أطفالهما على أساس الوعي الكامل بهذه المسؤولية؛ فإن العلاقة بينهما يجب أن تقوم على اختيار حر بين الطرفين دون أن تخضع لاعتبارات أخرى خارجة عن هذه العلاقة ،

وإذا ما توفر هذا الشرط الأساسي لقيام العلاقة الزوجية ، فإن إنجاب الأطفال سيصبح أمراً مقبولاً من طرف الآباء، ويسعون إلى تحقيقه وضبطه ، وبذلك يأتي الطفل إلى هذا العالم وهو مرغوب فيه من قبل والديه ؛ حيث سيلقى الرعاية والعناية الضروريتين لنموه بكيفية طبيعية [9].

بالإضافة إلى ذلك يلعب الأطفال دوراً مهماً في تعزيز التواصل بين الزوجين ، خاصة بعد أن يكون جو الملل والرتابة قد بدأ يطغى على علاقتهما ، وبعد أن ضعف التواصل بينهما ، وفي كثير من الأحيان يكون تصرف الأم مع ابنها أو ابنتها بمثابة خطاب غير مباشر ، سواء كان شعورياً أو لا شعورياً، موجه إلى الأب . بل إن جانباً من القسوة التي يعامل بها أحياناً الأبناء هو انعكاس لتوتر العلاقة بين الزوجين . وليس من باب الصدفة أن تتوصل معظم الدراسات المتعلقة بانحراف الأطفال والشباب إلى أن ضعف تماسك الأسرة أو تفككها ، وعدم توفر الأسرة على الشروط الضرورية للقيام بدورها في رعاية أبنائها ، يعتبر من أبرز العوامل المسببة للانحراف . ومن شأن شعور الطفل بالنبذ والحرمان أن يؤدي إلى "**هز بنية شخصيته في أعمق مستوياتها النفسية**" [10]. وفي هذا الصدد يؤكد **مصطفى حجازي أن "معظم المحرومين عاطفياً يعانون بدرجات متفاوتة من قصور النضوج العاطفي والجنسي**"[11] .

الأبناء وتمسك الآباء بالحياة :

عندما يقرر رجل وامرأة الدخول في علاقة زواج وتكوين أسرة يتخلى كل منهما عن هويته ، فالرجل أصبح زوجاً والمرأة أصبحت زوجة ، وعندما يقرران الإنجاب يغير كل منهما من جديد هويته ، فالزوجة تصبح أمًا ، والزوج يصبح أباً. وعلى سبيل المثال ، عندما ينجب الزوجان في الشرق العربي ينادى على الزوج بـ "أبو فلان"؛ نسبة إلى ابنه البكر ، وكذلك ينادى على الأم بـ "أم فلان"؛ نسبة إلى ابنها البكر ، بل إن المناداة على الرجل أو المرأة اللذين لهما أبناء باسمهما ينظر إليها بعدم الارتياح .

إن الأبناء يملؤون حيزاً مهماً من حياة آبائهم ، ويجعلون لحياة الآباء معنى ، فيتحول الآباء إلى أشخاص لهم قضية يعملون على النضال من أجل تحقيقها ، فإذا بنى الأب منزلاً يقول بأنه منزل للأبناء ، وإذا حقق ربحاً وفيراً قال هذا رزق الأبناء ، وعندما نتكلم – كآباء – عن نجاحاتنا في الحياة، فإن ما حققه أبناؤنا من نجاح نعتبره في طليعة الحاجات التي ساهمنا في

تحقيقها ، وفي هذا الصدد يقول مثل صيني : "من لم يبن بيتاً ، أو يكتب كتاباً ، أو يلد ولداً ، فكأنه لا عاش ولا مات" .

وهكذا فإن الأبناء يوفرون لنا فرصة فريدة للاستمتاع بالحياة ، بل وحتى التمسك بها. وهذا ما أكده "**دوركايم**" بكيفية تجريبية في دراسته الشهيرة عن الانتحار، والتي أثبت فيها – استناداً إلى إحصائيات عديدة – أن إنجاب الفرد للأطفال من شأنه أن يقلل من احتمالات تعرضه للانتحار. ويخلص "**دوركايم**" من دراسته إلى أن نسبة المنتحرين بين العزاب أكثر منها بين المتزوجين، وأن نسبتها بين المتزوجين وليس لهم أبناء أكثر من نسبتها بين المتزوجين ولهم أبناء ، وأنها تقل تدريجياً كلما كثر عدد الأبناء ، وكأن الطفل – استناداً إلى وجهة نظر "دوركايم" – يؤدي وظيفة لوالديه، من حيث إنه يجعلهما أكثر تمسكاً بالحياة، ويساعد على تجنبهما مشاعر القلق والإحباط التي قد تدفع بهما إلى الانتحار . وهذا النوع من الانتحار يسميه "دوركايم" الانتحار الأناني Egoiste ، والذي يحدث في الجماعات التي تضعف فيها الروابط الاجتماعية . إلا أن "دوركايم" يميز هذا النوع من الانتحار عن الانتحار الذي يحدث بسبب انهيار المعايير الأخلاقية والاجتماعية، أو ما يسميه اللامعيارية "الأنومي" Anomie، ويقصد باللامعيارية غياب أو ضعف المعايير التي تضبط سلوك الأفراد، وتجعله ينسجم مع سلوك غالبية أفراد الجماعة . وغياب المعايير يحدث لدى الفرد نوعاً من العزلة أو شعوراً بعدم الانتماء؛ مما يجعله معرضاً للخروج عن معايير الجماعة ، ومن ثم أكثر عرضة للانتحار . ويضيف "دوركايم" نوعاً آخر من الانتحار، هو الانتحار الإيثاري أو الغيري Altruiste الذي تعرفه بعض المجتمعات البدائية وبعض التنظيمات العسكرية الحديثة [12].

عندما يرغب الآباء في إطالة طفولة أبنائهم :

إذا كان الآباء في مجتمعنا يحرصون بكيفية لا شعورية على الإبقاء على تبعية أبنائهم لهم ، فإنهم في الواقع يهدفون إلى تأخير التحاق الأبناء بعالم الكبار ، ومن ثم تأخير استقلالهم عنهم ، وبذلك يبقى الأبناء أطفالاً في نظر والديهم أطول فترة ممكنة . وعندما يستقل الأبناء عن آبائهم؛ ليعيشوا حياتهم كما يشاؤون، يشعر الآباء بأنهم خسروا

الرهان، وأصبحوا بدون قضية يكافحون من أجلها ، وكأن "بوصلتهم" توقفت عن الحركة ولا يعرفون في أي اتجاه يسيرون .

وفي مرحلة استقلال الأبناء عن الآباء تتعرض العلاقة بين الطرفين إلى مد وجزر، وأحياناً إلى صراع مكشوف يؤدي إلى ما يشبه القطيعة . ومن الأهمية بمكان أن يعد الآباء أنفسهم للتكيف مع مرحلة استقلال أبنائهم عنهم ، وذلك باكتساب هوية جديدة، بحيث تكون لهم هواياتهم وصداقاتهم وعلاقاتهم وانشغالاتهم الخاصة التي تملأ عليهم معظم أوقاتهم . وإذا ما أصر الآباء على التمسك بهويتهم السابقة، فإنهم قد يجدون أنفسهم مدفوعين – في علاقتهم بأبنائهم – إلى ممارسة ما يمكن تسميته بـ «ابتزاز عاطفي" Chantage affective يضيق به الأبناء ذرعاً، ويحاولون التملص منه بكل الوسائل .

ويشير "**راباي**" بأن الآباء إذا ما اهتموا بحياتهم قبل كل شيء، وتبادلوا الاحترام والتقدير ، واستجابوا لرغباتهم الشخصية .. فإنهم سينجحون كآباء، ولن يثيروا متاعب كثيرة لأبنائهم [13]. وفي كثير من الحالات التي يتمسك بها الآباء بهويتهم كآباء، يحرصون على تزويج أبنائهم؛ لينجبوا لهم أحفاداً ، ومن خلال هؤلاء الأحفاد يستعيدون هويتهم، ويسترجعون القضية التي من أجلها كانوا يكافحون. وليس من باب الصدفة أن نرى الكثيرين من الآباء في مجتمعاتنا يحيطون أحفادهم بالرعاية والعطف أكثر مما كانوا يحيطون به أبناءهم ، وعندما لا يكون للأب أحفاد، فإنه يتحسر على تلك الرحلة التي أفلتت منه عندما كان له أبناء يمارس عليهم سلطته : يوجههم ، يؤنبهم ، يمتدحهم .. إلخ ، ونرى الأب – في مثل هذه الحالة – يتحدث كثيراً عن أبنائه عندما كانوا صغاراً ، ويحتفظ بصور عديدة لهم تؤرخ بعض مراحل طفولتهم ، ويشعر بحنين إلى تلك المرحلة التي أصبحت مجرد ذكرى لا تتكرر . وهذا التحليل ينسحب على الرجل والمرأة معاً ، فبالنسبة إلى المرأة تتجلى إشكالية فقدانها لهويتها كأم فيما يسمى بأزمة سن اليأس Ménopause ؛ حيث تصبح المرأة غير قادرة على الإنجاب ، ومن ثم غير قادرة على أن تتمتع من جديد بهويتها كأم لأطفال؛ مما يشعرها بالخوف وعدم الاطمئنان .

والمجتمع الأبوي السلطوي يكرس هذه النظرة الأحادية لكل من الزوج والزوجة والأبناء ، إذ إن كلاً منهم مطالب بالتنازل عن هويته الأصلية؛ ليكتسب هوية جديدة تنسجم

مع المعطيات التي يقوم عليها المجتمع الأبوي السلطوي . ولما كان هذا المجتمع لا يساعد على قيام علاقات أفقية قائمة على أساس الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر .. فإنه يعيق النضج النفسي والاجتماعي للأفراد، **ويطيل عمر طفولة الفرد لتمارس السلطوية عليه أطول مدة ممكنة ؛** بحيث يعامل دائماً كما لو كان بحاجة إلى من يرشده ويوجهه ، لذا درج رؤساء الدول في المجتمعات الأبوية السلطوية على مخاطبة أفراد الشعب كما لو كانوا آباء يخاطبون أبناءهم ، ونفس النظرة يلقاها الفرد في المجتمعات الأبوية السلطوية في تعامله مع إدارات الدولة، التي تنظر إليه على أنه يحتاج دائماً إليها؛ لإعانته والأخذ بيده كما لو كان معاقاً أو طفلاً .

النرجسية والسلطوية الأبوية :

نتحدث نحن الكبار – آباء وأمهات – عن حاجات الطفل دون أن نعطي الفرصة للطفل؛ لكي يعبر عن حاجاته . فنحن الذين نحدد حاجات الطفل، من خلال مفهومنا عن الحاجة، ومن خلال معاييرنا، التي ليست بالضرورة منسجمة مع معايير الطفل وما يشعر به من حاجات[14] ، **فنحن نحدد حاجة الطفل انطلاقاً من حاجتنا للطفل ، وبدافع من نزعة التسلط التي غرسها فينا مجتمعنا الأبوي السلطوي ، والتي أصبحت الصفة المميزة لشخصيتنا .** إننا نحاول أن ننشئ الطفل تنشئة تجعله يفقد الثقة في آرائه الخاصة، ونشجعه على قبول آراء الآخرين دون تردد أو تساؤل ، وبذلك ننمي في نفسه الإذعان للسلطة، وبصفة خاصة سلطة والديه. وفي تحليله لهذه الظاهرة يشير **هشام شرابي** إلى أن "**النظام التربوي والاجتماعي في مجتمعنا الأبوي السلطوي يدجن الفرد منذ الطفولة، بحيث يتعلم أن يكون متحفظاً، وألا يتخذ موقفاً حاسماً في أي موضوع، لذلك نراه يكتسب عادة "استشارة الآخرين ، و"أخذ رأيهم" لعجزه عن اتخاذ قراراته بنفسه ..**"[15] ومن شأن هذا النمط من التنشئة الاجتماعية للطفل أن يجعله دائماً بحاجة إلى والديه في جميع المواقف التي تعترضه ، لا لشيء إلا لأن والديه بحاجة إليه؛ لكي يمارسا من خلاله نرجسيتهما الأبوية، أو بعبارة أخرى نزعتهما السلطوية .

إن مجتمعنا يتميز بأنه مجتمع أبوي سلطوي ، والمجتمع الأبوي يفسد العلاقات بين البشر، ويجعل منها علاقات يتحكم فيها الأعلى بالأدنى ، ويتحكم الأدنى بالأدنى منه ،

وبذلك يكون الجميع ضحية الأقوياء والضعفاء؛ لأنهم فقدوا القدرة على التعامل الأفقي أو الإنساني التي تقوم على الاعتراف بالآخر على أساس الحرية والمساواة . والمجتمع السلطوي ينتج شخصية استبدادية ذات طبيعة مزدوجة ، سادية ماسوشية ، إذ إن هذه الشخصية تبدي من ناحية استعداداً كبيراً للخضوع والتبعية ، ومن ناحية أخرى تبدي ميلاً عدوانياً واضحاً إزاء الآخر ، ولكي تخفي الشخصية الاستبدادية ميلها العدواني ، فإنها تكبته في اللاشعور، وتعبر عنه في الشعور على شكل "إعجاب شديد بالسلطة" و"حب أعمى لها" ، فالطفل في مجتمعنا يتعود منذ الصغر على تقبل سلطة والديه ، وفي نفس الوقت يطلب منه أن لا يثور عليها أو يعارضها ، لذا فإن الطفل يجد نفسه مضطراً – ما دام لا يستطيع مواجهة هذه السلطة – لأن يكبت عداءه لها، ويبدي "حبه" و"إعجابه" بها .

ويتجلى الطابع السادي للشخصية السلطوية التي ينتجها مجتمعنا الأبوي في تعامل الأب مع أبنائه أو تعامله مع أشخاص آخرين يعتبرهم أدنى منه ، ففي تعامل الأب مع أبنائه يظهر لهم «**الحب الشديد**" ويضحي بالكثير من أجلهم، ويظهر اهتماماً كبيراً بهم . وفي مقابل ذلك يطالبهم – أو ينتظر منهم – أن يطيعوه ويعترفوا له بالجميل . والواقع أن ما يبديه من "حب" لهم يرضي شخصيته الاستبدادية التي تحتاج إلى إنسان تفرض عليه سيطرتها؛ لكي تشبع رغبتها في الهيمنة، وتشعر نتيجة ذلك بقيمتها .

وفي تحليله للشخصية الاستبدادية يقول المحلل النفسي "إريك فروم" : "إن الشخص السادي" يحب بوضوح تام أولئك الذين يهيمن عليهم بقوته ، وسواء كان هذا الشخص زوجته أو طفله أو مساعده ، أو نادلاً أو شحاذاً في الطريق ، هناك شعور بـ "الحب" بل والعرفان بالجميل لموضوعات هيمنته .. إنه بالفعل "يحبهم"؛ لأنه يهيمن عليهم . وقد يعطيهم كل شيء ، كل شيء فيما عدا شيئاً واحداً : الحق في أن يكونوا أحراراً ومستقلين" (16). وينطبق هذا التحليل على الأب ذي الشخصية السلطوية الاستبدادية، والذي يحيط أبناءه بكل ما يستطيع من الرعاية والحماية ، ويعاملهم كملكية خاصة به، لا يجوز لأحد غيره أن يشاركه فيها. وفي هذه الحالة يقول "إريك فروم" : "إن الطفل يوضع في قفص ذهبي ، يمكنه الحصول على كل شيء شرط أن لا يريد مغادرة القفص . ونتيجة هذا في الغالب خوف عميق من الحب من جانب الطفل عندما يكبر، حيث إن "الحب" يتضمن عنده الحبس والحيلولة بينه وبين السعي إلى الحرية" (17).

وفي هذا الصدد يشير كل من عباس مكي وزهير حطب في دراستهما الميدانية الاجتماعية النفسية عن طبيعة السلطة بين الآباء والأبناء إلى "مفهوم السيادة الذاتية عند الشخص على وجوده وحركته واستقلاليته الاقتصادية .. وفكره وحياته عامة لا يملكها بقدر ما هي ملك للمحيط والأسرة والأهل.." .. ويعللان ظاهرة حرص الآباء على الإبقاء على تبعية أبنائهم لهم بأنها جانب من جوانب "**استمرارية النرجسية الأبوية عن طريق تقمص جسد الأهل في جسد الأبناء .. وطموح الأهل لإشباع رغبات غير مشبعة عندهم في تاريخية جسدهم .. عن طريق جسد الاستمرارية النرجسية .. أي عن طريق الإيثار**" . ويعتبر الباحثان أن ما يبديه الآباء من تضحية وإيثار في سلوكهم مع الأبناء هو أحد مظاهر النرجسية الأبوية ، ويؤكدان "**بأن ما يسمى غيرية وتضحية عند الأهل صحيح على الصعيد الاقتصادي ، ولكنه من مؤشرات الذاتية النرجسية على الصعيد العلائقي والنفساني**" [18]. ويحاول الباحثان في دراستهما الميدانية إثبات عدد من الفرضيات الخاصة بعلاقة الآباء بالأبناء ، ومن بين هذه الفرضيات أن الأسرة عندما تقوم بإشباع مجموعة من حاجات الفرد الغذائية والعاطفية والذهنية والاجتماعية في وقت واحد ، فإن غايتها الرئيسية من وراء ذلك هي "أن تستعيد مكانتها وسلطتها عليه كلما ضعف تأثير أحد هذه العناصر" [19]. وهكذا فإننا نتزوج ونرغب في أن يكون لنا أبناء؛ لكي يمارس كل منا دوره كرب أسرة ، ويفرض احترام أبنائه له ؛ مما يشعرنا بالمكانة الاجتماعية، ويمنحنا صورة إيجابية عن ذاتنا .

مفارقة التضحية في سبيل الأبناء :

كيف نفسر تضحية معظم الآباء في مجتمعنا بكل شيء في حياتهم في سبيل أبنائهم؛ بحيث يصبح همهم الوحيد في الحياة هو إشباع حاجات ورغبات أبنائهم ؟ وهل تعتبر تضحية الآباء بحاضرهم في سبيل مستقبل أبنائهم مؤشراً على توازن شخصية الآباء من الناحية النفسية والاجتماعية؟

يتوهم كثير من الآباء أنهم يتألمون؛ لكونهم يضحون بأنفسهم في سبيل أبنائهم ، أو يضحون بحاضرهم وسعادتهم في سبيل توفير مستقبل سعيد لأبنائهم . والواقع أن الآباء يتألمون لكونهم يعانون من الإحباط الناجم عن عدم تمكنهم من تحقيق ما كانوا يطمحون

إلى تحقيقه ، ويسقطون بطريقة لا شعورية هذا الإحباط على أبنائهم ، متوهمين أن أبناءهم هم السبب فيما يشعرون به من إحباط ، وبذلك يصبح الألم الذي يعاني منه الآباء ألماً ذا معنى ، ويتوهمون أنهم يدافعون عن قضية نبيلة، ألا وهي محاولة توفير الظروف الملائمة لإسعاد أبنائهم ، وبدون الأبناء سيشعر الآباء بأنهم يعيشون بدون قضية تبرر لهم التمسك بالحياة .

وتنتقل المعاناة من الآباء إلى الأبناء؛ إذ إن الأبناء - بدورهم - سينتابهم الألم الشديد والشعور بالذنب؛ لكونهم يكبدون آباءهم الكثير من المتاعب ، ولشعورهم بأنهم قد لا يتمكنون في المستقبل من رد الدّين إلى آبائهم . وهكذا يعيش الطرفان - الآباء والأبناء - في دوامة لا تنتهي من الألم والإحباط ، والشعور بالذنب ونكران الجميل . ويشير بعض المحللين النفسيين في تفسيرهم لهذه الظاهرة إلى عدم قدرة الفرد على أن يعيش سعيداً في حاضره دون شعور بالإحباط والحرمان، وأن هذا هو الذي يجعله يبحث عن تبرير لحرمانه من خلال تبني سلوك التضحية في سبيل الأبناء. ويعتبر هؤلاء المحللون النفسيون أن سلوك التضحية بهذا الشكل ليس سوى مظهر لسلوك عصابي ولعدم توازن ونضج في شخصية الفرد الذي يمارس فعل التضحية (21).

ويستشهد "**ألفريد سوفي**" في كتابه "تمرد الشباب" بعبارة لمفكر يوناني قديم (**بلوتارك**) Plutarque يقول فيها : "إن نكران الجميل هو من صفات الشعوب القوية" . ويعطي "سوفي" مثال فرنسا وبريطانيا اللتين خذلتا - بعد الحرب العالمية الثانية - قائديهما العظيمين ، الجنرال دوغول ووستون تشرشل ، رغم ما قدمه هذان القائدان من خدمات كبيرة للشعبين الفرنسي والبريطاني . وإذا كان من واجب أي شعب أن يقدر رجالاته العظام ، إلا أن من حق هذا الشعب أن يختار من يراه أهلاً لكي يحكمه . ويقول "سوفي" بأن "على الآباء أن لا ينسوا أيضاً أن يعترفوا بالجميل إزاء أولئك الذين يطيلون حياتهم باتجاه المستقبل (الأبناء) فلا يشعرون وكأنهم تحولوا إلى ثمار جافة" (21).

والسؤال الذي يجوز طرحه من الناحية الأخلاقية هو : لكي تكون التضحية فعلاً أخلاقياً ، هل يجوز أن تكون مجرد وسيلة لبلوغ غاية أخرى ؟ إن الفعل الأخلاقي يجب أن يكون منزهاً عن أية غاية تتعداه ويصبح هو غاية ذاته ، أو هو غاية في حد ذاته . وعندما يصبح الفعل الأخلاقي وسيلة - ولو كانت مقبولة اجتماعياً وأخلاقياً - فإن الفعل يفقد

صفته الأخلاقية . وإذا حاولنا تطبيق هذا المعيار على تضحية الآباء في سبيل أبنائهم، فسنجد أن هذه التضحية يقصد بها في نهاية المطاف تحقيق ما كان الآباء يطمحون إلى تحقيقه، وليست غايتها منحصرة في الأبناء .

وتحت تأثير كثير من العوامل والمعطيات المستجدة تعرف هذه التضحية بعض التراجع في المجتمعات الحديثة . وفي هذا الصدد يطرح الدكتور **علي زيعور** في تحليله للذات العربية ما سماه **"تمزق النسيج العاطفي للعائلة"** ، مشيراً إلى "أن تماسك السلطة العائلية أخذ في التقهقر في مختلف الشرائح الاجتماعية وأنه مع هبوب رياح الحرية الفردية والحضارة العالمية ، أخذت تتخلخل السلطة القديمة ، وبرزت شخصية كل عنصر في العائلة ، ورافق ذلك رغبة عند كل فرد لأن يحيا وينفق ويبتهج" . ويضيف بأن "الميول إلى الانطلاق إلى الخارج (خارج العائلة) ، وإلى إشباع ما يمكن من الشهوات خلق توتراً في الاتزان التقليدي بين الإنسان وحقله .. إن تفضيل الابن على الذات ، وقبول الحرمان ، والكثير مما يشبهه أو يقرب ذلك من ميول وعواطف، ضعفت كلها على حساب "نفسي أولاً"[22]. ويرى زيعور "أن هذا التغيير في العلاقات بين أفراد الأسرة العربية يتجلى على الخصوص فيما سماه **"الأسرة المهجنة"** أي "الناتجة عن التأثير الغربي في المجتمع التقليدي".

وإذا كنا نتفق مع الدكتور **علي زيعور** في تفسيره للتغير الذي أخذ يطرأ على الأسرة في المجتمعات العربية ، إلا أن هذا التغير الذي تحدث عنه يظل محدوداً ويختلف من مجتمع عربي إلى آخر ، بل يختلف من منطقة لأخرى داخل المجتمع الواحد . ويعترف الدكتور زيعور بأن بعض الأنماط التقليدية في السلوك والتفكير ما تزال قائمة حتى في "الأسر المهجنة" ، رغم ما عرفته هذه الأسر من تأثر بالمجتمعات الغربية [23].

ويحاول بعض الآباء الظهور بأنهم "آباء عصريون" ، ويتخلون عن بعض سلطاتهم، ويبدون تسامحاً واضحاً إزاء سلوك أبنائهم . ويصل هذا التسامح أحياناً إلى درجة السكوت عن بعض السلوكات التي يرتكبها الأبناء، والتي تعتبر خروجاً عن أعراف وتقاليد كان الآباء حريصين على التمسك بها . ويحاول الآباء في علاقتهم بأبنائهم مدارسة ما سمته "ميلاني كلاين" Mélani Klein التماهي الإسقاطي identification projective الذي من خلاله يحاولون التخلص من كل ما هو ممنوع ومكروه في داخلهم بإسقاطه على

أطفالهم ، وبذلك يشعر الآباء أنهم حققوا نصراً ولو "**بأثر رجعي**" Victoire à retardement بسماحهم لأطفالهم أن يعبروا عما لم يكن بإمكانهم التعبير عنه عندما كانوا أطفالاً ومراهقين[24] .

بعد هذا العرض لإشكالية علاقة الآباء بالأبناء، نخلص إلى أن الآباء يحتاجون إلى الأبناء، كما يحتاج الأبناء إلى الآباء ، وبأن باستطاعة الآباء التخلص من متاعبهم وأمراضهم النفسية من خلال أبنائهم ، وذلك بالعمل على تجنيب الأبناء كل المتاعب والسلبيات التي عانوا منها في طفولتهم . وهكذا فإن محاولات الآباء حماية أطفالهم من المشاكل تعتبر في حد ذاتها علاجاً لهم دون أن يشعروا بذلك ، إذ ببذلهم لهذا المجهود يتخلصون من متاعبهم، وينسون المراحل القاسية التي مروا بها في حياتهم . وكلما كان الأبناء ناجحين في حياتهم، كلما تخلص الآباء بشكل أفضل من المشاعر السلبية ومن الإحساس بالقلق .

وقد يكون من المناسب أن نختم هذا العرض بالوصايا العشر التي وجهتها الدكتورة **"برنغل" أستاذة علم النفس بجامعة "برمنغهام" البريطانية ومديرة المكتب الوطني للطفولة في بريطانيا إلى الآباء والأمهات في نهاية كتابها حول "حاجات الطفل" . وهذه الوصايا هي :**

- امنحوا أطفالكم العناية المستمرة والحب الدائم اللذين تحتاج إليهما صحة عقول أبنائكم أكثر من حاجة أجسادهم للغذاء .
- امنحوهم بسخاء اهتمامكم وتفهمكم .
- ساعدوهم على اكتساب خبرات جديدة .
- شجعوهم على ممارسة اللعب بجميع أشكاله ، سواء وحدهم أو مع الآخرين .
- نوهوا بجهودهم أكثر من تنويهكم بنجاحاتكم .
- هيئوا لهم فرص تحمل المسؤولية .
- تذكروا دائماً أن كل طفل هو نسيج وحده ، فما يصلح لطفل معين قد لا يصلح بالضرورة لطفل آخر .
- كيفوا التعبير عن عدم رضاكم من الطفل مع مزاجه وعمره ومستوى فهمه وإدراكه .
- لا تهددوا أبداً طفلكم بالهجر والتوقف عن محبته .

- لا تنتظروا من طفلكم أن يعترف لكم بالجميل ، فطفلكم لم يطلب منكم أن تنجبوه ، وإنما أنتم الذين قررتم إنجابه [25] .

المراجع :

1 - PRINGLE (Mia Kellmer) Les bésoins de l'enfant. (traduit de l'anglais. (The needs of children) Les publications du C.T.N.E.R.H.I. N0.1. 1979, PARIS, P, 190.

2 – شرابي (هشام) مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، دار الطليعة ، بيروت 1991 ، ص 86 .

3 - MENDEL (Gérard). Pour décoloniser l'enfant. Ed. Payot. Paris 1971.

4- RAPAILLE (Gilbert.c), Comprendre ses parents. Ed. Mengés. Paris. 1978. P.14.

5 – القوصي (عبد العزيز) أس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1956. ص. 183 .

6 -SATIR (Virgina), Théorie du Couple et de la famille. Ed. E.P.I. Paris. 1971. P. 37.

7 - DE AJURIAGURRA (J), Manuel de psychiatrie de l'enfant. Ed. Masson. Paris. 1980. P. 528.

8 - PRINGLE (Mia Kellmer) Les bésoins de l'enfant. (traduit de l'anglais. (The needs of children) Les publications du C.T.N.E.R.H.I. N0.1. 1979, PARIS, P, 190.

9 – المرجع السابق . ص 191 .

10 – حجازي (مصطفى) ، الأحداث الجانحون ، دراسة ميدانية نفسانية اجتماعية ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1975 ص. 321.

11 – نفس المرجع ، ص 319 .

12 - DURKHEIM (Emile), Le Suicide. Ed. Alcan. Paris. 1897.

13 - RAPAILLE. Op.cit. p. 64.

14 – ابيب (الطاهر) ، الطفل العربي : بين الحاجات والمؤسسات ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد 100 بتاريخ 1987 ، ص 90 .

15 – شرابي (هشام) ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1991 ، ص 33 .

16 – فروم (ريك) الخوف من الحرية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1972 ، ص 121 .
17 – نفس المرجع .
18 – مكي (عباس) وحطب (زهير) السلطة الأبوية والشباب ، معهد الإنماء العربي ، سلسلة الدراسات الإنسانية ، بدون تاريخ ، بيروت ، ص 97 ..
19 – نفس المرجع ، ص 15 .

20 - PERIS (Fritiz), Mas Gestalt Thérapie;Tchou. Paris. 1976.

21 - SAUVY (Alfred), La Révolte des jeunes. Ed. Calmann Lévy- Paris 1970. P. 86.

22 – زيعور (علي) ، التحليل النفسي للذات العربية ، دار الطليعة ، بيروت 1971 ، ص 56.55 .
23 – نفس المرجع ، ص 48 .

24 - DE AJURIAGURRA (J), Manuel de psychiatrie de l'enfant Ed. Masson, Paris. 1980. P. 528.

25 - PRINGLE (M.K.), Op. cit; P. 193.

التربية المتحفية وثقافة الطفل العربي

أ.د. عبلة حنفي عثمان ✪

يقاس مدى تقدم أو تخلف الأمم بكيفية إعدادها لأبنائها منذ طفولتهم ثقافياً وتربوياً. فلا شك في أن المؤثرات الثقافية والاجتماعية والعلمية والتربوية الإيجابية أو السلبية لها تأثيرها الفعال على أبعاد البنية المعرفية والثقافية للإنسان، بل وعلى ثقافة أمته كلها. فالأفراد يتوحدون مع الموضوعات الثقافية والتراث الإنساني المحيط بهم. والمتاحف نماذج حية شاهدة على التراث الإنساني، وعلى إبداعات العقل الإنساني، وإنتاج اليد البشرية عبر الزمان والمكان. فالمتاحف حافظة التاريخ، وذاكرة كل أمة، وحلقة الوصل بين الأجيال المتعاقبة عبر الزمان، كما أنها الجسر الذي يمتد بين الشعوب؛ لتعميق الأبعاد الثقافية والاجتماعية لها عبر المكان .

ولذا أبدت الدول على المستوى العالمي اهتماماً ملموساً بالمتاحف، فسعت إلى تعديل أهدافها، وزيادة أعدادها، وتعدد أنواعها، وتغيير المفاهيم الوظيفية القديمة لها. فلم تعد وظيفة المتحف تقتصر على مجرد جمع التراث والحفاظ عليه من الاندثار والضياع، وإنما اتسعت لتشمل مهام جديدة تعليمية وتربوية. وأصبحت المتاحف مؤسسات تربوية تهدف إلى نشر الوعي الثقافي بين زوارها. وعادت الروح بذلك إلى المتاحف، فأفاقت من سباتها العميق، وانفتحت على عامة الناس، فلم تعد مثل المعابد المغلقة التي لا يفتح نساكها أبوابها إلا للنخبة المختارة من الناس .

✪ عميدة كلية التربية الفنية – جامعة حلوان .

وبدأت معظم المتاحف على اختلاف أنواعها (الفنية – العلمية – الأثرية – التاريخية – التعليمية – متاحف التاريخ الطبيعي – متاحف الأطفال – الأماكن الأثرية المفتوحة – الحدائق المتحفية – القومية أو الإقليمية) في تخصيص أقسام تتولى الدراسات التربوية بها. ولم تنحصر الأنشطة التربوية هذه داخل حدود مباني المتاحف فقط، بل امتدت إلى خارجها، فسعت بعض المتاحف الكبرى إلى توسيع دائرة نشاطها لخارجها، عن طريق المتاحف الجائلة، مثل (المتحف السيارة – المتحف الحقيبة) فتنقل النماذج من بعض محتوياتها في سيارة أو حتى حقيبة حيثما يوجد الجمهور، سواء كان في مناطق بعيدة نائية ومحرومة من المتاحف، أو في مناطق تجمع الجمهور، كالمهرجانات أو الاحتفالات. ويصلح هذا النوع من المتاحف في الدول الفقيرة والبلاد النامية؛ لأن تكاليف تجهيزها لا تقارن بأي حال من الأحوال بتكاليف بناء متاحف جديدة. وقد يصاحب هذه المتاحف بعض الأنشطة والورش التي يطلق عليها ورش الهواء الطلق .

ومع ظهور هذه الاهتمامات التربوية ولدت فكرة التربية المتحفية التي تُعَنى بدعم الاتجاهات الإيجابية نحو الثقافة المتحفية، ونقل الأفكار والمعرفة عن الشعوب والجماعات وعن نظمها الاجتماعية. وتتطور أنشطتها الإنسانية لدى رواد المتاحف من كل الأعمار وفي كل المستويات الثقافية والاجتماعية، وذلك عن طريق إعداد المتاحف للخطط والبرامج والأنشطة العلمية والابتكارية والفنية والتعبيرية، ومن خلال عقد الندوات والمؤتمرات الدولية التي تهدف إلى الارتقاء بهذا التخصص الجديد وتوضيح فلسفته. وأصبحت التربية المتحفية بذلك علماً يدرس ومهنة جديدة تمارس. وتهدف التربية المتحفية بصفة عامة إلى جذب انتباه الجمهور وتثقيفه عن طريق ثلاث نقاط أساسية، وهي :

1- تعويد الجمهور على الملاحظة الدقيقة من خلال الجولات الإرشادية في المتحف .
2- تقديم المشورة المتحفية للمؤسسات التعليمية الأخرى .
3- الاستفادة من المقترحات التي يتقدم بها الزوار عن المتحف وعن برامجه التربوية .

التربية المتحفية للطفل

ولأهمية التربية المتحفية للطفل بدأت الدول في تخصيص قاعات خاصة بالتربية المتحفية للطفل في متاحفها الكبرى، وأطلقت عليها مسميات مختلفة، مثل (متحف الطفل أو

النشء – حجرة العجائب – حجرة الاكتشاف – حجرة المعرفة – مركز الأنشطة الفنية والإبداعية – مركز الطبيعة). ولم تنحصر الجهود الدولية في هذا المجال عند هذا الحد، بل اتجهت إلى إنشاء متاحف خاصة بالأطفال تهدف إلى استثارة حاجاتهم ودوافعهم الطبيعية نحو المعرفة والاستطلاع والاكتشاف، وحفز طرائق تفكيرهم ومخيلتهم الإبداعية، وإشباع قدراتهم التعبيرية والفنية، وحثهم على دراسة الظواهر الطبيعية وأحدث النظريات العلمية، والسبل التكنولوجية والإلكترونية، وانفتاحهم على عالم المعرفة بصفة عامة .

وتتجه متاحف الأطفال إلى مخاطبة أكبر قدر من حواسهم، وتختفي داخلها لافتة "ممنوع اللمس"، فتتاح لهم حرية لمس المعروضات وفحصها عن كثب؛ لمعرفة خصائصها المختلفة (مادتها – أشكالها – وظائفها – فوائدها – ملامسها – أوزانها). كما يتمكن الأطفال من فحص نماذج من الأشياء الطبيعية، أو لمستنسخات من الأعمال التراثية والفنية على درجة عالية من الإتقان، وهو أمر لا يتحقق في حالة مشاهدة النماذج الأصلية؛ خوفاً من إتلافها. وتتميز هذه المتاحف بأنها لا تقتصر على عرض ما تم بالفعل في الماضي أو الحاضر، بل تعرض نماذج متخيلة لما يمكن تصور صناعته في المستقبل؛ لإثارة خيال الطفل وتفكيره الإبداعي. وتتميز التربية المتحفية عن الأساليب التربوية الأخرى في أن الطفل يقف فيها أمام المعرفة وجهاً لوجه، يشعر بها، ويتفاعل معها بكافة حواسه. كما تكون لديه الفرصة للتعبير عما رآه في جولته المتحفية داخل ورش العمل المختلفة الملحقة بالمتاحف، والتي تتيح له فرصة ممارسة أنشطته الفنية والتعبيرية والإبداعية .

وتتراوح أعمار الجمهور المستهدف في هذه المتاحف ما بين الرابعة إلى السادسة عشرة. ولذا تختلف طريقة العرض فيها عنها في متاحف الكبار. ففترينات العرض مناسبة لأطوال الأطفال، وفي مستوى نظرهم، ومحتوياتها مختارة بدقة، بناء على أهميتها العلمية أو التاريخية أو الفنية أو الدينية، والقاعات غير مكدسة بالمعروضات؛ حتى لا تعمل على تشتيت ذهن الطفل، ويتم عرضها بطريقة جذابة تشد انتباهه، وتعكس لديه الإحساس بالبهجة والسرور، ولا تبعث على شعوره بالملل أو الكآبة. ولا بد وأن تكون البيانات واللوحات الإرشادية عن المعروضات مكتوبة بخط واضح وبأسلوب بسيط. والحقيقة أن مثل هذه الأمور تولّد لدى الطفل إحساساً بأن المكان مكانه، وأن وجوده مرغوب فيه .

كما تتضمن هذه المتاحف مكتبات تذخر بالكتب والمراجع العلمية المناسبة، بالإضافة

إلى قاعات للاستماع والمشاهدة مزودة بالوسائل السمعية والمرئية، كالأفلام التسجيلية والشرائح الملونة، وأقسام لبيع الهدايا والتحف التذكارية .

تاريخ إنشاء متاحف الطفل

كان للولايات المتحدة الأمريكية السبق في إنشاء مثل هذه المتاحف، حيث أنشئ أول متحف للطفل في بروكلين بنيويورك عام 1899 ، ثم تلاه متحف ببوسطن عام 1913 والذي كان له دور رائد في التربية المتحفية، بتبنّيه لمبدأ تربوي هام، وهو (أنا أسمع فأنسى، وأرى فأتذكر، وأعمل فأفهم). فلا شك في أن هناك اختلافاً شاسعاً بين معرفة الأطفال مثلاً عن قانون الروافع عن طريق السمع عنه، وبين معرفتهم له من خلال مشاهدتهم لنماذج مختلفة صنعت بناء على هذا القانون، وبين المعرفة الناتجة عن إنتاجهم لأشياء قائمة على هذا القانون. ثم افتتح بعد ذلك متحف إنديانا بولس عام 1925. ويعد هذا المتحف من أهم متاحف الأطفال في العالم، ويهتم بالعلوم والتاريخ الطبيعي .

وسارعت الولايات الأخرى الأمريكية إلى إنشاء متاحف جديدة للأطفال أو إلى تخصيص أقسام لها في متاحفها الكبرى. مثلما حدث في متحف المتروبوليتان بنيويورك، ومتحف الفن الحديث بسانت لويس، ومتحف شمال كارولينا للفنون بمدينة رالي، ومتحف الطيران والفضاء (ناسا – NASA) والذي يعرض نماذج لوسائل الطيران من عهد الأخوين رايت إلى عصر رواد الفضاء. ويتاح فيه للأطفال لمس قطعة من القمر التقطها القمر (أبوللو 1972)، هذا بالإضافة إلى متاحف مدن "والت ديزني" الترفيهية الشهيرة، مثل مركز إبكت (Epcot Center) في مدينة "أورلاندو بميامي" والذي وضح كيفية تطور الحضارة الإنسانية منذ عصور ما قبل التاريخ حتى اليوم، كما حلق بهم في الخيال؛ ليصور للأطفال ما يمكن أن يتنبأ بحدوثه في المستقبل .

وانتشرت بعد ذلك التربية المتحفية للطفل في كافة أنحاء العالم، بناءً على دعوة المجلس العالمي للمتاحف (الإيكوم The International Council of Museum -ICOM) عام 1948 إلى التوسع في إنشاء متاحف الأطفال، ثم دعوته 1979 إلى ترسيخ أهداف التربية المتحفية في خطط وبرامج المتاحف. وقام بتكوين جماعتين تربويتين لتحقيق ذلك.

الأولى هي جماعة (GEM-Group of Education in Museum)، والثانية هي جماعة (CECA Committee For Education and Culture Action) .

وبدأت أوربا في إنشاء متاحف الأطفال. ومن نماذج هذه المتاحف حديقة "لوجولاند" بالدنمارك عام 1952، وهي نموذج لمدينة صغيرة صنعت كلها من "اللوجو الصغيرة"، ومتحف الطفل في برلين عام 1970، ومتحف الطفل في مدينة فرانكفورت عام 1972، ومتحف كارلس روه بألمانيا ومتحف "مادورادام" بأمستردام، وهو نموذج مصغر لمدينة أمستردام بكل ما فيها من مبانٍ وشوارع ومحطة للسكة الحديد، ومكتب للبريد. وفي إنجلترا افتتحت متاحف أخرى، مثل متحف حديقة "جنستج" بمقاطعة ساكس، ويمثل نماذج من المباني الإنجليزية عبر العصور المختلفة. وتوالت بعد ذلك الافتتاحات في كل الدول الأوربية وفي كل قارات العالم، في كندا وفي أمريكا اللاتينية ودول شرق آسيا وشمال وجنوب إفريقيا .

وتهتم بعض هذه المتاحف بفنون الطفل وبرعاية الأطفال الموهوبين فنياً، مثل متحف فنون الأطفال في مدينة فرانكفورت بألمانيا، ومعرض رسوم الأطفال في (كولونيا) بألمانيا أيضاً، وأتيليه الأطفال الموهوبين في مركز (بوجيرو) بباريس، ومركز الأطفال للفن في "يرفان Yerevan " بأرمينيا، والذي يتخذ شعاراً له، وهو (الثقافة هي جسر الشعوب)، ومتحف رسوم الأطفال في جورجيا بروسيا. وتهدف هذه النماذج من المتاحف الفنية إلى تشجيع الأطفال على إبداع وتذوق الأعمال الفنية وتعرُّف الاتجاهات الفنية المختلفة ونماذج من فنون أقرانها .

التربية المتحفية في العالم العربي

تختلف السياسة المتحفية في معظم دول العالم العربي عنها في البلدان الأخرى المهتمة بالتربية المتحفية، فمتاحفنا العربية تمتلئ بكثير من الآثار النادرة والقطع الفنية الهامة، التي يفد إليها الزوار من كافة أنحاء العالم، ولكن للأسف نادراً ما يؤمها الجمهور العربي، ولا يوجد في معظمها متسع لإجراء البرامج والأنشطة المتحفية التربوية، سواء كانت للصغار أو للكبار. ومعظم العاملين بهذه المتاحف غير مؤهلين للقيام بمثل هذه الأعمال. هذا بالإضافة إلى أن غالبية زيارات الأطفال لهذه المتاحف تقع تحت إطار

الرحلات المدرسية الترفيهية التي لا يُعنَى فيها بالتربية المتحفية؛ لأننا تربينا على الجهل بتراثنا وتاريخنا .

وبالرغم من ذلك ظهرت بعض المحاولات الجادة من قبل بعض الدول العربية التي دعت إلى الاهتمام بالتربية المتحفية، وبدأت هذه المحاولات في التسعينيات من القرن الماضي في ثلاث دول، هي : عمان ومصر والأردن، حيث افتتح متحف للطفل في مسقط بعمان عام 1990، ودعا إلى نشر الوعي المتحفي لدى الطفل العماني. كما سعت وزارة الثقافة المصرية والمجلس الأعلى للآثار بها إلى نشر الوعي المتحفي، وإعداد البرامج والأنشطة التربوية داخل بعض المتاحف المصرية. كما أنشئ في القاهرة متحف للطفل يهدف إلى حث الأطفال على حب البحث والمعرفة وممارسة الأنشطة الفنية واليدوية. كما أنشئ مركز سوزان مبارك الاستكشافي للعلوم بالقاهرة، الذي يهدف إلى تنمية التفكير العلمي والابتكاري، وينظم برامج لرعاية الأطفال الموهوبين وإقامة المعارض لهم. وفي المملكة الأردنية الهاشمية قامت محاولات لدعم الأنشطة التربوية في برامج المتاحف بالأردن. ورغم أن هذه المحاولات لم ترتقِ في مجموعها إلى المستوى العربي المنشود، فإنها محاولات هامة لا يجب التقليل من شأنها .

ويتطلب نشر الوعي المتحفي، وتحديد فلسفة واضحة ومحددة للتربية المتحفية في إطار عربي مشترك؛ تشكيل (مجلس عربي للمتاحف) يهدف إلى تبني سياسة تحديث المتاحف العربية وتعديل سياستها؛ لتصبح المتاحف مدارس تدعو إلى بث القيم والوعي الأثري والفني والتاريخي لدى الأطفال والشباب العرب، بالتركيز على البعد التربوي والثقافي والتعليمي لها؛ مما يساعد على توطيد الصلات التاريخية بين البلدان العربية وتأصيل هويتها، وأن يعمل أيضاً على إعداد جيل من المربين المتحفيين القادرين على تحقيق هذه الأهداف. ولا بد أن يكون هذا المجلس على صلة بالهيئات الدولية المهتمة بهذا المجال، مثل المجلس العالمي للمتاحف (الإيكوم)، ومنظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف) والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليسكو) .

أهداف التربية المتحفية للطفل

أصبحت التربية المتحفية ضرورة واجبة لأبنائنا على كل المستويات، فهي استثمار

ثقافي وتربوي ممتاز له فوائده الكثيرة رغم أن تكاليفه قليلة. ويمكن تلخيص أهداف التربية المتحفية فيما يأتي :

1- **تأكيد الهوية والأصول الثقافية للطفل** : يساعد المتحف على تأكيد هوية الأطفال وتعرُّف تاريخ حضارة وطنهم؛ مما يدعم انتماءهم وولاءهم له، ويمكنهم من تمييز الاختلاف بين ثقافة وطنهم وتاريخه وبين ثقافات الأوطان الأخرى. فالمواطنة لا تعني مجرد انتساب الفرد إلى وطن معين بقدر ما تعني انتماء هذا المواطن إلى بلاده انتماءً قائماً على الوعي بتاريخ بلاده وميراث وطنه .

2- **فهم معنى استمرارية الحياة (سرمديتها)** : يساعد تتبع الميراث الحضاري والتاريخي على فهم معنى التسلسل الزمني للحياة (الماضي – الحاضر – المستقبل). فالحاضر الذي يعيشه الطفل تسبقه حضارات أخرى قديمة (الماضي)، كما أن هناك عصوراً لم تأتِ بعد، وهي (المستقبل) لا يمكن تجسيدها إلا من خلال خيالنا وأحلامنا. فالمتحف من هذا المنطلق نافذة نطل منها على الماضي، وبوابه نفتحها على المستقبل. فالتركيز في التربية المتحفية على الماضي فقط مع إهمال ما يجب أن يتحقق في المستقبل، أمر خطير جداً على المسيرة الإبداعية الإنسانية. ولئن كان التاريخ يمثل ذاكرة الإنسانية وماضيها، فإن الخيال والفكر الإبداعي هما مستقبلها الذي يولد من رحم الحاضر والماضي .

3- **تنمية الفكر والمعرفة** : تطورت الحياة الإنسانية من خلال الفكر الاستكشافي والإبداعي والنقدي، والذي تصبح العملية التعليمية بدونهم اجتراراً للماضي، فتجيء المخرجات التعليمية مقيدة، وليس لديها القدرة على التكيف مع متطلبات الحياة الحاضرة والمستقبلة. فالتربية المتحفية تستثير فكر الطفل، وتجعله نشطاً وقادراً على استيعاب ما يقدم له من مثيرات متعددة، فهو يرى ويفكر ويتسائل ويعبر ويبتكر ويشارك الآخرين. فالطفل يكتشف أن الحلول يمكن أن تأتي بالفهم والعقل والمنطق والاستنتاج، وبالقدرة على التنبؤ والإبداع واحترام الرأي الآخر. ويساعد هذا النوع من التربية الإيجابية للطفل على تنمية أوجه تفكيره، وعلى استمرارية العملية مدى الحياة، فالطفل يستفيد من المعلومات المتحفية بالقدر الذي يتناسب مع تفكيره. وهذا يعني تعويد الأطفال على الاستعانة بما هو مألوف وموجود، للخروج منه بأشياء

جديدة غير موجودة وغير مـألوفة. فالتعليم الآن يجب ألا يقف عند حد "تَعلَّمْ لتعرفَ"، بل يجب أن يشتمل على ثلاثة جوانب أخرى، وهي، "تَعلَّمْ لتعملَ وتبدعَ وتعيشَ مع الآخرين".

4- **ممارسة الأنشطة التعبيرية والفنية :** إن إثارة التساؤلات واكتشاف الأشياء والتعبير عنها، هي طرق لإيجاد علاقة شخصية بها، فعندما يسمح للأطفال بلمس الأشياء ورؤيتها يشعرون بخصائصها وبالمادة المصنوعة منها، وعندما يسمح لهم بممارسة أنشطتهم التعبيرية بعد الانتهاء من برامجهم الإرشادية بالمتحف، بأي وسيلة كالرسم أو التشكيل بالصلصال أو الطين أو الورق الملون؛ فالطفل في هذه الحالة يتعامل مع خامات وأدوات مختلفة، يدرك خصائصها وطبيعتها وطرق تشكيلها؛ مما يمكنه من التوصل إلى حلول وأفكار جديدة مبتكرة تنمي من تفكيره، ومن مهارته الحركية والحسية والإدراكية. كما يتيح له فرصة خيالية ورمزية لتجسيد أحاسيسه ومشاعره وانفعالاته ومعارفه تجاه الأشياء من وجهة نظره الخاصة؛ مما يقلل من حدة الضغوط النفسية التي قد يتعرضون لها، ويزيد من احترامه لذاته وقدرته على الإنجاز، ونقل أفكاره إلى الآخرين وتنمية علاقته الاجتماعية والاتصالية؛ مما يساعد على زيادة فهم الطفل لجوانب ثقافية ومعرفية جديدة، كان من الممكن أن تكون دون ذلك مجهولة وغير معروفة لديه .

5- **قضاء وقت الفراغ بطريقة مسلية :** تساعد التربية المتحفية الطفل على قضاء وقت فراغه أثناء العطلات الدراسية بطريقة مسلية وممتعة، وموضوعات من مواقف الحياة اليومية التي يعايشها الطفل، بطريقة غير مفروضة عليه، وتختلف تماماً عن الأسلوب التعليمي العقيم الذي يعتمد على الحفظ والتلقين؛ مما تجعله يشعر بالسعادة والسرور والمتعة الفكرية أثناء تلقي المعلومات في المتحف .

6- **حماية البيئة :** يساعد المتحف على توضيح الملامح البيئية التاريخية لكل شعب، ويظهر ذلك بوضوح في متاحف التاريخ الطبيعي. ويمكن أن يتخير المربي المتحفي برامج ترتبط بالمشاكل البيئية في المجتمعات؛ لجذب الأطفال للمشاركة في الحفاظ على الحياة الطبيعية، وتدريبهم على أهمية الحفاظ على البيئة.

وسائل توصيل التربية المتحفية

يتم الاتصال في التربية المتحفية، إما عن طريق الاتصال الشخصي بطريقة مباشرة بين الزوار والمربين المتحفيين، وإما عن طريق الاتصال الجماهيري أو الإعلامي، الموجه لمجموعات كبيرة وغير متجانسة عن بعد، عبر وسائل الإعلام الجماهيري. ويفضل للطفل أساليب الاتصال الشخصي؛ لأنها تقلل من إحساسه بالإرهاق أو الملل، ولأنها أكثر حرارة وحميمية له، فالطفل يجب أن يسأل ويحاور ويشارك الآخرين. وتتم عملية الاتصال المتحفي من خلال خمسة عناصر أساسية، هي :

1- **المرسل** : هو مصدر الرسالة، أي (المتحف وما يحتويه من معروضات). ولا بد وأن يكون المربون المتحفيون على دراية ووعي محدد بما يريدون توصيله في رسالتهم، فيراعوا الاختلاف في اختيار القطع المحددة؛ حتى لا يصاب الأطفال بالملل، وأن تكون مرتبطة بحياتهم .

2- **الرسالة** : وهي أساس عملية الاتصال المتحفي، وتشمل المعلومات والمضمون والفكرة المراد توصيلها. وتتضمن القواعد والأسس الواجب تحقيقها والسيناريو الخاص بها. ويتم فيها تحديد الرسالة وصياغتها بدقة وبطريقة واقعية، مثل شرح الحقبة التاريخية التي أنتجت فيها المعروضة، مع توضيح أهميتها من الزاوية التاريخية أو الفنية أو الاجتماعية وكيفية صناعتها، ومادتها، ووظيفتها، وخصائصها الفنية والجمالية. ويفضل لسهولة توصيل فكرة الرسالة أن يربط بين القطع المتحفية المختارة موضوع مشترك، كأن تكون عن وسائل المواصلات، أو عن ألعاب الأطفال أو عن الزراعة أو النسيج أو عن الملابس والحلي في عصر من العصور. وغالباً ما يطلب من الطفل القيام بمهمة البحث بنفسه عن المعروضات المطلوبة، مستعيناً في ذلك ببعض التلميحات والإرشادات المتضمنة في أوراق العمل والكتيبات المعدة من قبل إدارة المتحف أو المربين المتحفيين .

3- **الوسائط والوسائل التربوية** : ويقصد بها الوسائط المساعدة على توصيل الرسالة المتحفية، مثل المربين المتحفيين، والوسائل المطبوعة كالكتيبات، والأدلة وأوراق العمل، والوسائل السمعية كالأشرطة والأغاني، والوسائل البصرية والسمعية مثل الأفلام التليفزيونية وأفلام الفيديو، والأجهزة الإلكترونية. ويجب أن يراعى فيها توخي الدقة

والبساطة والوضوح وسلامة اللغة. ومن ضمن الوسائط المتحفية الهامة أيضاً الأنشطة الفنية والإبداعية التي يمارسها الأطفال في نهاية الزيارة المتحفية. وتختلف هذه الأنشطة من متحف إلى آخر. ومن أمثلة هذه الأنشطة الرسم، والتشكيل بالطين أو العجائن، وصناعة الفخار، وأشغال الخشب والمعادن، أو الطباعة والنسيج، وعمل الأقنعة، والتصوير الفوتوغرافي، وأعمال التطريز وحياكة الملابس، وأنشطة التمثيل ولعب الأدوار، وكتابة الشعر والنشاط المسرحي والحركي كالرقص. هذا بالإضافة إلى إقامة المعارض، والدورات التدريبية، واللقاءات والمؤتمرات والندوات المحلية أو الدولية.

4- **المستقبل** : لكي يتحقق التوصل بالصورة المنشودة لا بد وأن نكون على وعي بخصائص الزائر المستقبل للرسالة؛ حتى يمكن أن يكون لها دور فعال وإيجابي في عملية التوصيل، مثل الخصائص الديموجرافية له، كالمرحلة العمرية. مستوى تعليمه، ونوع الوظيفة والحالة الاجتماعية، والمستوى الاقتصادي له. بالإضافة إلى الخصائص النفسية للزائر، التي يكون لها هي الأخرى دلالتها على سلوكه واستجابته، مثل اتجاهاته النفسية والاجتماعية، واستعداداته وكفاءته الشخصية، ميوله ودوافعه. وتختلف أنواع المستقبل تبعاً لهذه المتغيرات، فقد يكونون أطفالاً في مرحلة ما قبل المدرسة، أو في المرحلة الإعدادية، أو أسرة كاملة بما فيها من أطفال ومسنين حضروا لقضاء يوم تعليمي سعيد في المتحف، أو يكونون مجموعة من الأطفال ذوي الحاجات الخاصة، كالصم والمكفوفين والمعوقين حركياً، أو من الأطفال المتسربين من التعليم. وبناء على هذا الاختلاف بين الزوار، تختلف طبيعة الأنشطة والبرامج المقدمة لهم .

ويجب ألا يكون موقف الوسيط أو المربي المتحفي من مستقبليه سلبياً، وبخاصة الأطفال، فعليه أن يشجعهم ويساعدهم على تكوين اتجاه إيجابي نحو أنفسهم، وقدرتهم على الإنجاز والمشاركة، ويدفعهم للبحث والعمل عندما يتوقفون عن العمل، ويقولون لا نستطيع. ويجب أن يعلِّم المربي المتحفي الأطفال كيف يسألون، وكيف يستمعون، وكيف ينصتون. فاستفادة الأطفال من المتحف تكون محدودة إذا لم يُتَحْ لهم فرصة التفاعل الإيجابي مع المربي المتحفي، واستثارة فضولهم ورغبتهم في البحث والتعلم والابتكار .

5- **التغذية الرجعية** : ويقصد بها رجع الصدى ورد الفعل لدى مستقبل الرسالة، وتعكس التغذية الرجعية مدى فاعلية العملية الاتصالية بين المرسل والمستقبل، والتي تنقل إلى المصدر عن طريق ما يقدم من استطلاعات لمعرفة رأي الزوار لرد فعلهم عما يقدمه لهم المتحف من برامج وأنشطة، فما الذي أعجبهم في البرامج المتحفية؟ وهل يودون تكرار الزيارة أم لا ؟ وما هي المتاحف الأخرى التي قاموا بزيارتها؟ وما هي المناشط التي يفضلونها؟ وهل أوراق العمل أو الوسائط المقدمة له مسلية أم مملة؟ وهل أسلوب المربي المتحفي يروقهم أم لا ؟ وتهدف هذه الاستطلاعات إلى كشف انطباعات الجمهور ورأيه عما يقدمه لهم المتحف من برامج وأنشطة تمهيداً لتعديلها في الخطط الجديدة المزمع إقامتها .

المراجع

1- عبد المحسن، أحمد 1993، منهج تربوي لإقامة متحف الطفل المصري، القاهرة : مجلة علوم وفنون، المجلد الخامس، جامعة حلوان .

2- عدنان، أسماء 1994، أهمية المتحف في العملية التربوية، الأردن : منشورات المؤتمر الدولي المتاحف (الإيكوم) المنعقد في عمان .

3- علي حمدي، جميل 1975، تطوير متاحف العلوم لتحقيق شعار التعلم بالمشاركة، مصر : مطبوعات المؤتمر الأول لثقافة الطفل بالإسكندرية، ص 354 - 358 .

4- عزمي ، حسام 1992، الحديقة المتحفية كأسلوب تثقيفي معماري معاصر للطفل المصري، القاهرة: مطبوعات المؤتمر العلمي الرابع، كلية التربية الفنية (الفن وثقافة المواطن)، جامعة حلوان .

5- أبو زيد ، سميرة 1996، المتحف كوسيلة تعليمية وتثقيفية للمعوقين، القاهرة : مجلة ثقافة الطفل، مجلد (18)، المركز القومي لثقافة الطفل، ص 109 - 131 .

6- حنفي عثمان ، عبلة 1975، دور التربية الفنية في تثقيف الطفل، مطبوعات المؤتمر الأول لثقافة الطفل بالإسكندرية، من ص 115 - 153 .

7- حنفي عثمان ، عبلة 1996، التربية المتحفية، القاهرة : مجلة ثقافة الطفل، العدد (18)، المركز القومي لثقافة الطفل، من ص 92 - 101 .

8- حنفي عثمان ، عبلة 2000، تنمية التفكير الابتكاري للطفل، مجلة خطوة، العدد (9)، المجلس العربي للطفولة والتنمية، ص 30 - 31 .

9- حنفي عثمان ، عبلة 2000، التليفزيون والثقافة الجمالية للطفل، مجلة خطوة، العدد (10)، المجلس العربي للطفولة والتنمية، ص 41 - 43 .

10- صبحي دياب ، عبير 1999، برنامج مقترح للتربية المتحفية كمدخل للتذوق الفني للطفل، القاهرة : رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان .

11- قاسم، ليلى 1994 متحف الطفل، الأردن : مؤتمر المتاحف الدولي (الإيكوم) بعمان .

12- سامح سعيد، محمد 1998، دليل متحف سوزان مبارك الاستكشافي للعلوم، مصر : قطاع الكتب بوزارة الثقافة والتعليم .

13- دائر ، هلموث 1996، التعليم المتحفي كوسيط بين التراث الثقافي والهوية الشخصية، القاهرة : مجلة ثقافة الطفل، العدد (18)، المركز القومي لثقافة الطفل، ص 19 - 38 .

14- الصديق ، وفاء 1993، متاحف الأطفال بمصر، القاهرة : دار الشروق .

15- الصديق ، وفاء 1996، التربية المتحفية والهوية القومية، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، مطبوعات المركز القومي لثقافة الطفل .

16- الصديق ، وفاء 1996، المتحف والطفل، القاهرة : مجلة ثقافة الطفل، العدد (18)، المركز القومي لثقافة الطفل، ص 45 - 54 .

17 - Ellie, C. (1987) A Model for Teaching in a Museum Setting Using Art Education and Art Appreciation. As the Education and Subject Area Compontents, Dessertaion Abstract Interrationol. Vol (48) NO5.

18- Funch,B.S. (1993) Educating The Eye. Strategies For Museum Aestheric Educatoin, NO (8) Spring.

19 - Hooper E. (1994) The Education Role of The Museims, University of London .

20- Tallier, C. (1985) The Significance of History Museim A Resoures For Appreciation. The Ohio University Dissertaion Abstracts, VOL (45) NO (8) .

الخصائص النفسية والسلوكية لأطفال ما قبل المدرسة

مبارك سالمين ✿

تعدُّ مرحلة ما قبل المدرسة من أحرج مراحل النمو وأهمها، فهي مرحلة بالغة التأثير في مستقبل الطفل؛ لأن سلوك الطفل في سنواته الأولى هو أساس سلوكياته في المستقبل؛ ذلك لأن مرحلة الطفولة المبكرة/ مرحلة ما قبل المدرسة هي مرحلة تكوينية حاسمة في تحقيق نمو سوي ومتكامل (مجلة الطفولة 9/2000) وتزداد فائدة تعرُّف خصائص النمو ومظاهره في مرحلة 6/3 سنوات وأهميتها في المسيرة النمائية عندما تتعرَّفها المربيات في دور الحضانة ورياض الأطفال والصفوف التمهيدية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأسرة والوالدين خاصة .

وقبل أن نحدد بعض أهم هذه الخصائص والمظاهر، أو نخوض عميقاً في أهمية تعرُّفها، لابد من الإشارة أولاً إلى أهمية استيعابها في علاقتها بالقوانين العامة للنمو، والتي يمكن إيجازها على النحو التالي :

1- النمو كمي وكيفي. كمي بمعنى نمو الخلايا من حيث الحجم، وكيفي بمعنى تخصص الخلايا ووضوح وظيفتها .

2- النمو نسبي، أي أنه يختلف من طفل إلى آخر، قياساً إلى النمو العام لظاهرة معينة أو مجموعة من الظواهر .

3- وجود مراحل حساسة في النمو. بمعنى أن أي توقف أو اضطراب في عملية النمو لسبب أو لآخر (كالمرض مثلاً) يمثل خطورة على مراحل النمو اللاحقة، وخاصة

✿ باحث تربوي - مركز البحوث والتطوير التربوي - عدن - اليمن .

مراحل تخصص الوظائف. غير أن النظام العام للنمو يوفر إمكانية اللحاق وتعويض الخلل أثناء مدة الطفولة وهذه العملية تنقص كلما اقتربنا من مرحلة المراهقة .

4- النمـو الجسمـي والعقلي يخضـع لحتمية بيولوجيـة. والنضـوج العصبي والأنسـاق الهرمونية هي التي تقود نظام ظهور السلوكيات، وذلك يعني أن التعلم يصبح غير ممكن عندما لا يسمح النضوج بذلك .

5- يؤدي المحيط الاجتماعي دوراً أساسياً في النمو الجسمي والسلوكي، فمثلاً في ظل غياب الحوافز (كالملاطفة مثلاً) يكون النمو السلوكي غير متزن ومضطرباً. وهو الأمر الذي يؤكد أن هناك طفولة اجتماعية إلى جانب الطفولة البيولوجية .

الخصائص العامة لمراحل النمو :

لخصائص النمو السلوكي منذ الولادة وحتى المراهقة تقسيمات كثيرة، لعل من أهمها تقسيمات (جيزل وفالون وبياجيه). وسنحاول في هذه الصفحات استعراض أهم مفاصل هذه التقسيمات بإيجاز، مع شيء من التفصيل والتركيز لمرحلة الطفولة المبكرة (3 – 6) موضوع هذه المقالة :

1- جيزل Gisele :

يرفض جيزل التفريق بين النمو الجسدي والنمو النفسي، لدرجة أنه يقول في كتابه الجنين والسلوك : "الطفل يمشي بروحه كما يمشي بجسده في نفس المسار ... " وينطلق جيزل في تحديد خصائص النمو من خلال العلاقة بين القوى الداخلية للطفل والقوى الخارجية (النموذج الثقافي العائلة) العائلة كورشة ثقافية يتكون فيها الطفل، فالآباء مسلحون بعوامل التربية .

وعملية النمو لدى جيزل حلزونية إيقاعية، أي أنها ليست تراكمية، وإنما هي عملية اندماجية أيضاً. ويقترح جيزل (24) مستوى عمريًا يمتد من الولادة إلى سن (16) سنة. وقد لُخِّصَتْ إلى سبع مراحل، وما يهمنا هو المرحلة الخامسة وخصائصها العامة : هي مرحلة 3 – 5 سنوات، ويصفها بأنها مرحلة عدم توازن عالٍ في حدود سن 3,5 سنوات. ويظهر ذلك في التردد والشك في الحركات والكلام، وهو عمر الرفيق الخيالي، حيث يقلد

الطفل في هذه الفترة الحيوانات ويتقمص أدوارها. وفي حدود سن 4 سنوات يبدأ الطفل في تعلم العلاقات الإنسانية، ويتقوقع لإلقاء نظرة على ما حوله (فترة تأمل)، يخرج منها في سن 1 : 4 بقفزة نوعية على مستوى الكلام والفكر، وذلك يعادل آخر السنة الأولى في رياض الأطفال. "وعدم التوازن العام في سلوك الطفل يمثل في سلوكات وحركات متعارضة، كأن يندفع كثيراً ثم ينطوي وهكذا .. وكثيراً ما نجده يتساءل لماذا يحل الظلام ليلاً؟ لماذا السماء زرقاء"؟ (عادل الأشول 1982 / 70)، وهو مرة مع الجماعة ومرة ضدهم، يريد أن يسيطر. وفي نهاية السنة الخامسة يحقق توازناً عاماً (أي في آخر عهده بالروضة تقريباً)، وهو الأمر الذي يضع على كاهل رياض الأطفال مهمة الإعداد والتهيئة لتحقيق ذلك التوازن؛ تمهيداً لدخول مرحلة التعليم الأساسي .

وفي السنة السادسة، يتميز الطفل – غالباً وعلى المستوى النفسي – بسمة صراعية، وهي مرتبطة بتحولات جسمية ونفسية، فعلى المستوى الجسمي يكون الطفل في هذه السن أكثر حساسية وأقل مناعة ضد الأمراض، كما أنه يبدأ بتبني بعض السلوكات المنظمة. وبصورة عامة تتميز الطفولة الثانية بسلوك الرفض لدى الأطفال، وهو ظاهرة طبيعية غير مستغربة؛ لأنها تترافق مع بداية ظهور الإحساس بالأنا والوجود الذاتي .. حيث يتمركز الطفل على ذاته، ويكون خجولاً ونرجسياً .

2- فالون Walloon :

فالون عالم نفس فرنسي وطبيب وفيلسوف؛ ولهذا فإن آراءه مطبوعة بكل هذا، ينطلق في دراسته للنمو من علم النفس المرضي، ويركز كثيراً على مراحل نمو الشخصية. ويرى فالون أن الطفل لا يصل إلى موقف موضوعي إلا عبر الشخصانية. وفي كتابه "أصول الطبع عند الطفل" الصادر عام 1934، وخاصة في القسم الثالث نجده يتناول وعي الذات، ويبدأ بالمقدمات الفيزيولوجية حتى الشهر السادس منتهياً بأزمة الشخصية (أزمة 3 سنوات) (أزمة تأكيد الذات والموضوعية) [1] (ليليان موري 1998 / ص 68) .

ويرى فالون أن المراحل في النمو بصورة عامة إنما هي تتابع في ترتيب ضروري، وكل مرحلة تشكل تحضيراً لا غنى عنه للمرحلة اللاحقة لها .

ففي الأسابيع الأولى يكون فعل الغذاء هو الجامع والموجّه للحركات الأولى المنتظمة

عند الطفل، ثم يبدأ في الشهر الثالث بإقامة علاقات مع المحيط، تظهر في الابتسامة كمؤشر لتيقظ الطفل على محيطه الإنساني، وبعد تلك المرحلة (الانفعالية) تأتي المرحلة الحسية الحركية بعد (9) أشهر؛ نتيجة الانقلاب والتأرجح، وهي المرحلة التي ستغطي السنة الثانية، وهكذا يصل الطفل إلى مرحلة أزمة الشخصية (3 سنوات) عمر الـ (لا) والأنا والـ (لي) (ملكي) .. إلخ، وعمر المحاولة لغرض إبداء الرأي الشخصي هو عمر يتساوى مع سن الحضانة وبداية رياض الأطفال في سن (4 – 5) سنوات تقريباً، ويصبح الطفل أكثر انتباهاً لمواقفه، ويظهر الخجل، كما تظهر في الفترة نفسها الحاجة إلى التقليد : "إذ يحاول الطفل أن يقلد؛ لكي يستبدل مكان الآخرين، وليعطي نفسه مشهد أناه المعزز من قبل الآخرين. وهكذا فإن التقليد هو بمثابة صراع مع الكبار". (ليليان موري 1998/ ص 87). وبصفة عامة يمكن القول إن فالون يذهب إلى التأكيد على أن سن (3 – 6) سنوات هي سن تتميز بخاصية التمركز على الذات. وفي هذا يتفق مع جيزل. ويؤكد فالون بخصوص هذه المرحلة "تفوق الميل إلى الإنشاءات التكنيكية في ألعاب الطفل" (رينيه أوبير 1982 ص 174) .

3– بياجيه : Paiget

ترتبط عند بياجيه دراسة النمو بتطور الذكاء بدرجة رئيسية، ويرى أن الطفل يمر بسلسلة من المراحل منذ الولادة وحتى سن (16) سنة، وكل مرحلة هي مقدمة لازمة للمرحلة التي تليها، وتظهر في كل مرحلة من المراحل مجموعة من التشكيلات السلوكية، وقد تكون هذه السلوكات ظاهرية (كمص الأصابع مثلاً) أو عقلية معرفية (كتصنيف الأشياء) وتتضمن كلمة تشكيلة أو هيكل عند بياجه كلاً من نشاطات الطفل والأبنية التي تقوم عليها. ومراحل النمو عند بياجيه أربعة :

1– المرحلة الحسية الحركية .

2– المرحلة قبل الإجرائية .

3– مرحلة العمليات العينية .

4– مرحلة العمليات الشكلية (محمد إسماعيل، ومحمد غالي 1981/ ص 87) .

وبهذا المعنى فإن مرحلة ما قبل المدرسة تأتي في المرحلة قبل الإجرائية، أي في سن الثانية وحتى السابعة، وفيها يستعد الطفل تدريجياً لمرحلة العمليات العينية. وفي هذه

الفترة يستجيب الطفل أساساً للمظهر الخارجي كما يوضح ذلك (مثال الأواني وكمية السائل فيها وتغيره تبعاً لأشكالها، فالطفل في هذه المرحلة مثلاً يحكم على أربعة أشياء مرصوصة في صف واحد بحيث تكون متقاربة تماماً، بأنها أقل كمًا من نفس العدد من هذه الأشياء إذا ما وضعت في صف واحد، ولكن متباعدة عن بعضها. ولا يتجاوز الطفل هذه المرحلة إلا إذا مر بالعديد من الخبرات. وفي هذه المرحلة أيضاً يتعلم الطفل أن يستخدم اللغة، وأن يكون صوراً ذهنية، وتلك مقدمة لتطور عقلي لاحق. وإدارة هذه النقلة تقع من صميم عمل المربيات في رياض الأطفال وأفراد الأسرة، وخصوصاً الوالدين .

وبصورة عامة فإن الحضانة والطفولة الباكرة مرحلة ما قبل المدرسة، بل والمسيرة النمائية من الميلاد وحتى سن السادسة، هي مرحلة لابد أن ينجز الطفل فيها قائمة من متطلبات وواجبات حددتها قائمة (ها فيجهرست) الشهيرة بالآتي :

1- تعلم المشي .
2- تعلم تناول طعام جاف .
3- تعلم ضبط الإخراج .
4- استكشاف البيئة .
5- تعلم الكلام الصحيح .
6- تعلم الفوارق الجنسية والحياد في السلوك الجنسي (تعلم التطابق مع آخر من نفس جنسه) .
7- تكوين مفاهيم سهلة وبسيطة عن الواقع الاجتماعي والمادي (الأقارب، الأهل، الأصدقاء .. إلخ) .
8- تعلم الارتباط العاطفي بالوالدين والأخوة والغير (حب، كراهية، احترام، تقدير .. إلخ) .
9- تمييز الخطأ والصواب وبدء تكوين الضمير والحاسة الأخلاقية ("بتصرف" عادل الأشول 1982/ ص44) .

ومعظم تلك الواجبات والمتطلبات النمائية تقع على كاهل الأسرة أولاً ومربيات الحضانة ورياض الأطفال في مرحلة (3 – 6)، وهي متطلبات نمو ضرورية ولازمة لبدء

مرحلة التعليم المدرسي، بمعنى أنه لابد من إنجازها في مرحلة ما قبل المدرسة كاملة؛ لأن تواصل عملية النمو في إطار سن التعليم المدرسي مرهون بها .

بعض خصائص النمو ومظاهره في مرحلة الطفولة المبكرة

(Early Childhood)

– مرحلة ما قبل المدرسة (2 – 6)

استناداً إلى ما تقدم وبالعلاقة مع قوانين النمو العامة، يمكن الإشارة إلى بعض مظاهر النمو في مرحلة الطفولة المبكرة (مرحلة ما قبل المدرسة)، وذلك على النحو التالي :

النمو الجسمي : في السنة الثالثة تنمو الأطراف نمواً سريعاً، وينمو جذع الطفل بدرجة متوسطة، وتكتمل الأسنان اللبنية المؤقتة. وفي السنة الرابعة يتواصل نموه الجسدي، ويمكن أن يستخدم هذا النمو استخداماً عدائياً. وفي نهاية السنة الثالثة أيضاً يكون الطول 90 سم، كما ينمو الجهاز العصبي والعضلات، وخاصة العضلات الكبيرة .

ومن أهم الحاجات الضرورية للنمو الجسمي لهذه المرحلة الاهتمام بالغذاء الكامل والنشاط الرياضي (المناسب للطفل) والراحة والنوم بقدر كافٍ (حامد زهران 1986/ ص 162) وهذا يتطلب الموازنة اللازمة بين الحركة والقفز والركض والخلود إلى الراحة والنوم، كما يجب في هذه المرحلة عدم مطالبة الطفل – الذي تختلف نسب أجزاء جسمه عن جسم الراشد – بأن يقوم بأنشطة لا يطيقها، أو أن يستعمل مقاعد أكبر من حجمه دون أن يقع في أخطاء. وهنا تظهر أهمية الطابع الخاص للتجهيزات في روضة الأطفال، كمؤسسة معنية بإنجاز مهام ومتطلبات ما قبل المدرسة .

النمو الحركي : يكتسب الطفل مهارات حركية جديدة، كالجري والقفز والتسلق وركوب الدراجة ذات (العجلات الثلاث) والحركات اليدوية الماهرة كالدق والحفر. وفي نهاية السنة الرابعة تقريباً يبدأ ظهور أثر نمو استخدام العضلات الصغيرة، وفي هذا مبرر كافٍ لبداية تعلم الكتابة لخطوط ورسم أشكال بسيطة، وتتطور هذه المهارة في السنة السادسة ليتهيأ الطفل للدخول إلى المدرسة .

بعض ملامح تطور مظاهر النمو الحركي

العمر بالسنوات	مظاهر النمو الحركي
3 سنوات	يقلد رسم دائرة، يطوي قطعة ورق، يجري بسرعة، يجري على أطراف أصابعه، يركب دراجة ذات ثلاث عجلات .
4 سنوات	يقفز أثناء الجري، يرسم دائرة، يرسم علامة .
5 سنوات	يرسم مثلثاً - مربعاً - يربط الحذاء - يرسم صورة إنسان بسيطة.

(عبد السلام حامد زهران 1986)

واستناداً إلى بعض ملامح النمو الحركي، فإن الطفل في هذه السن يحتاج إلى من يستفيد من هذا النشاط وهذه الحركة، ويوجهها الوجهة السليمة النافعة، كما أن الطفل يحتاج إلى من يشجعه أثناء اللعب في الروضة على ممارسة الرسم (في لوحات كبيرة)؛ بغرض تحديده على الإمساك بالقلم واكتساب مهارة الكتابة كخطوط ودائرة .. إلخ، شريطة أن لا يرهق بنشاط حركي فوق طاقته. كما أن الطفل في هذه المرحلة أيضاً - على سبيل المثال - يحتاج إلى اللعب في الهواء الطلق؛ لممارسة النشاط الحركي بتلقائية تامة؛ ليتمكن من تدريب عضلاته الكبيرة، وهو الأمر الذي لا يتأتى تنفيذه في الفصول والحجرات الدراسية، وذلك يعني أن مبنى الروضة يجب أن يكون واسع المساحة مزوداً بالمرافق الضرورية لنشاط الطفل، كالساحات والحدائق والحمامات الخاصة وصالات اللعب .. إلخ. كما يجب أن يكون مبنى الروضة "مستوفياً للشروط الصحية، من حيث التهوية الجيدة ودخول الشمس وانعدام الرطوبة، وتتوفر فيه الإضاءة الكافية وتوصيل المجاري" (درة السمين 1999 ص 230)؛ ذلك لأن مبنى الروضة ليس منشأة عادية، ولكنه منشأة ذات أغراض محددة، وتستفيد منه فئة عمرية ذات مواصفات معينة، وأي خلل في مواصفاته يمكن أن يعطل هذه الاستفادة، ويعيق عملية تحقق أهداف الروضة التربوية والنمائية .

النمو الحسي : يجد الطفل لذة في ممارسة حواسه، فهو شغوف في هذه السن بشم وتذوق وفحص واكتشاف الأشياء. وفي أول الأمر يصعب عليه الإدراك الحسي. فهو مثلاً لا يفرق بين اليمين واليسار أو 2 و6 أو بين q.p.d.b (حامد زهران 1986، ص 171) والأمر نفسه فيما يتعلق بإدراك المسافات والأحجام المختلفة، ولتطوير الإدراك الحسي

ورعايته لابد من السماح للطفل بالاتصال المباشر بالعالم الخارجي، من خلال الزيارات والرحلات وتعويد أذني الطفل على سماع الأناشيد والكلام المنغم والعناية الصحية بحواسه عامة .

ويتطور وضع الطفل تدريجياً عندما يصل إلى السادسة؛ ليدرك التساوي بين الأشياء والتناظر والتماثل في التجمعات المختلفة.. والأمر نفسه فيما يتعلق بإدراك المسافات والأحجام المختلفة. ولتطوير الإدراك الحسي ورعايته لابد من السماح للطفل بالاتصال المباشر بالعالم الخارجي، من خلال الزيارات والرحلات وتعويد أذني الطفل على سماع الأناشيد والكلام المنغم والعناية الصحية بحواسه عامة .

ويتطور وضع الطفل تدريجياً عندما يصل إلى السادسة؛ ليدرك التساوي بين الأشياء والتناظر والتماثل في التجمعات المختلفة .

النمو العقلي : تسمى هذه المرحلة – أي مرحلة (3 – 6) سنوات – بمرحلة السؤال، حيث تتسمع من الطفل دائماً : ماذا؟ ما هذا؟ متى؟ أين؟.. إلخ، ويلاحظ في المرحلة (3 – 6) تكون المفاهيم لدى الطفل كمفهوم الزمان والاتساع والعدد (حتى إلى 10 على الأقل). يقول بياجيه Paiget : إن الذكاء في هذه المرحلة وما بعدها يكون تصورياً تستخدم فيه اللغة بوضوح، ويتصل بالمفاهيم والمدركات"(1) (حامد زهران 1986، ص 174). ويذور هذا الوضع في إطار النمو العملي إنما يبدأ غرسها في مرحلة الطفولة المبكرة، وفي هذه السن لابد من التركيز على المحسوسات في التعليم؛ ليسهل الانتقال منها بصورة تدريجية إلى المعنويات .

النمو اللغوي : ينزع التعبير اللغوي في هذه المرحلة نحو الوضوح، ويتحسن النطق، ويزداد فهم كلام الآخرين. ويلخص الجدول التالي تطور مظاهر النمو اللغوي :

مظاهر النمو اللغوي (2)

العمر بالسنوات	مظاهر النمو اللغوي
3 سنوات	زيادة كبيرة في المفردات، قواعد لغوية مثل الجمع والمفرد .
4 سنوات	تبادل الأحاديث مع الكبار، وصف الصور .
5 سنوات	جمل كاملة تشمل كل أجزاء الكلام (أمثال أسماء .. إلخ) .

وحسب دراسة ما دورا سميث ليسير نمو المفردات على النحو التالي :

العمر بالسنوات	عدد كلمات الجملة
2،5 سنوات	ثلاث كلمات
3،5 سنوات	أربع كلمات
6، 5 سنوات	خمس كلمات

(حامد زهران 1986، ص 174)

وفي مبدأ ظهور الجمل في لغة الطفل تبدو عارية من الروابط والحروف، ويبدو تركيبها ساذجاً (على وافي 1978/ص 177)، كما يزداد التعميم القائم على التوسط في هذه المرحلة : فالكلب/ حيوان وجميع أنواع الحلوى / حلوى .. وهكذا. وعلى الرغم من الفقر اللغوي لدى أطفال (2 – 6) سنوات على مستوى التركيب، فإنهم في هذه المرحلة يميلون إلى الثرثرة، وذلك دليل على نمو القدرة اللغوية والمحصول اللغوي. وتبرز هنا أهمية القصص المحكية للأطفال لتقديم نماذج الكلام، كما يجب أيضاً التنبه لمشكلات العامية والفصحي عند تعليم الكلام للأطفال. وهو الأمر الذي يجب أن تستوعبه المربيات في مجال رياض الأطفال، وتستثمره بصورة جيدة لصالح نماء وتطور اللغة عند أطفال الروضة. فلقد أكدت دراسات (جارير وهيبر) أن "الذهاب إلى رياض الأطفال قد أدى إلى ارتفاع مستوى اللغة وحصيلتها عند الأطفال. كما أدى إلى ارتفاع مستوى الأداء في اختبارات الذكاء التي أجريت بنسبة ملحوظة .." .

النمو الانفعالي : تتميز انفعالات الأطفال من (3 – 6) بأنها شديدة ومبالغ فيها (غضب – ضحك – حب شديد)، كما تتميز بالانتقال المفاجئ من انفعال إلى آخر :

بكاء ⟷ ضحك .

انشراح ⟷ انقباض .

"وشدة الانفعالات تكون راجعة لتمايز اختلاف القدرات التي يكتسبها في هذه السن.. وكذلك عدم إدراكه للزمن" (درة السمين 1999/ص 62). ويظهر في هذه السن التمركز حول الذات بصورة واضحة، ويزداد الخوف من الحيوانات والظلام ... إلخ؛ لأن الطفل

يتـعلم الخـوف مما يخـافه الكبـار. وفـي نهـاية هـذه المرحلة يميل الطفل نـحـو الاسـتـقـرار الانفعـالي، وهي مرحلة لا يمكن الوصـول إليـها إلا من خـلال توفير الشـعور بالأمن والثقة والانتماء للطفل، وذلك من خلال العمل على إشباع حاجاته المختلفة والعمل على حمايته من المشاهد المخيفة والأصوات المرعبة (سواء في الحياة أو في البرامج التليفزيونية العنيفة)، كما يمكن ذلك أيضـاً من خـلال العمل على تعـزيز الانفعالات الإيجابية من خـلال الثواب الذي يلعب دوراً هاماً في عملية تعزيز هذه الانفعالات في سن الطفولة المبكرة .

النمو الاجتماعي : أما على مستوى النمو الاجتماعي، فإن هذه المرحلة تتطلب بدرجة رئيسة أن يتعلم الطفل كيف يعيش مع الآخرين، في عالم يتفاعل فيه مع غيره باستثناء والديه وأخوته، وأن يشعر بالثقة والأمان، " ويتعلم كيف يستجيب لإرشادات وتوجيهات المعلمة، والضـوابط اللفظيـة بأسلوب إيجـابي، وأن يحـافظ على النظام، وأن يلائم سلوكه للتوقعات الاجتماعية لدوره كذكر أو أنثى" (سليمان أبو عزب وأسماء العطية 1992/ ص22). ويتجلى التوافق الاجتماعي في الألفة والصداقة وميل الطفل إلى التعاون في نهاية هذه المرحلة (بمعنى أن يتـحـول الطفل إلى كـائن اجـتـمـاعي). ومن أهم مطالب النمـو الاجتماعي الحاجة إلى الأمن، فبدون الأمن يفشل الأطفال في التفتح والازدهار من الناحية الجسمية، ويعاق النمو النفسي والنمو العقلي السليمان .

مما تقدم يمكن أن نخلص إلى أبرز المظاهر والخصائص النفسية العامة، التي تتسم بها مرحلة الطفولة المبكرة (3 – 6) سنوات، والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

– تتسم هذه المرحلة بالتمركز حول الذات (3 – 5) سنوات .

– ويعبر عنها الطفل باتجاهات رئيسية ثلاثة :

1– ظاهرة الرفض، وتظهر في السنة الثالثة على شكل عدم انصياع الطفل لأوامر والديه ومربيته، وتلك ظاهرة لابد من مراعاتها واعتبارها ظاهرة طبيعية للتعبير عن (الأنا).

2– في السنة الرابعة تظهر ظاهرة العرض، ويميل الطفل في هذه السن لعرض مهاراته وخبرته أمام الغير كالقفز والجري .. إلخ. ولهذا السلوك وظيفة نمائية، فهو تعبير عن (الأنا) أيضاً وتفخيم لها، وكمرحلة مرور لمرحلة المشاركة والتعاون مع الآخرين .

3– في السنة الخامسة يظهر سلوك التقليد للوالدين والكبار. ولهذا التقليد أيضاً دور في الاستدلال على ظهور (الأنا) والشعور بها .

وأخيراً يمكن القول بصورة عامة إن الطفولة المبكرة هي عبارة عن تمركز حول الذات في معظمها وتفخم للأنا مختوم ببذور التفتح على الآخر، وذلك في بداية العمر المدرسي، أي بعد أن تكون روضة الأطفال - ذات المواصفات التربوية من حيث طبيعة المبنى والتجهيزات والمناهج والبرامج الدراسية التي تتناسب مع طبيعة وخصائص النمو ومظاهره في مرحلة الطفولة المبكرة - قد أدت دورها كما يجب .

إن الحديث عن مظاهر النمو وخصائصه أمر وثيق الصلة بدراسة واقع رياض الأطفال في البلاد العربية؛ لأن خصائص الروضة كمبنى وتجهيزات وشروط وبرامج إنما يجب أن تكون استجابة لخصائص الطفل وتدرُّجه النمائي. غير أن دراسة هذا الموضوع تحتاج إلى بحث خاص نتمنى أن تنهض به إحدى مؤسساتنا العربية البحثية عمّا قريب إن شاء الله .

المراجع

1- عز الدين الأشول ، عادل : 1982 علم نفس النمو (بدون ط) مصر، مكتبة الأنجلو مصرية.

2- عماد الدين إسماعيل ، محمد ، وأحمد غالي، محمد : 1981 - الإطار النظري لدراسة النمو (ط 1) دار القلم الكويت .

3- أوبير ، رينيه : التربية العامة، ترجمة د. عبدالله عبد الدائم (ط 5) بيروت ، دار العلم للملايين .

4- حامد زهران ، عبد السلام : 1986 - علم نفس النمو (ط 8)، مصر، عالم الكتب .

5- متني السمين، درة : 1999 ، دراسة تقويمية لرياض الأطفال في الجمهورية اليمنية، في ضوء المحددات المحلية والعربية. (أطروحة دكتوراه جامعة الجزيرة) السودان .. غير منشورة .

6- عبدالواحد وافي، علي : 1978 عوامل التربية / بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي (بدون ط)، مصر، دار نهضة مصر للطبع .

7- أبو العزب، سليمان ، والعطية ، أسماء : دليل المشرفة للخبرات / المستوى الأول 1992 - إدارة المناهج والكتب المدرسية - دولة قطر .

8- موري، ليليان : 1998 ، نمو الطفل، تعريب سليمان قعفراني ، لبنان - بيروت - دار عويدات .

9- مجلة الطفولة العربية : 2000 - العدد 3 ، دراسة الخصائص السلوكية ، الكويت/ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية - ص 9 .

كتب ورسائل جامعية

المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق

تأليف : د. حسن شحاتة

عرض : علي حامد

رسائل الماجستير

عرض د. زايد بن عجير الحارثي

المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق٭

تأليف: د. حسن شحاتة
عرض: علي حامد٭٭

في ظل التقدم العلمي الهائل ، والتطور التكنولوجي الذي لا يتوقف ، والذي يقدم جديداً كل يوم ، في العالم المتقدم؛ تنفتح أزمتنا الخانقة التي تعيق نمو وتطور وتمدن عالمنا العربي . وأحد العوامل الأساسية المسببة لتلك الأزمة القائمة والمتراكمة الأوضاع التعليمية والتربوية ، والتي تقوم على مناهج قديمة ، تقليدية ضيقة ، ولا تواكب العصر وأحواله ومنجزاته المتلاحقة بوتيرة سريعة؛ مما جعلنا متخلفين كثيراً في مجالات الإبداع والابتكار والاكتشاف على كل المستويات . وبالرغم من كثرة الحديث والحوار والكتابة والصراخ حول قضايا التعليم والتعلم والمناهج ، والذي لا يتوقف منذ سنوات طويلة ، في فضاء البلاد العربية ، فإننا لا نخطو خطوة واسعة وحقيقية في سبيل تطوير وتحديث المناهج للوصول الى درجة عالية من الكفاءة في ميدان التربية والتعليم، في إطار رؤية عربية لتلك المناهج ، لا تقع في أسر النظريات والمفاهيم والنماذج الأجنبية. لذا رأينا أن نقدم عرضاً لهذا الكتاب الصادر حديثاً ، والذي يبدو من عنوانه ، أنه كتاب في المناهج ، يتضمن عرضاً لمفاهيم وقضايا ومشكلات علم المناهج بطريقة وظيفية تقترب إلى حد كبير من العمل التعليمي داخل المدرسة وخارجها ، وفي قاعات الدرس مزارع الفكر البشري، حسب تعبير المؤلف ، والذي يعد أحد خبراء التربية المشهود لهم بالكفاءة والاقتدار في وطننا العربي ،

٭ خبير تربوي .

٭٭ كاتب وصحفي ، مصر .

فقد ألف عدداً من الكتب المدرسية بالتعليم العام والفني ، وأنجز دراسات عديدة في التربية، والمناهج ، وطرق التدريس ، والمكتبات ، ومحو الأمية، وأدب الأطفال . وكتابه هذا(*) الذي بين أيدينا – يجمع بين التنظير والتطبيق ، وهو دليل عملي ومرشد تطبيقي للمعلمين وقيادات التربية وطلاب كليات التربية ، يساعدهم في بناء المناهج وتصميمها وتنفيذها ، ويضيء لهم السبل لتطويرها وتقويمها .

يشتمل الكتاب على عشرة فصول وقائمة بالمراجع العربية والمعربة والأجنبية ، ويقع في 280 صفحة من القطع المعتاد في الكتب الأكاديمية (17 × 24 سم)

يتناول فصله الأول : "مفهوم المنهج وتطوره" بادئاً بالحديث عن غاية التربية التي هي تنمية الإنسان وتحقيق السعادة له وللآخرين ، ولذلك أوجد المجتمع أو أنشأ المدارس كمؤسسة للتربية . ولكن كيف تكون التربية ؟

يوضح المؤلف أو يجيب عن السؤال بأن "المنهج " هو أداة المدرسة في التربية ، فهو الترجمة العملية لأهداف التربية وخططها واتجاهاتها في المجتمع .

إذن فالمنهج ينبثق من البيئة التي يعيش فيها الإنسان ، ويعبر عن احتياجاته ومطالبه، وتطلعات وثقافة وقيم وأهداف مجتمعه .

وهناك : المنهج بمعناه التقليدي الذي ينبني علي نظرية المعرفة – حسب مفهوم التربية اليونانية القديمة – والتي ترى أن المعرفة تؤدي إلى تغير السلوك، فمعرفة الحق عندهم تؤدي إلى اتباعه . وتلقي المتعلم للمعارف يؤدي إلى تدريب العقل وتنمية الذكاء. من هنا أصبح المنهج يرادف في مفهومه المقررات الدراسية والكتاب المدرسي .

ويصبح دور المعلم هنا هو نقل المعلومات والشرح والتفسير والتوضيح والتكرار وإعطاء الأمثلة . وبهذا المفهوم يصبح الكاتب هو المصدر الوحيد للمعرفة ، وتصبح التربية القمعية والتلقين والفكر الواحد والرأي الواحد هو السائد . وتصبح ثلاثية التلقين والحفظ والاسترجاع هي التي تحكم العملية التعليمية في المدرسة التقليدية . أما النشاط المدرسي فهو للترفيه وخارج عن المنهج . والمتعلم يحفظ ويستظهر ويسترجع ما تعلم من العلم وما تتضمنه الكتب المدرسية فقط . والمقررات الدراسية موزعة على أشهر العام الدراسي ،

* مطبوعات مكتبة الدار العربية للكتاب بمدينة نصر، القاهرة، مايو .

والامتحان؛ لقياس التحصيل والمعلومات والحفظ والتذكر .

وقد وجهت لهذا الفهم الضيق للمنهج انتقادات عديدة، منها : إهمال الجوانب الوجدانية النفس حركية المهارية بمعناها الشامل عزل المدرسة عن الحياة، العزوف عن النشاط المدرسي والخبرات المباشرة، اعتبار الكتاب المدرسي هو المصدر الوحيد للمعرفة والتعلم .

أما المنهج بمفهومه الحديث فهو مجموعة الخبرات التي تقدمها المدرسة للتلاميذ داخل المدرسة وخارجها؛ لتحقيق النمو الشامل المتكامل في بناء البشر ، وفق أهداف تربوية محددة وخطة علمية مرسومة .

ومكونات المنهج الحديث هي :

1 ــ **الأهداف التعليمية** ، وهي معرفية ووجدانية ومهارية شاملة .

2 – **الخبرات التعليمية** ، تكون وثيقة الصلة بحياة التلاميذ ومحققة لمطالب نموهم وحاجات البيئة والمجتمع .

3 – **الوسائط التعليمية** ، مثل الصور والنماذج وآلات التعلم والأجهزة السمعية والبصرية.

4 – **طرائق التدريس** ، التي هي مجموعة الأداءات اللفظية وغير اللفظية ، وجدانية وحركية، يقوم بها المعلمون مع المتعلمين لإحداث سلوك متوقع لدى التلاميذ في نهاية الحصة.

5 – **الأبنية والأفنية والأثاث** ، وتتضمن الفصول المدرسية والمعامل وحجرات النشاط والمكتبة المدرسية وفناء المدرسة ، وكل التجهيزات اللازمة للتربية التي تجعل المكان جاذباً للتلاميذ والمعلمين والإداريين .

6 – **تقويم التعليم** ، وذلك بإصدار حكم على ما تم تحقيقه من أهداف معلنة ؛ حيث يحكم المعلم على مستوى المتعلم في ضوء تقدمه الدراسي ، وأن يجعل الدرجات للثواب وليس للعقاب ، وأن يخصص لكل تلميذ بطاقة للحكم على جوانب نموه الأكاديمي والنفسي والمهاري ، وأن يشارك أولياء الأمور في تعديل سلوك أولادهم .

ويتطرق المؤلف إلى العوامل المؤثرة فى المنهج باعتباره نظاماً مفتوحاً يتأثر ويؤثر. فهناك عوامل فلسفية، وتعني نمط الفلسفة التي تحكم التربية ومعتقدات القيادات التعليمية ومتخذي القرار التربوي ، وعوامل اجتماعية تتمثل في ثقافة المجتمع وتراثه ونظامه

السياسي ومبادئه والمشكلات التي تواجهه وحاجاته وأهدافه ، وعوامل سيكولوجية تتحدد في فهم الطبيعة الإنسانية وخصائص نمو المتعلم ومطالب النمو ودوافعه وحاجاته وميوله ومشكلاته والفروق الفردية بين المتعلمين ؛ بالإضافة إلى متغيرات العصر الدولية والإقليمية، والتي أدت - بفضل ثورة المعلومات وسطوة وسائل الإعلام - إلى أن يصبح العالم قرية صغيرة ، من هنا فتطوير التعليم ينبغي أن ينبني على أساس الأوضاع الدولية بجانب الاحتياجات والمتغيرات الداخلية .

خلاصة القول هنا أن تخطيط المنهج يتطلب وقتاً كبيراً ومجهوداً هائلاً في وضع الأهداف ، وتحديد الوسائل التى تؤدي إلى تحقيقها .

ثم يدخل بناء الخبير التربوي د. حسن شحاتة إلى الدائرة الثانية من الدوائر التي يحددها الكتاب ، وهي"**أسس بناء المنهج الحديث**" - **الفصل الثاني** - حيث يعتبر أن **الخبرة هي وحدة بناء المنهج بمفهومه الحديث ، وهي الأساس الأول لبنائه**؛ لأنها ثمرة التفاعل بين الإنسان والبيئة. والتجربة الحية التي يعيشها الإنسان في مواقف حياته المتعددة ، أو هي عملية تأثير وتأثر بين الفرد والبيئة ، حيث يربط بين ما يقوم به من عمل وما يحصل عليه من نتائج ، فيستفيد من تعديل سلوكه وزيادة قدرته على توجيه خبراته التالية . وفي العملية التعليمية يجب أن تكون وظيفة المدرسة تهيئة المجال أمام التلميذ للمرور بخبرات جديدة ، وإعادة تنظيم خبراته السابقة؛ حتى يصبح لها معنى وقيمة ، وليس مجرد تلقين التلميذ قدراً من المواد الدراسية النظرية، إن وحدة بناء المنهج هي خبرة حقيقية يعيشها التلميذ في موقف من مواقف الحياة ، ويكتسب من خلالها ثقافته ومعارفه وقيمه . **أما الأساس الثاني فهو سيكولوجية المتعلم** ، ويعني الاهتمام بالتعرف على الفرد من جميع جوانبه : خصائص نموه وتفكيره ، سلوكه والمفاهيم التي يمكن أن يتعلمها في مرحلة ما ، واتجاهاته وميوله واستعداداته واهتماماته . إن معرفة ذلك تساعد واضعي المناهج على فهم أفضل للمتعلم وسلوكه . فالتعلم القادم على أساس حاجات واهتمامات الأفراد يكون أكثر صلة بهم ، ويعمل على تنمية الكفايات والمهارات الأساسية والضرورية للعيش في المجتمع .

أما ثقافة المجتمع وتراثه ونظامه ومبادئه ومشكلاته وحاجاته وأهدافه التي ينبغي تحقيقها ، فهي الأساس الثالث في بناء المنهج الحديث ، مما يعني أن يكون وثيق الصلة

ببيئة التلميذ ، وأن يتيح المجال أمامه للممارسة المنظمة في فلسفة المجتمع ، ويعكس مقومات الفلسفة الاجتماعية، ويحولها إلى سلوك يمارسه التلاميذ ، بما يتفق ومتطلبات الحياة في المجتمع بجوانبها وأبعادها المختلفة . ومن هنا فإن المنهج لابد وأن يختلف من حيث الشكل والمنطق من مجتمع لآخر .

وعن الأهداف التعليمية التي هى الخطوة الأولى فى أي عمل تربوي يتحدث الفصل الثالث ، فيقدم تعريفاً لها بأنها التغيرات التي نتوقع حدوثها في شخصيات التلاميذ ، أو النتيجة النهائية للعملية التعليمية التي يسعي المعلم لتحقيقها . ويرتبط تحديد هذه الأهداف بسلوك المتعلم وبمجموعة التغيرات التى تطرأ عليه ؛ أي أن المعلم لا يصوغ أهدافه التعليمية في ضوء ما سيفعله داخل قاعة الدرس أو خارجها من أنشطة ، بل في ضوء ما يفعله طلابه، وما نتوقع حدوثه منهم ، أو ما يكونون قادرين على أدائه بعد انتهاء الدرس .

ثم يوضح مستويات تلك الأهداف التي هي تربوية، ويصفها بأنها شديدة التجريد والعمومية والشمولية ، وتعليمية، وتمتاز بدرجة ما من التجريد، وتضم عدداً من نواتج التعلم، مثل المجالات : المعرفية والوجدانية والمهارية ، وأهداف إجرائية، أو سلوكية أو أدائية، وهي نواتج تعليمية نوعية تقبل الملاحظة والقياس، مثل التمييز بين الحقيقة والرأي ، أو يشرح الطالب عبارة مختصرة بلغته الخاصة .

ويوضح المؤلف كيفية صياغة تلك الأهداف ومصادر اشتقاقها، والتي تتمثل في : فلسفة التربية ، وفلسفة المجتمع وطموحاته ومشكلاته ، وطبيعة نمو المتعلم وخصائصه وحاجاته وميوله واتجاهاته ، وطبيعة المدة الدراسية وآراء المتخصصين والأكاديميين ، ويوردها الكتاب بالتفصيل ، لينتهي هذا الفصل بتصنيف الأهداف السلوكية إلى ثلاثة مجالات، هي: المعرفي ، الوجداني، والمهاري .

ويكمل الخبير التربوي في الفصول التالية من كتابه المفيد (من الرابع وحتى الثامن) تناول باقي مكونات المنهج الحديث ، والتي بدأها في الفصل السابق بالحديث عن الأهداف التعليمية ؛ ليتابع تفصيله لموضوع اختيار محتوى المنهج وتنظيمه ، وطرائق التدريس ، مبيناً ماهيته وأهم الأسس العامة له ، وتصنيف طرقه ، وأدوار المعلمين الأكفاء ، ثم يوضح ماهية الوسائط التعليمية وأدوارها وأنواعها (الأفلام التسجيلية والصور ، التسجيلات الصوتية ، الفانوس السحري وعرض الأفلام ، زيارة المتاحف ، استخدام المصورات ،

القصص والسبورة والتقارير ، الملصقات ، التمثيليات ، والكتاب المدرسي) . ويقول كلمته في تكنولوجيا التعليم باعتبارها نظاماً تتكامل فيه الإمكانات المادية (المستحدثات التكنولوجية : الفيديو – التليفزيون – أجهزة الكمبيوتر، وغيرها) وتتفاعل مع الإمكانات البشرية؛ من أجل تحسين التعليم وتيسير التعلم .

وأخيراً تأتي مرحلة تقويم خبرات التلاميذ وأعمالهم ؛ لتحديد مستوى المتعلمين ومساعدة الآباء والمعلمين في توجيه أبنائهم دراسياً ومهنياً، كما يفيد في اتخاذ القرارات التي تتناول برنامجاً تعليمياً أو منهجاً دراسياً أو مرحلة تعليمية؛ مما يساعد في تشخيص الواقع التربوي وتسديد مساره؛ لأنه لا تطوير دون تقويم .

ويقدم الخبير التربوي هنا نماذج لعمليات تقويم عناصر المنهج .

ويطرح السؤال نفسه بعد ذلك : ما موقع التقويم الفعلي في المدارس الآن ؛ أي لما ينبغي أن يكون عليه التقويم السليم ؟

وينتقد مفهوم التقويم في مدارسنا، الذي يقتصر على الامتحانات التحريرية ، وقياس المستويات المتدنية من الجانب المعرفي ، والتي تقف عند مستوي التذكر والفهم؛ ليصبح التعليم في مدارسنا للامتحانات وليس للحياة . فالكل (المتعلمون وأولياء الأمور والمعلمون والقيادات التعليمية) مشغولون بالامتحانات والحصول على الدرجات والتقديرات. ويرى أن وسائل الإعلام أصبحت قوى ضغط اجتماعي ، تدافع عن الكسالى وأنصاف المتعلمين ، وتلقى استجابة سريعة من القيادات التعليمية المسئولة .

ويقدم تصوره فيما يتعلق بتحسين الوضع الحال للتقويم في مدارسنا ، والذي يقتضي: أن تتعدد فترات التقويم خلال الفصل الدراسي الواحد، وأن تعرض نتائج التقويم على الطلاب، وخاصة الأخطاء الشائعة؛ لمناقشتها ومعرفة أسبابها، وتحقيق التوازن بين الجوانب العملية واللفظية، ومحاولة تطبيق نظام الكتاب المفتوح الذي يتم داخل المكتبة أو في قاعة مناسبة، ومقارنة المتعلم بنفسه من وقت لآخر، واستخدام مقياس التمكّن والإتقان.

وينتقد الخبير التربوي في هذا السياق الأساليب الخاطئة في تقديم السؤال للمتعلم، مثل استخدام الأسئلة الغامضة، وعدم الوضوح والصياغة المركبة، وعدم السماح للتلاميذ بوقت كافٍ للتفكير والإجابة .

كما يأخذ على نظام اختبارات المقال عدم شمولها لكل جوانب المحتوى ، ذاتية

التصحيح ، عدم تحديد الأجزاء المطلوبة في السؤال بوضوح . ويتناول الاختبارات الموضوعية ، وينقل لنا المواصفات العامة للورقة الامتحانية ، وشروط تشكيل اللجان الفنية لوضع أسئلة الامتحانات .

ويعرض الفصل التاسع تنظيماً منهجياً يمكن تطبيقه في مدارسنا (في التعليم الأساسي) ، هو منهج النشاط ، ويقوم على الميول الإيجابية والمشتركة للتلاميذ وحاجاتهم داخل المجتمع الذي يعيشون فيه، أي اعتبار المتعلم محوراً للعملية التعليمية ، فالمتعلم إنسان نشط وإيجابي وفعال في الموقف التعليمي .. يمارس نشاطاً ذا معنى، يرتبط بميوله وحاجاته الحقيقية في مجتمعه . وتتحقق إيجابية المتعلم عندما يشارك في حل مشكلة لها معنى ومغزى بالنسبة إليه ، وترتبط بميل حقيقي لديه .

ويعد هذا المنهج محاولة للتغلب على بعض عيوب منهج المواد الدراسية ، ويتحقق ذلك بنقل مركز الاهتمام من المادة الدراسية إلى التلميذ نفسه ، فيشترك التلاميذ في اختيار الأنشطة، التي تشبع ميولهم، وتحقق أغراضهم ، ويضعون الخطط المناسبة التي توصلهم إلى أهدافهم ، ويقومون بتنفيذها ، ويقدرون مدى نجاحهم في تحقيق تلك الأهداف .

ويتتبع المؤلف نشأة هذا المنهج وتطوره، بداية من استخدام جون ديوي تعبير" برنامج النشاط "في عام 1896 ، عند حديثه عن مدرسته التي أنشأها ملحقة بجامعة شيكاغو ، ثم يعرض الأسس التي يقوم عليها منهج النشاط، مثل : أن ميول الأطفال وحاجاتهم هي التي تحدد البرنامج التعليمي، وقيام النشاط على التعاون بين المعلم والمتعلمين ، إدارة العملية التعليمية والتعلمية حول طريقة حل المشكلات .

ويحقق منهج النشاط – كما يرى أنصاره والمنادون بتطبيقه – عدداً من المزايا في العملية التعليمية – التعلمية ، أهمها :

1 – أن المنهج يحقق تعلُّماً وظيفياً ، حيث إنه يقوم على الحاجات الحقيقية للأطفال .
2 – أنه يحقق نمواً شاملاً للمتعلمين ، من خلال ممارسة أنشطة مختلفة .
3 – أنه يشبع لدى المتعلمين حاجات نفسية في أثناء ممارستهم للنشاط القائم على ميولهم.
4 – أنه يحقق للمتعلمين تكامل المعرفة ، فهم يستخدمون المعارف لحل مشكلاتهم الحقيقية .

لكن هناك معارضون لهذا المنهج يرون صعوبة الأخذ به ، ولهم وجهة نظرهم التي يعرضها المؤلف .

وينتهي الكتاب بالدخول إلى دائرة تطوير المناهج الدراسية ، في فصله العاشر والأخير ، معتبراً أن تطور التعليم عمل قومي يجب أن تشارك فيه جميع الهيئات والقنوات الشرعية والأفراد ، بحيث يعكس آمال الرأي العام وطموحاته ورغباته ، موضحاً أن قضية المناهج قضية خلافية متعددة الجوانب والفروع في نظرياتها ومفهومها وتفسيراتها وتطبيقاتها ودراساتها ، والخلاف فيها مستمر بين التربويين مُنظِّرين وممارسين ، وقد انعكس خلافهم على الأهداف والمحتويات والكتب المدرسية والسلوك التدريسي والأنشطة التربوية والوسائل التكنولوجية وأساليب التقويم .. وغيرها .

ثم يؤكد على وجود أزمة تعليمية شاملة تستدعي أن نسعى إلى تطوير وتحديث المناهج ، وتتمثل هذه الأزمة في :

- أن نصف عدد المدارس في مصر لا يصلح بكل المقاييس للحفاظ على الحد الأدنى للكرامة الإنسانية .
- أن المعلم تم إهماله طويلاً ، وأن المجتمع قد تظاهر بأنه يوفي المعلمين أجورهم ، وهم بدورهم تظاهروا أنهم يؤدون عملهم ، والتظاهر المتبادل حقق كارثة الدروس الخصوصية ، حيث فشلت المدرسة في أداء واجبها التعليمي والتربوي معاً .
- ركّزت المناهج الدراسية على حشو عقول الأطفال بكم متزايد من المعلومات ، وعليهم تلقينها وحفظها ، دون أي مشاركة منهم في البحث عنها ، ودون أي جهد في تنمية القدرات العقلية من فهم وتحليل وتفكير .
- انصرف مفهوم المنهج الحالي – بين مخططيه ومنفذيه ومقوميه – إلى أنه مجموعة من المقررات الدراسية ، التي تقدم للتلميذ في صف دراسي معين ، ومن ثم تم إهمال النشاط ، مما جعل المتعلم سلبياً غير مشارك .

ويقدم الدكتور حسن شحاتة في الصفحات الأخيرة أسئلة ورؤى واعتبارات لم تتم الإجابة عليها بصورة حاسمة في مجال التربية ، في عديد من البحوث تحتاج إلى مزيد من التأمل والتفكير – كما يرى – مثل ماذا نريد من الإنسان الذى ينهي التعليم ؟ وماذا نقدم له في هذه المراحل التعليمية ؟ هل الكتاب المدرسي أحد مصادر التعلم؟ هل البيئة كتاب

مفتوح ؟ هل ننوع في المناهج الدراسية التي تقدم للتلاميذ بحسب البيئات ؟ هل نأخذ بمفهوم التعلم بالخبرة والخروج إلى البيئة والابتعاد عن مقاعد الدراسة ، وزيارة معالم التاريخ المحلي ، والمصانع والمزارع والشركات والمؤسسات المجتمعية ؟ هل نقدم للمتعلمين المعرفة، أم ندربهم على وسائل الحصول على المعرفة ؟ وهكذا .. أسئلة كثيرة ، متعددة ومتشابكة . والأهم والضروري – الآن وعلى الدوام – أن نعمل على تطوير المناهج ، وجعلها عملية مستمرة تأخذ في الاعتبار :

1 – التوجهات العالمية المعاصرة في إعداد المناهج (رؤى وأفكاراً وخبرات عالمية) .

2 – مناقشة المشكلات الحالية التي تواجه المناهج (وقت وجيز هو زمن الحصة الدراسية، تكدس الكتاب المقرر بالمعلومات الدراسية ، كثافة عالية من التلاميذ تزدحم بها الفصول الدراسية) .

ويمكن طرح مجموعة من المناهج الجديدة والبدائل والخيارات ، التي تشكل المتعلم ليواجه القرن الحادي والعشرين ، مثل :

– المنهج الإنساني لتشكيل إنسان جديد (يقوم على أساس تشاركي وتفاعلي) .

– المنهج التكنولوجي لتحقيق نتائج مرغوبة (استخدام أساليب التكنولوجيا وتطويع الأجهزة في عرض وتخزين وتحليل المعلومات) .

– المنهج الأخلاقي لتحقيق التربية الأخلاقية (اكتساب التلاميذ عادات وسمات الشخصية المرغوب فيها).

– المنهج القومي لاستقرار التعليم (يُعنَى بالتنمية في المجالات الحيوية).

والهدف الضروري لحياتنا ومنطقتنا هو خلق ثقافة تربوية جديدة يتم بها تدعيم المنهج وفهمه من قبل المجتمع بشكل أفضل .

رسائل الماجستير

إعداد وتخليص

د. / زايد بن عجير الحارثي ✪

سنتناول في هذا العدد موضوعين تمت معالجتهما في رسائل ماجستير ، تم اختيارهما من دليل الرسائل في علم النفس ، الذي أعده د. زايد بن عجير الحارثي ، الصادر عن معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى – بمكة المكرمة ، الأولى تحت عنوان **دراسة للقدرات الابتكارية لدى طالبات الكلية المتوسطة بالطائف في علاقتها بالقيم ،** للباحثة **صفية عبد الحميد محمد تركستاني** (1410هـ – 1411هـ).

والثانية تحت عنوان **دراسة وصفية للعوامل التميزية المسئولة عن الجنوح المادي وغير المادي للأحداث ،** للباحث **خالد سليمان رشيد الهمزاني** (1411 هـ– 1991م).

وفيما يلي ملخص لهذه الرسائل :

الدراسة الأولى : للقدرات الابتكارية لدى طالبات الكلية المتوسطة بالطائف في علاقتها بالقيم:

أعدتها : الباحثة صفية عبد الحميد محمد تركستاني

أولاً : مشكلة الدراسة

دلت الدراسات على وجود نمط معين من الملامح النفسية يميز الأشخاص المبتكرين، بغض النظر عن أعمارهم وخلفياتهم الثقافية ومجال عملهم. ويبدو أن الأشخاص المبتكرين

✪ أستاذ مشارك علم النفس ، وكيل معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية .

متميزون باهتماماتهم ومواقفهم ودوافعهم أكثر من تميزهم بقدراتهم العقلية .

إن المبتكرين أكثر حرية في أن يكونوا هم أنفسهم ، وهذا التحرر ضرورة ابتكارية ، وكذلك هم يتمتعون بشخصيات أقوى من سواهم وبقدرة بناءة أعظم على معالجة المشكلات.

وترى الباحثة أن قوة شخصية المبتكر إنما تتركز فيما يؤمن به من قيم ومبادئ يمتصها من خلال تفاعله مع الجماعة ، فتصبح جزءاً من شخصيته، وتكتسب القيم العامة، وتؤمن بها من خلال التفاعل الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية التي تتم (بالأسرة – المدرسة – جماعة الأقران – وسائل الإعلام) ، ولكن غالباً ما تكون للمبتكرين قيمهم التي تختلف عن قيم غير المبتكرين .

وأوضحت الباحثة أن المشكلة التي تود دراستها هي تعرُّف نوعية القيم التي اكتسبتها الفتاة السعودية في حياتها والتي تدفعها للابتكار ..

وتتحدد مشكلة الدراسة في التساؤلين الرئيسيين التاليين :

1 – ما نوع العلاقة بين القدرات الابتكارية والقيم لدى طالبات الكلية المتوسطة بالطائف التي تشكل عينة الدراسة الحالية ؟

2 – ما أنواع القيم التي ترتبط بالقدرات الابتكارية أكثر من غيرها لدى نفس العينة ؟

ثانياً : هدف الدراسة

للدراسة هدفان، أحدهما نظري عملي، والآخر تطبيقي تربوي .

1 – الهدف النظري العلمي :

يتمثل في محاولة الباحثة معرفة طبيعة العلاقة بين القدرات الابتكارية والقيم لدى طالبات الكلية المتوسطة بالطائف وأي القيم ترتبط بالابتكار أكثر من غيرها .

2 – الهدف التطبيقي التربوي :

يتمثل في محاولة الاستفادة من النتائج في توجيه محتوى وأسلوب الدراسة في الكليات المتوسطة للطالبات، بما يشجع على تنمية قدراتهم الابتكارية في إطار قيم معينة يقبلها المجتمع .

ثالثاً : فروض الدراسة :

1 – توحيد علاقة ارتباطية موجبة بين الأداء على اختبار القيم كما يقيسه الاختبار المستخدم في الدراسة الحالية وبين الأداء على اختبار الابتكار كما يقيسه الاختبار المستخدم في الدراسة الحالية .

2 – يوجد ارتباط موجب بين الابتكار والقيم مع اختلاف في الدرجة من قيمة لأخرى .

رابعاً : أدوات الدراسة وعينة البحث :

أ – أدوات الدراسة :

1 – **اختبار التفكير الابتكاري** : إعداد تورانس ، ترجمه إلى العربية عبد الله محمود سليمان وفؤاد أبو حطب (1971م) قننه على البيئة السعودية محمد حمزة أمرخان (1408هـ) . **ويتكون الاختبار من صورتين :**

الصورة (أ) والصورة (ب) ، وكل صورة تتألف من نسختين ، نسخة مصورة ونسخة لفظية. وسوف تقتصر الباحثة في دراستها على الصورة (أ) والتي تقيس (العلاقة – المرونة – الأصالة – التفاصيل) .

ويتكون الاختبار من ثلاثة أنشطة :

1 – نشاط تكوين الصورة . Picture construction Activity

2 – نشاط الأشكال الناقصة .Incomplete Figures Activity

3 – نشاط الخطوط Lines

صدق الاختبار :

وقد تم حساب الصدق بطرق متعددة، منها : صدق التكوين الغرض (الاتساق الداخلي) .

تم حساب معاملات الارتباط بين الدرجات الفرعية لاختبار التفكير الابتكاري المصور (الطلاقة والمرونة والأصالة والتفاصيل) والدرجة الكلية للاختبار ، فتراوحت معاملات الارتباط ما بين (0,24 – 0,88) وكلها دالة إحصائياً .

ثبات الاختبار : وقد تم بطريقتين هما :

أ – **ثبات التصحيح** : وكانت قيم معامل الارتباط كالآتي :

الطلاقة (0,99)

المرونة (0,89)

الأصالة (0,90)

التفاصيل (0,92)

ب – **حساب الثبات بمعامل ألفا كرونباخ :** تم حساب معامل ألفا للبطارية المصورة فوجد (0,67).

2 – اختبار القيم ، إعداد عطية محمود هنا (1986م).

الأصل النظري للاختبار مستمد من كتاب ألفه سبرانجر Spranger وأطلق عليه (أنماط الرجال) وفيه تحدث عن أنماط ست من القيم، وهي القيمة النظرية – القيمة الاقتصادية – القيمة الجمالية – القيمة الاجتماعية – القيمة السياسية – القيمة الدينية .

ثم قام كل من (إلبورت وفيرتون ولنزي) بتصميم الاختبار الذي يتضمن (120) سؤالاً تتوزع بالتساوي على القيم الست المذكورة سابقاً .

وقام عطية محمود هنا (1986) بتعريب الاختبار وتعديل عباراته؛ لتكون ملاءمة للثقافة العربية، وقام بتقنينه على عينة من الطالبات عددهن (140) وعينة من الطلبة عددهم (116) وتراوحت معاملات ثبات الاختبار بالنسبة إلى الطالبات (0,47) و(0,75) وبالنسبة إلى الطلبة (0,39)، (0,73) .

وقام فتحي الزيات (1990م) بتقنين الاختبار على البيئة السعودية .

صدق الاختبار :

تشير الارتباطات البينية بين القيم الست التي يقيسها الاختبار إلى تحقيق شرط الاستقلال النسبي بينها ، فهي في معظمها غير دالة، عدا الارتباط بين القيمة الاجتماعية والقيمة الدينية ، مما يؤكد استقلال القيم المقيسة عن بعضها البعض .

كما ميز الاختبار بين المجموعات المضادة من التخصصات (الشريعة – العلوم – اللغة الإنجليزية) بفروق دالة إحصائياً ؛ حيث كانت على النحو التالي :

القيمة النظرية (4,52)

القيمة الاقتصادية (غير دالة)

القيمة الجمالية (3,1)

القيمة الاجتماعية (4,6)

القيمة السياسية (5,19)

القيمة الدينية (8,15)

وتتروح دلالاتها بين (0,5) و (0,01) .

أ – ثبات الاختبار :

وقد تم باستخدام طريقة الاتساق الداخلي لفقراته، وبلغ معامل ثبات ألفا (0,882) .

ومن ناحية أخرى، فقد تم إيجاد معامل الارتباط على النحو التالي :

(حيث ن = 300) .

القيمة النظرية (0,789) .

القيمة الاقتصادية (0,772).

القيمة الجمالية (0,768)

القيمة الاجتماعية (0,894)

القيمة السياسية (0,801)

القيمة الدينية (0,912)

وجميعها ارتباطات عالية ودالة .

ب – عينة الدراسة :

تتكون من طالبات الكلية المتوسطة بالطائف ممن ، تتراوح أعمارهن بين (18 – 37 سنة) بمتوسط حسابي قدره (22,485) وانحراف معياري قدره(3,966) وذلك في جميع التخصصات : الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم واللغة العربية والاجتماعيات والعلوم والرياضيات والاقتصاد المنزلي والتربية الفنية ورياض الأطفال ، ويبلغ عددهن (200 طالبة) والعينة شاملة لطالبات الكليات تقريباً .

ج – الأسلوب الإحصائي :

استخدمت الباحثة معامل بيرسون؛ لاستخلاص العلاقة بين كل من درجات القدرة على التفكير الابتكاري والقيم .

خامساً : نتائج الدراسة :

لم يتحقق في الدراسة صحة الغرض الأول والغرض الثاني. كذلك لم يتحقق في معظمه. وقد أرجعت الباحثة النتيجة السابقة إلى أن كلاً من القدرات الابتكارية والقيم تنتميان إلى تنظيم معين من تنظيمات الشخصية ؛ حيث تنتمي الأولى (القدرات الابتكارية) إلى التنظيم العقلي المعرفي، بينما تنتمي الثانية (القيم) إلى التنظيم الانفعالي ، بالإضافة إلى أن القيم لا تشكل إلا متغيراً واحداً فقط من بين متغيرات عديدة عقلية وانفعالية وبيئية تؤثر في نمو القدرات الابتكارية .

الدراسة الثانية : دراسة وصفية للعوامل التمييزية المسئولة عن الجنوح المادي وغير المادي للأحداث

أعدها الباحث : خالد سليمان رشيد الهمزاني

ملخص الدراسة

أولاً : مشكلة الدراسة

يعتقد الباحث أن التكيف هو سمة سلوكية ذات مشروعية قسرية يستمد نضجه عبر إيجابيات النمو البناء .. وكذلك التلازم الطبيعي بين النمو العضوي ومجالات متعددة يجريها بعد النمو السلوكي بشكل عام. ومن هذه المجالات مجالات النمو المعرفي والاجتماعي والوجداني والخلقي ونحوها .. وكل كائن إنساني يرقي رصيد نموه السلوكي العام كلما تقدم في العمر ، والإرشاد النفسي برغم شيوع خدماته لكافة مراحل النمو السلوكي بجميع مجالاته ، فإن فعالية ونظم دوره ترقى كلما استثمر في معالجة المشكلات وثيقة الصلة بأبكر مراحل النمو الجسماني ، وبالأخص مرحلة الطفولة والمراهقة .

كان محور مشكلة الدراسة يتمركز وبالتحديد حول تحري طبيعة واقع توزيع الجنح المرتكبة بواسطة الأحداث الجانحين حسب النوعية، ومدى علاقة الاتسام أو عدمه بخلفية السوابق على صعيدي الحدث الجانح ذاتاً وأسرته ومدى علاقة بعض العوامل الذاتية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية بتنوع الجنح المرتكبة .

صيغت تساؤلات الدراسة على النحو التالي :

س 1 : ما واقع توزيع أنواع الجنح الأكثر حدة في عرف الدراسة والمرتكبة بواسطة الأحداث الجانحين ؟

س 2 : ما علاقة الاتسام بخلفية السوابق من عدمه على الصعيدين الذاتي والأسري للأحداث الجانحين ؟

س 3 : ما مدى علاقة بعض العوامل الذاتية والاجتماعية والاقتصادية بنوعيات الجنح الأكثر حدة في عرف الدراسة والمرتكبة بواسطة الأحداث الجانحين؟

ثانياً : هدف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى إتمام وتنوير مكتسباتنا المعرفية ما أمكن ببعض متعلقات أحد الأبعاد المهمة في مجال السلوك الجانح، ألا وهو يعد (نوعية الجنحة) وبالتحديد واقع التوزيع للجنح الأكثر حدة فقط من منظور الدراسة، والمرتكبة بواسطة أفراد الدراسة من الأحداث الجانحين. والاهتمام النظري لهذه الدراسة لم يقف عند هذا الحد فحسب ، بل امتد إلى الرغبة في اكتساب المزيد من المعرفية النظرية ، ولكن إلى حد تحري مدى علاقة الخلفية السلوكية في ساحة الاتسام أو عدم الاتسام بسوابق تنسب إلى ذوات أو أسر أفراد الدراسة من الأحداث الجانحين .. أما الدلالة العلمية لهذه الدراسة ، فإنها في اعتقاد الباحث تتمثل في تحرير مدى الدور الإسهامي لمجتمع مصغر من العوامل الذاتية الاجتماعية والاقتصادية لأفراد الدراسة من الأحداث الجانحين، وتوزعهم للتورط في ارتكاب أنواع الجنح البالغة الحدة في عرف الدراسة ، وهذا بالتحديد يشكل محور الهدف التطبيقي الرئيسي للدراسة .

ثالثاً : فروض الدراسة :

تحددت فرضيات الدراسة منهجياً في ضوء الهدف النظري العام للدراسة ، والذي ارتكز محوره – بالتحديد – على التساؤلين الأولين من تساؤلات الدراسة الثلاث ، وقد أجملت فرضيات الدراسة في فرضيتين اثنتين خصتا بالتساؤلين الأولين في الدراسة وعلى الترتيب، وهما على النحو التالي :

1 – توجد فروق دالة بين واقع توزيع أنواع الجنح الأكثر حدة في عرف الدراسة والمرتكبة بواسطة الأحداث الجانحين .

2 – توجد علاقة دالة بين الاتسام وعدم الاتسام بخلفية السوابق على الصعيدين الذاتي والأسري للأحداث الجانحين .

رابعاً : أدوات الدراسة وعينة البحث :

أ – أدوات الدراسة :

إن بيانات الدراسة هي من نوع البيانات الميدانية. والأسلوب الغالب في جمع بيانات الدراسة هو الملاحظة غير المباشرة، وتجمع البيانات من ملفات أو سجلات أو بطاقات أو نحوها خاصة بأفراد الدراسة في مؤسسة الرعاية، والتي هي بالطبع دار الملاحظة الاجتماعية بجدة .

وقد أعد الباحث استمارة بيانات؛ لغرض الاستعانة بها في حصر وجمع البيانات المنشودة؛ للإجابة عن تساؤلات الدراسة . ويمكن جمع البيانات الناقصة عن طريق :

الحدث نفسه – دار الملاحظة الاجتماعية – أسرة الحدث – أي جهة رسمية أخرى .

ولقد عانت هذه الدراسة من جراء المخالفة القصرية لأصول البحث العلمي الرصين بخصوص أداة البحث؛ لعدم وجود أداة بحث معيارية في حقل الإرشاد النفسي ، وفي مجال الجنوح على وجه الخصوص. ومن العقبات أيضاً أن الدراسة مشبعة بالعوامل اللاكمية إلا ما ندر، وهو أمر يتعذر معه الاستفادة المثلى من عوائد الأساليب الإحصائية الأكثر تطوراً؛ نظراً لانعدام الأهلية الافتراضية لاستخدامها في تحليل معطيات الدراسة من البيانات الخام المجمعة. وقد استطاع الباحث التعامل مع بعض العوامل وإسقاط البعض الآخر .

وتشتمل استمارة تجميع المعلومات على العوامل الآتية :

أ – العوامل الذاتية : الجنسية – ترتيب البلاد – العمر الزمني – المستوى التعليمي .

ب – العوامل الاجتماعية :

1 – عامل الوضع الاجتماعي الأسري، ويشمل : القربى بين الوالدين – الزوجات في عصمة الأب – عدد الأخوة.

2 – عامل الرعاية الاجتماعية وتشتمل على :

(أ) الرعاية الاجتماعية الأسرية الطبيعية :

1 – في كنف والدين تربطهما عشرة مثالية .

2 – في كنف والدين تربطهما عشرة مرممة .

3 – في كنف أحد الوالدين، بعد وفاة الآخر .

4 – في كنف أحد الوالدين، ولكن تزوج بعد وفاة الآخر .

5 – في كنف أحد الوالدين بعد انفصالهما وهما على قيد الحياة .

ب – الرعاية الاجتماعية الخارجية :

6 – رعاية اجتماعية خارجية لوفاة أحد الوالدين أو كليهما .

7 – رعاية اجتماعية خارجية لانفصال والدين لا يزالان حيين .

8 – رعاية اجتماعية خارجية لتمرد الحالة (الحدث الجانح) رغم دوام العشرة بين والدين حيين .

9 – رعاية اجتماعية خارجية نتيجة تصدع الأسرة رغم دوام العشرة بين والدين حيين .

ج – العوامل الاقتصادية :

الدخل السنوي – الحالة التعليمية والحالة المهنية للوالدين – مواصفات السكن – غرباء السكنى .

ب – عينة البحث :

تكونت عينة الدراسة من كافة نزلاء دار الملاحظة الاجتماعية بالمنطقة الغربية من

الأحداث الجانحين المتورطين في الجنح الآتية (قتل – مخدرات – فاحشة – سرقة) وقد استبعد من ارتكب جنحاً أخرى ، وكذلك خمس جنح لم تكن موافقة للدراسة، رغم أنها من الجنح السابقة، وكان عدد العينة ثمانين حدثاً جانحاً .

ج – الأساليب الإحصائية :

1 – لاختبار فرضية الدراسة الأولى استخدم الباحث اختبار بيرسون كاي تربيع لأفضل مطابقة .

2 – لاختبار فرضية الدراسة الثانية استخدم اختبار بيرسون كاي تربيع للاستقلالية.

3 – للإجابة عن تساؤل الدراسة الثالث والأخير استخدم التحليل الإحصائي المتعلق بالارتباط المتعدد .

خامساً : نتائج الدراسة

1 – وجود تباين دال بين واقع توزيع أنماط الجنح المرتبة بواسطة الأحداث الجانحين .

2 – مثول تفاعل دال بين مستويات احتراف السوابق وموقع الفرد في أسر الأحداث الجانحين .

3 – الأبعاد الذاتية والاجتماعية والاقتصادية في محيط الأحداث الجانحين على وجه الخصوص تضم عوامل ذات دور إسهامي فعال في تمييز وتصنيف عضوية المجموعات المتفرعة عن مجتمعها الأصلي ، وهي على وجه التحديد (العمر الزمني – المستوى التعليمي – عامل الرعاية الاجتماعية – العامل الاقتصادي)..

ندوات ومؤتمرات

تقرير عن المشاركة في اجتماعات الدورة التاسعة للجنة الفنية
الاستشارية للطفولة العربية ، دمشق 22 - 25 إبريل 2002

أ. محمد عبده الزغير

تقرير حول "ندوة تشغيل الأطفال في البلدان العربية
"بين إكراهات ورهانات العولمة"

أ. غادة موسى

تقرير عن المشاركة في اجتماعات الدورة التاسعة للجنة الفنية الاستشارية للطفولة العربية
دمشق 22- 25 إبريل 2002

محمد عبده الزغير ✿

في إطار دعوة إدارة الطفولة بجامعة الدول العربية للمشاركة في اجتماعات الدورة التاسعة للجنة الفنية الاستشارية للطفولة العربية، شارك المجلس العربي للطفولة والتنمية في أعمال الدورة ، وذلك خلال الفترة من 22- 25 إبريل بدمشق ، حيث تمت مناقشة أوضاع الطفولة العربية والاستعدادات العربية لانعقاد الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، وإعداد خطة عربية للعشرية القادمة .

شارك في الدورة ممثلون من الجهات المسئولة عن الطفولة في الدول العربية ، من سبع عشرة دولة، هي : الأردن ، البحرين ، تونس ، الجزائر ، السودان ، السعودية، سوريا ، عمان ، العراق ، فلسطين ، قطر ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، مصر ، المغرب، واليمن. كما شارك في المؤتمر عدد من المنظمات العربية والإقليمية والدولية .

ركزت الدورة على مناقشة الموضوعات الأساسية التالية :

- تقرير حول نشاط إدارة الطفولة بين الدورتين الثامنة والتاسعة .
- تنسيق الموقف العربي خلال المشاركة في الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة المعنية بالطفل (مايو 2002) .
- مشروع خطة العمل التوجيهية للطفولة .

✿ منسق وحدة تنمية الطفولة بالمجلس العربي للطفولة والتنمية .

- إجراءات الإعداد للمؤتمر العربي الثالث رفيع المستوى (تونس 2002) .
- إجراءات الإعداد للاحتفال بيوم الطفل العربي .
- ما استجد من أعمال ، واشتمل على مناقشة مذكرات عرض لفعاليات وأنشطة متعددة .

شارك وفد المجلس في حضور الفعاليات ، وقدم المجلس إلى الدورة ورقة عمل توضح وجهة نظره بشأن موضوعات الدورة ، والأدوار التي سيقوم بها لتحقيقها ، كما قدم التصور الخاص بتنسيق جهود المنظمات غير الحكومية المشاركة في قمة نيويورك ، وطالب من ممثلي الدول العربية التعاون في تنسيق الجهود مع منظمات المجتمع المدني .

واختتمت الدورة اجتماعاتها بالتوصيات التالية :

أولاً :

دعوة الأمين العام لجامعة الدول العربية لوضع موضوع الطفولة العربية على جدول أعمال مؤتمرات القمة الدورية ، من حيث إن موضوعات الطفولة جديرة بأن تنال الاهتمام في مؤتمرات القمة؛ لأنها تعني الاهتمام بنصف القاعدة السكانية للوطن العربي، وتعكس اهتمام القادة العرب بمستقبل الأمة ، وأن يعرض على القادة والزعماء العرب التقرير السنوي عن الأداء والإنجاز العربي في مجال الطفولة، بما يتضمنه من أنشطة وفعاليات هامة يتم تنفيذها في الدول العربية أو في الأمانة العامة للجامعة ، وأن تشارك إدارة الطفولة في مؤتمرات القمة وفي لجان وضع التقرير الختامي والقرارات، بما يحقق الدقة في صياغة المتعلق منها في مجال الطفولة .

ثانياً :

1- أن تعمل إدارة الطفولة على متابعة تنفيذ قراري قمة بيروت في الإعداد والتحضير للمؤتمر العربي رفيع المستوى الثالث المقرر عقده في تونس، بالتعاون مع الجهات المعنية بالحكومة التونسية ، والمشاركة في التحضير لعقد المؤتمر الدولي الذي تنظمه الأمانة العامة للجامعة حول " توفير الحماية الدولية لأطفال فلسطين " ، وأن تعد تقريرها حول فعاليات ونتائج المؤتمرين؛ للعرض على اللجنة في دورتها المقبلة .
2- إعداد تقرير حول المشاركة العربية في الدورة الخاصة المعنية بالطفل للجمعية العامة للأمم المتحدة.

3- مواصلة إصدار الوثيقة الخاصة بتقارير الدول الأعضاء التي تقدمت بها إلى اللجنة الدولية لحقوق الطفل ، وملاحظات اللجنة عليها .

4- إصدار التقرير العربي حول مؤشرات الأداء والإنجاز في مجال الطفولة للعقد من 1990- 2001 ، وأن تعمل الأمانة الفنية للجنة على موافاة الدول الأعضاء بمعايير إرشادية للتقارير السنوية التي يتعين على الدول الأعضاء تقديمها في الأمانة الفنية، بما يمكنها من وضع التقرير العربي، وعرضه على الاجتماع الدوري للجنة .

5- إصدار مجلد بالمشروعات الناجحة والمبادرات الرائدة في مجال الطفولة التي تنفذها الدول الأعضاء، من خلال أجهزتها الحكومية أو غير الحكومية .

6- دعوة الدول الأعضاء إلى موافاة إدارة الطفولة ببيانات حديثة ومستكملة عن هياكل وأنظمة عمل وبرامج وأنشطة المجالس أو اللجان أو الهيئات المعنية بالطفولة فيها، وما تصدره من دراسات ووثائق، وما تنفذه من مشروعات رائدة، وذلك في موعد أقصاه نهاية شهر يوليو 2002 ؛ حتى يتسنى تضمين هذه البيانات والمعلومات في المجلد الدوري الذي تصدره إدارة الطفولة حول هذه الأجهزة .

7- وضع سجل يضم الخبراء المتخصصين في مجالات العمل المختلفة المتعلقة بالطفولة، يشمل معلومات وبيانات عنهم وعن سيرهم الذاتية ، وذلك سواء من المجال الأكاديمي، أو ذوي الخبرة العملية في المجتمع المحلي، أو على المستوى القومي العربي، أو بالمنظمات الدولية .

8- التأكيد على توصية اللجنة في دوراتها السابقة الخاصة بدعوة الدول الأعضاء إلى العمل على إجراء حصر للجمعيات الأهلية العاملة في مجال الطفولة والأمومة، بما يسهم في تعرُّف أنشطتها والتنسيق فيما بينها وبين الأجهزة الحكومية ، والعمل على تأسيس اتحاد وطني " نوعي " لهذا المجال ، بما يمكن من تأسيس اتحاد عربي للجمعيات الأهلية المعنية بالطفولة .

9- التأكيد على توصية اللجنة في دورتها السابعة التي تنص على تحديث موسوعة كتاب الأطفال في الوطن العربي كل سنتين ، على أن يكون الإصدار التالي (عام 2004) موسوعة تضم كتاب ورسامي كتب الأطفال ومؤسسات الرسوم المتحركة في الوطن العربي.

10- موافاة الدول الأعضاء بنسخ من كتاب "تنمية التفكير العلمي والإبداعي لدى الطفل العربي" والمواصفات والمعايير العربية لتصنيع واستيراد لعب الأطفال، وذلك فور إصدارها .

11- العمل على إصدار ببلوجرافيا كتب الأطفال في الوطن العربي ، وعرضها على اللجنة في دورتها المقبلة .

12- تحديث كتيب " أين حقوق الطفل الفلسطيني ؟" للتعريف بقدر معاناة أطفال فلسطين خلال الاجتياح الإسرائيلي الأخير ، والدمار الذي أحدثه، منتهكاً بذلك كل حقوق الأطفال وأسرهم، وذلك بأحدث البيانات والصور .

13- تطوير الدليل التشريعي النموذجي لحقوق الطفل العربي كل خمس سنوات ، بما يواكب المتغيرات والمستجدات الإقليمية والعالمية .

ثالثاً :

- دعوة الدول الأعضاء إلى العمل على تنفيذ ما جاء بقرارات مؤتمري القمة (قمة عمان / مارس 2001) ، (قمة بيروت / مارس 2002) والتوصية رقم (2) الصادرة عن دورتها الثامنة (يونيه 2001) في شأن المشاركة العربية الفعالة في أعمال الدورة الخاصة المعنية بالطفل، للجمعية العامة للأمم المتحدة، المقرر عقدها في نيويورك من 8 – 10 مايو 2002 ، وأن تكون مشاركة الدول الأعضاء بأعلى مستوى ، وأن تضم وفودها ممثلين عن المجتمع المدني واليافعين ، مع الالتزام بالبيان الخاص بالموقف العربي الموحد إزاء مشروع الوثيقة الختامية لهذه الدورة الخاصة ، الصادر عن المؤتمر العربي الثاني رفيع المستوى لحقوق الطفل (القاهرة / يوليو 2001) .

رابعاً :

- أن تكون خطة العمل التوجيهية للطفولة خطة عشرية ، على أن تشمل أهدافاً لمنتصف العقد .
- دعوة الدول الأعضاء والأجهزة والمنظمات ذات العلاقة؛ لموافاة إدارة الطفولة بالجامعة بملاحظاتها حول مشروع خطة العمل العربية التوجيهية في مجال الطفولة ، وكذلك

موافاتها بالبرامج العملية والمشروعات والمبادرات الرائدة – المنفذة أو المقترحة – من قبل الأجهزة المعنية الحكومية وغير الحكومية ، وذلك في موعد أقصاه نهاية شهر يوليه 2002 ؛ حتى تتمكن إدارة الطفولة من وضع الصيغة النهائية لمشروع الخطة ، والوثيقة الملحقة المتضمنة تلك البرامج والمشروعات الرائدة ، والبرنامج التدريبي لرفع كفاءة القوى البشرية المؤهلة للعمل في هذه البرامج؛ وذلك تمهيداً لرفع الخطة والوثيقة إلى المؤتمر العربي الثالث رفيع المستوى المقرر عقده في تونس .

خامساً : بشأن إجراءات الإعداد للمؤتمر العربي الثالث رفيع المستوى لحقوق الطفل

توصي اللجنة بما يلي :

- استكمال التواصل والتعاون والتنسيق بين الأمانة العامة للجامعة والحكومة التونسية والمكتب الإقليمي لليونسيف، في سبيل التنظيم الجيد لعقد المؤتمر العربي الثالث رفيع المستوى في تونس، في الموعد الذي تحدده الحكومة التونسية ؛ وذلك لاعتماد خطة العمل التوجيهية (العشرية)؛ كي تسترشد بها الدول الأعضاء في وضع خططها الوطنية

سادساً : بشأن إجراءات الإعداد للاحتفال بيوم الطفل العربي لعام 2002 م ،

توصي اللجنة بما يلي :

1- دعوة الأعضاء والأمانة العامة لجامعة الدول العربية (إدارة الطفولة) إلى الاحتفال بيوم الطفل العربي في الأول من أكتوبر 2002 ؛ تخليداً لذكرى الشهيد محمد الدرة، تحت شعار" حق الطفل في الحماية والحياة الكريمة الآمنة ".

وأن يتم تكريم وفد أطفال فلسطين في احتفال الجامعة، وتسليمهم " درع البطولة من أجل الوطن "، وتكريم جميع النخبة المتميزة المشاركة في الاحتفال، بتسليمهم ميدالية بيت العرب للتفوق والإبداع .

2- أن تعمل الأمانة العامة للجامعة على توفير هذه الدروع والميداليات ، وموافاة الدول الأعضاء ببرنامج الاحتفال ، ومكان انعقاده قبل وقت مناسب من الاحتفال ، وأن تعد كتيباً مصوراً يضم فعاليات ؛ لتعميمه على الدول الأعضاء، وعرضه على اللجنة في دورتها القادمة.

سابعاً : بشأن اللجنة الفنية لصحة الطفل، توصي اللجنة بما يلي :

- أن تعمل إدارة الطفولة على المشاركة في أعمال هذه اللجنة والاستفادة من توصياتها في وضع البرامج العملية في مجال صحة الطفل (حتى سن خمس سنوات) وفي الاكتشاف المبكر للإعاقة ، وورش العمل التدريبية؛ لرفع كفاءة العاملين في هذا المجال ، وأن تتعاون في هذا مع المسئولين عن صحة الطفل في المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية واليونسيف .

ثامناً : بشأن ندوة " الدور التكاملي للصحة المدرسية وأهميتها في حماية النشء العربي " 23- 25 مارس 2002 ، طرابلس - ليبيا ، توصي اللجنة بما يلي :

1- أن تعمل إدارة الطفولة على الاستفادة من التوصيات الصادر عن ندوة " الدور التكاملي للصحة المدرسية وأهميتها في حماية النشء العربي " ، عند وضع البرامج العملية في مجال صحة الأطفال واليافعين : جسمياً ونفسياً ، واجتماعياً ، خلال مراحل التعليم الدراسي، وحتى نهاية التعليم الثانوي ، في إطار " برنامج الصحة المدرسية " .

2- عقد ورشة عمل تدريبية للقيادات المسئولة عن برامج الصحة المدرسة في الدول الأعضاء، بالتعاون مع المنظمة العربية للصحة والبيئة المدرسية واللجنة العليا للطفولة بطرابلس .

3- دعوة الدول الأعضاء لوضع نظام التأمين الصحي الشامل لكافة الأطفال ، بما فيهم الأطفال الذين في المدارس وخارجها وفي مؤسسات الرعاية والورش وذوي الاحتياجات الخاصة ومراكز التكوين المهني .

تاسعاً : بشأن مؤتمر عمالة الأطفال - الرباط 16- 18 إبريل 2002، توصي اللجنة بما يلي :

1- توجيه الشكر إلى المدير العام لمنظمة العمل العربية على تعاونه الفعال مع إدارة الطفولة بجامعة الدول العربية، والتطلع من سيادته إلى مزيد من التعاون الذي يمكنها من وضع برامج العمل الفعلية؛ لمواجهة ظاهرة عمالة الأطفال في الوطن العربي ، وورش العمل التدريبية للكوادر العاملة في هذا المجال .

2- دعوة الدول الأعضاء لاتخاذ الإجراءات اللازمة المناسبة للتصديق على اتفاقية العمل العربية رقم (18) بشأن عمل الأحداث لعام 1996 .

عاشراً : بشأن تحديد موعد ومكان وعقد الندوة العلمية حول " الرعاية المتكاملة للطفولة المبكرة " ، توصي اللجنة بما يلي :

- تكليف إدارة الطفولة لعقد الندوة العلمية حول موضوع " الرعاية المتكاملة للطفولة المبكرة " بوصفه إحدى الأولويات المطروحة، وذلك في سبتمبر عام 2002 ، بالتعاون مع المجلس الوطني لشئون الأسرة في عمان . على أن تتضمن فعاليات الندوة عرضاً للبرامج العملية والمشروعات الرائدة في مجال الطفولة المبكرة ، واقتراح ورش عمل تدريبية، بما يسهم في إعداد الكوادر البشرية المتخصصة في هذا المجال .

حادي عشر : بشأن عقد ندوة علمية حول " الرعاية المتكاملة لليافعين "، توصي اللجنة بما يلي :

- تكليف إدارة الطفولة لعقد ندوة علمية حول " الرعاية المتكاملة لليافعين في مرحلة المراهقة"، على أن تتضمن فعاليتها البرامج العملية والمشروعات الرائدة في هذا المجال وورش العمل التدريبية، بما يسهم في إعداد الكوادر البشرية المتخصصة في الدول الأعضاء .

ثاني عشر : بشأن المشاركة في مؤتمر " الأطفال والمدينة "، توصي اللجنة بما يلي :

1- دعوة الأعضاء إلى المشاركة في أعمال مؤتمر " الأطفال والمدينة "، الذي يدعو إليه وينظمه المعهد العربي لإنماء المدن في الفترة 9- 11 ديسمبر 2002 بعمان .

2- الطلب من المعهد العربي لإنماء المدن تأجيل آخر موعد لتلقي استمارات المشاركة في مؤتمر الأطفال والمدينة - الذي ينظمه المعهد - إلى آخر مايو 2002 ؛ كي يتمكن أعضاء اللجنة من المشاركة في أعمال هذا المؤتمر .

3- مشاركة إدارة الطفولة في أعمال هذا المؤتمر بورقة عمل في المحور الرابع ، الخاص بالتجارب وتوجهات المستقبل، وذلك من خلال ما تضمنه الإطار العامل لخطة العمل التوجيهية ، من أطروحات تتعلق بحقوق أطفال الأسر الفقيرة في المناطق العشوائية بأحزمة المدن .

4- تسترشد إدارة الطفولة بما يتوصل إليه هذا المؤتمر في وضع البرامج العملية

لمواجهة مشكلات الأطفال واليافعين في المناطق الأكثر ضرراً، التي لا تصلها الخدمات العامة بالطرق التقليدية ، وفي اقتراح ورش العمل التدريبية لتدريب الكوادر المتخصصة، وتأهيلها للعمل في هذه البرامج .

ثالث عشر : بشأن بينالي القاهرة الدولي الثاني لفنون الطفل العربي ، توصي اللجنة بما يلي :

- دعوة الأجهزة المعنية بالدول الأعضاء إلى تعميم دعوة " بينالي القاهرة الدولي الثاني لفنون الطفل العربي " على الجهات المعنية في دولهم من الأجهزة الحكومية وغير الحكومية ذات العلاقة بإبداعات الطفل في مجال الفنون، بما يحقق مشاركة جيدة من الأطفال العرب في مسابقة البينالي، التي تستهدف تنمية إبداعات الطفل في مجال الفنون التشكيلية .

رابع عشر : بشأن موعد ومكان انعقاد الدورة العاشرة للجنة الفنية الاستشارية للطفولة العربية، توصي اللجنة بما يلي :

- عقد الدورة " العاشرة " للجنة في شهر إبريل عام 2003 بالعاصمة الجزائرية .

تقرير حول ندوة تشغيل الأطفال في البلدان العربية بين إكراهات ورهانات العولمة

أ. غادة موسى ✪

قامت منظمة العمل العربية ، بالتعاون مع الوزارة المكلفة بأوضاع المرأة ورعاية الأسرة والطفولة وإدماج المعاقين ، ووزارة التشغيل والتكوين المهني والتنمية الاجتماعية والتضامن بالمملكة المغربية، وبمشاركة الجمعية المغربية لمساعدة الطفل والأسرة؛ بتنظيم لقاء قومي أختير له موضوع تشغيل الأطفال في البلدان العربية .. بين إكراهات الواقع ورهانات العولمة ، وذلك في الدار البيضاء – المملكة المغربية ، في الفترة من 16 – 2002/4/18 .

أهداف الندوة ، تمحورت حول الآتي :

- دراسة ظاهرة عمل الأطفال في البلدان العربية .
- رفع الوعي لدى المعنيين بشئون الأطفال بالنتائج المترتبة على دخول الأطفال سوق العمل في مراحل عمرية مبكرة .
- تعرُّف الآثار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الناجمة عن هذه الظاهرة .
- تحديد المخاطر المهنية التي قد يتعرض لها الأطفال، والتي قد تعوق نموهم وتطورهم الطبيعي (البدني والعقلي والنفسي) .
- تعرُّف التدابير المتخذة عربياً ودولياً بشأن عمالة الأطفال .

✪ اختصاصي أول مشاريع ، المجلس العربي للطفولة والتنمية .

- تبادل الخبرات والتجارب الناجحة في مجال الحد من أو القضاء على ظاهرة عمل الأطفال في عدد من الدول العربية .

محاور عمل الندوة :

ولتحقيق الأهداف السابقة؛ تمت مناقشة موضوع الندوة وفق المحاور التالية :

المحــور الأول : ظاهرة عمل الأطفال في البلدان العربية ، خلفية وأبعاد المشكلة .

المحور الثانـي : الآثار الاجتماعية لظاهرة عمل الأطفال في البلدان العربية .

المحور الثالث : المخاطر المهنية التي قد يتعرض لها الأطفال في سوق العمل وكيفية الحد منها .

المحور الرابــع : التدابير الدولية لتنظيم عمل الأطفال .

المحور الخامس : الطفل العامل وطفل الشارع ، محاولة اقتراب إعلامي وشبه خبرة .

المحور السادس : عرض لتجارب ناجحة في مجال الحد من انتشار ظاهرة عمل الأطفال .

في بداية فعاليات الندوة تمت الإشارة إلى الملاحظات التالية :

- انتشار ظاهرة تشغيل الأطفال في العالم بشكل يدعو إلى القلق . وإن كانت أسبابها ودواعيها تختلف من مجتمع لآخر ، إلا أن الملاحظ – حسب الإحصائيات الصادرة عن المنظمات الدولية والعربية المهتمة بالموضوع – أن عدد الأطفال العاملين في ازدياد؛ نتيجة ازدياد المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في الدول النامية والآخذة في طريق النمو ، وأن نسبة تشغيل الأطفال في هذه البلدان تشكل نسبة عالية تصل إلى 90٪ من مجموع الأطفال العاملين في العالم .
- رغم صدور عديد من الاتفاقيات والتشريعات العربية والدولية التي تتناول موضوع عمل الأطفال ، سواء بالتحريم أو التنظيم، فإن الواقع العملي يشير إلى استمرار تزايد معدلات مشاركة الأطفال في الأنشطة المهنية المختلفة .
- الانطلاق في العمل من المعطيات والتحديات التي فرضتها المستجدات العالمية التي جعلت من العالم قرية صغيرة، وفتحت، وحررت السوق الدولية ، وما ترتب على ذلك من خصخصة عديد من القطاعات، وفرضت نوعاً من المنافسة في ظل ظروف وشروط غير

متكافئة بين بلدان الشمال والجنوب ، كما فرضت أنواعاً من التكتلات وأنماطاً من الشراكة؛ لمواجهة عديد من المشاكل؛ بقصد التغلب عليها .

- ضرورة تدارس ما يتعرض له الشعب الفلسطيني وأطفاله على وجه الخصوص من اغتيال وتدمير ، وما سببته الهجمة الإرهابية الصهيونية الأخيرة من قتل لمئات الأطفال، وما أحدثته من إعاقات بدنية ونفسية عند الآلاف منهم ، وتدميرها للمدارس وتحويلها إلى مراكز اعتقال وتعذيب، وتركها لمئات الآلاف منهم دون مأوى أو عائل؛ بسبب هدم منازلهم واغتيال آبائهم وأمهاتهم ، الأمر الذي يعني أن الحق الأساسي الأول للأطفال الفلسطينيين – الذي هو الحق في الحياة – لم يعد متاحاً لهم .

وعليه ، قام المشاركون في أعمال الندوة بتحية بطولات الشعب الفلسطيني وصموده في وجه الآلة الإرهابية الصهيونية ، مع التأكيد على وجوب العمل السريع والفاعل؛ للمطالبة بانسحاب الجيش الإسرائيلي وإعادة إعمار ما خربه الصهاينة ، وتوفير حماية دولية للشعب الفلسطيني ، ودعم نضاله؛ للحصول على حقوقه الوطنية المشروعة في العودة وتقرير المصير ، وبدون ذلك لا يمكن الحديث عن براءة الطفولة وحقوق الأطفال .

- مشكلة عمل الأطفال هي من أهم قضايا حقوق الإنسان التي لا تحظى – للأسف الشديد – بما تستحقه من اهتمام ، رغم أن كافة الاتفاقيات العربية والدولية حرصت على تقرير اعتراف الدول الأطراف بحق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ، مشيراً إلى الظروف الصعبة التي تعاني منها الشعوب العربية في فلسطين والعراق والصومال ، مع التأكيد على أن هذه الظروف هي سبب رئيسي في توجه الأطفال للعمل في أسوأ أشكاله .

- ما يعانيه الأطفال من جراء عملهم السلبي غالباً ما يكون في ظل شروط وظروف عمل قاسية ، وفي أوضاع شبيهة بالرق والعبودية والأعمال ذات الانحراف السلوكي ، حيث تشير الإحصائيات إلى وجود حوالي 20 مليون طفل في العالم يعيشون ظروفاً شبيهة بالعبودية .

- أهمية وضع استراتيجية عربية موحدة تلتزم بها كل الأقطار العربية ، يتم وضعها في إطار السياق الاجتماعي والاقتصادي العام للمجتمع؛ وذلك للحد من أسوأ أشكال عمل

الأطفال، كخطوة أولى للوصول إلى الهدف المنشود ، ألا وهو القضاء على ظاهرة عمالة الأطفال .

التوصيات :

صدرت عن الندوة عدة توصيات موجهة إلى عدة جهات ، وهي :

1 – **الدول العربية** : حيث دعت الندوة الدول العربية للعمل على ما يلي :

- التصديق على الاتفاقية العربية رقم (18) للعام 1996 بشأن عمل الأحداث .
- تطوير التشريعات الوطنية المنظمة لقضايا عمل الأطفال ، بحيث تشمل الفئات المستثناة، بما فيها العاملون في القطاع الزراعي والقطاع غير المنظم .
- تطوير الجهاز الرقابي الخاص بتفتيش العمل، ودعمه شرعياً ومادياً، وتوفير كافة المستلزمات اللازمة التي تمكنه من مراقبة تطبيق التشريعات الوطنية الهادفة إلى مكافحة عمالة الأطفال .
- إيجاد صيغة مناسبة لتوفير التغطية التأمينية اللازمة بكافة مجالاتها، وبخاصة الصحية منها .
- وضع نظام إحصائي خاص برصد عمالة الأطفال؛ للوقوف على الحجم الحقيقي لهذه الظاهرة والأسباب المؤدية لانتشارها؛ من أجل وضع الحلول للقضاء عليها .
- وضع استراتيجية إعلامية وطنية تهدف إلى نشر الوعي العام بالجوانب المتعلقة بعمالة الأطفال ، وتحديد دور كافة الجهات ذات العلاقة في التصدي لهذه الظاهرة .
- تشجيع البحوث والدراسات المتعلقة برصد عمالة الأطفال .
- تشجيع قيام الجمعيات الأهلية ذات الاهتمام برعاية الطفولة ودعمها مادياً ومعنوياً؛ للمساهمة في نشر الوعي والسعي للحد من عمالة الأطفال ودعوتها للتعاون والتنسيق فيما بينها في هذا المجال .

2 – **منظمات أصحاب الأعمال ، من خلال الآتي :**

- المساهمة الفعالة في الجهود الوطنية الهادفة إلى القضاء على عمالة الأطفال، وذلك من خلال نشر الوعي وتسليط الضوء على الأبعاد السلبية لظاهرة عمل الأطفال، بما في ذلك البعد الاقتصادي .

- حث أصحاب الأعمال على توفير وسائل الحماية والرعاية اللازمة للأطفال العاملين، وتوفير شروط وظروف عمل آمنة لهم ، وبما يتوافق والتشريعات والمعايير العربية والدولية .

3 – منظمة العمل العربية ، وهي مدعوة لعمل الآتي :

- الاستمرار في تقديم الدعم الفني لأطراف الإنتاج الثلاثة في الدول العربية في مجال مكافحة عمالة الأطفال، من خلال زيادة الأنشطة المنفذة في هذا المجال .
- المساعدة في وضع الأدلة الاسترشادية اللازمة، التي تساعد الجهات ذات الاختصاص لاستكمال إصدار التشريعات اللازمة في مجال تحديد الأنشطة المهنية في المجالات التي يحظر تشغيل الأطفال فيها ، وتحديد الحد الأدنى لسن العمل ، وأوقات العمل، والمعايير الصحية الخاصة بالفحوص الطبية المبدئية والدورية للأطفال .

4 – الجهات الرسمية وغير الرسمية المختلفة ، للقيام بالآتي :

- التأكيد على أهمية التعليم وضرورة رفع سنوات التعليم الإلزامي؛ ليتوافق مع السن المسموح بها .
- التأكيد على أهمية إيجاد آلية مناسبة؛ لمعالجة أوضاع الأطفال الذين تسربوا من مقاعد الدراسة في جميع مراحل التعليم ، وبصفة خاصة المرحلتان الابتدائية والمتوسطة .
- التأكيد على أهمية توفير خدمات الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية للأطفال في أماكن العمل .
- توفير متطلبات الصحة والسلامة اللازمة لحماية الأطفال من التأثيرات الضارة لمختلف العوامل المؤثرة في بيئة العمل والبيئة العامة .



- تجربة المرصد الوطني لحقوق الطفل في المملكة المغربية

المرصد الوطني لحقوق الطفل

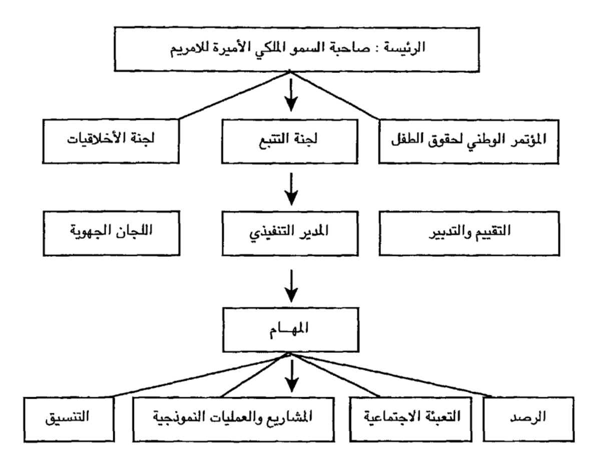
تجـربة المرصـد الوطني لحـقـوق الطفـل فـي المملكـة المغـربيـة

تأسس المرصد الوطني .. بناء على قرار المرحوم جلالة الملك الحسن الثاني في العام 1995 ؛ للارتقاء بالمؤتمر الوطني لحقوق الطفل إلى مرصد وطني لحقوق الطفل ، بصفته مؤسسة وطنية ، وأسند رئاسته لكريمته الأميرة للامريم .

كما أسندت إلى المرصد مهمة تتبع إعمال مقتضيات الاتفاقية الدولية على صعيد مكونات المجتمع المغربي . وبفضل الجهود الدءوبة والمبادرات المبدعة لفائدة الطفولة ، أضحى المرصد الوطني لحقوق الطفل ركيزة أساسية لا غنى عنها في مجال تنمية ثقافة حقيقية لحقوق الطفل .

أصبح دور المرصد الوطني لحقوق الطفل ، باعتباره مؤسسة غير حكومية ، غير مقتصر فقط في طرح ومعالجة قضايا الطفل وإعمال حقوقه ، وإنما أيضاً في إطلاق مبادرات متوازنة تبنى على التشاور والتنسيق بين مختلف الشركاء .

الهيكل التنظيمي للمرصد :



مهام المرصد الوطني لحقوق الطفل :

- التحليل المستمر لوضعية الطفل في مجال الحماية والتنمية ، وتقييم نجاعة العمليات المنجزة في المجالات المرتبطة برفاه الطفل ؛ وذلك بقصد ضبط ووضع حلول للتحديات المحتملة والمتوقعة .
- الإخبار والتحسيس وتقديم المشورة لفائدة مختلف الهيئات والفعاليات المعنية بحماية الطفل وتنمية حقوقه ، على المستوى الوطني والإقليمي .
- إنجاز عمليات نموذجية تتعلق بحقوق الطفل في مجالات الصحة والتربية والحماية القانونية والترفيه والثقافة ... إلخ..
- تنسيق المبادرات القطاعية التي ينجزها الشركاء الوطنيون والدوليون في مجال حماية الطفل وتنمية حقوقه .

لجنة الأخلاقيات :

تتكون لجنة الأخلاقيات بالمرصد الوطني لحقوق الطفل من مجموعة من الشخصيات المشهود لها بالكفاءة وبعد النظر في المجالات المتعلقة بالطفولة . تجتمع اللجنة بانتظام للبت في التوصيات الصادرة عن المؤتمر . وتمكن آراؤها من تقييم قرارات المؤتمر وعمليات المرصد.

المؤتمر الوطني لحقوق الطفل :

- يواصل المرصد الوطني عقد المؤتمرات الوطنية لحقوق الطفل منذ إنشائه ، حيث يعتبر المؤتمر منذ دورته الأولى في 25 مايو 1994 ، المنتدى السنوي لتعزيز التواصل بين مختلف الفاعلين المعنيين والمهتمين بالطفولة ، القطاعات الحكومية ، الجمعيات والمنظمات غير الحكومية ، الخبراء والمنظمات الدولية ذات الصلة .
- ينظم المؤتمر الوطني لحقوق الطفل دورته العادية يوم 25 مايو من كل سنة ، الذي يصادف احتفال المغرب باليوم الوطني للطفل . وتهدف التظاهرة السنوية المتميزة إلى تقييم الجهود المبذولة لفائدة الطفولة في إطار إعمال اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل على مستوى حقوق البقاء والنمو والمشاركة من جهة ، وفي مجال تحديد الأولويات من أجل ضمان وترسيخ ثقافة حقوق الطفل من جهة أخرى .
- وقد أصبحت هذه التظاهرة السنوية المتميزة فرصة سانحة تنصهر فيها الطاقات ، وتتكاتف فيها جهود الفاعلين المعنيين لإعمال الاتفاقية الأممية والمبادرات التي يتم اتخاذها لفائدة الطفولة في المغرب .

برلمان الطفل :

شهد ربيع سنة 1999 ميلاد آلية أساسية من الآليات التي اعتمدتها المغرب في مجال إعمال اتفاقية حقوق الطفل . إنه "برلمان الطفل" الذي عقد أولى دوراته الوطنية في رحاب مجلس النواب .

لقد عمل المرصد الوطني لحقوق الطفل على إحداث هذه الهيئة ؛ لتكون بمثابة منتدى للحوار والتشاور بين الأطفال ، طبقاً لتوصيه جوهرية من المؤتمر الوطني لحقوق الطفل .

وتهدف هذه الخطوة إلى تحقيق جملة أهداف ، أهمها :

أولاً : تمكين الأطفال المنتمين إلى مختلف الفئات العمرية ولسائر جهات المملكة ؛ لتبادل الرأي والنقاش حول المواضيع التي تهمهم مباشرة ، وكذا النهوض بثقافة حقوق الطفل ، وتحليل الأسباب ، واقتراح الحلول الكفيلة بمحاربة كافة مظاهر سوء المعاملة والاستغلال ، ووضع استراتيجية وطنية مندمجة ، تساهم سائر القطاعات والفعاليات المعنية والمهتمة في تنفيذها ، وفقاً لما تنص عليه اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل ، وبما ينسجم مع مقومات الحضارة المغربية .

ثانياً : المساهمة في ترسيخ صرح مؤسسة ديناميكية ؛ لتكون " مدرسة للتربية على الديموقراطية وروح المواطنة والسلم والتسامح " ؛ مما سيمكن من تعميق وعي الأجيال الصاعدة بحقوقها وواجباتها.

ثالثاً : توفير الشفافية اللازمة لمسألة حقوق الطفل ، وذلك من خلال مساءلة الأطفال مباشرة لذوي القرار ومكونات الرأي العام .

تسند مهمة اختيار البرلمانيين (357) إلى لجنه إقليمية ، وبناء على معايير وطنية تأخذ بعين الاعتبار أعلى معدل سنوي محصل عليه في المؤسسات التعليمية العمومية والخاصة ، والبعثات ، وأطفال المهجر ، ومراكز التكوين المهني ، والأطفال المعوقين ، وذلك بطرق تناسبية تراعي الفئة العمرية (10-13 و 14-17) سنة ووزن كل فئة من التلاميذ في التعليم الأساسي بشقيه والتعليم الثانوي .

ويشمل برنامج عمل "برلمان الطفل" مجموعة من البرامج المنتظمة : دورات جهوية ، ودورة وطنية تصادف احتفال المغرب باليوم الوطني للطفل (25 مايو من كل سنة) . وتتميز الدورة الوطنية بورشات تحضيرية ، ينكب فيها الأطفال على جدول أعمالهم ، وتتوج بلقاء رسمي بين أعضاء " برلمان الطفل " وممثلي الأمة ، وأعضاء الحكومة الذين تتم مساءلتهم مباشرة من لدن البرلمانيين الصغار . كما أن لدى الطفل عدة لجان متخصصة ، تتناول بالدرس والتحليل مجموعة من المحاور تتعلق بقطاعات التربية ، الصحة ، البيئة ، الأطفال المعوقين ، الأطفال في وضعية صعبة ، الاتصال ، الترفيه ، وغير ذلك من المجالات المرتبطة بحقوق الطفل في البقاء والنمو والحماية والمشاركة .

أهم البحوث والدراسات المنجزة من لدن المرصد الوطني لحقوق الطفل

- دراسة حول وضعية الطفل في الجماعات : شملت هذه الدراسة 1546 جماعة حضرية وقروية عبر التراب الوطني ، بمساهمة مديرية الجماعات المحلية ، وبمساندة من المكتب الوطني للماء الصالح للشرب .

وقد مكنت هذه الدراسات من رسم صورة دقيقة ، معززة بإحصاءات مفصلة ، عن واقع الطفل عبر مختلف جهات المملكة ، في مجالات الصحة ، التعليم ، البنيات الأساسية (الماء، الكهرباء ، طرق المواصلات) والثقافة والترفيه .

- دراسة مقارنة بين التشريعات الوطنية ومقتضيات اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الطفل . تم إنجازها سنة 1995 ، بتعاون مع خبراء وزارة العدل .
- تجميع النصوص التشريعية المغربية المتعلقة بالطفل : تم إنجازها سنة 1996 ، من لدن خبراء المرصد الوطني لحقوق الطفل ، وتشمل حصراً بالفصول والمواد المتعلقة بالطفل ، في مجموعة من النصوص التشريعية الوطنية (مدونة الأحوال الشخصية ، قانون الجنسية ، القانون الجنائي ، قانون المسطرة الجنائية ، قانون المسطرة المدنية...) .
- دراسة حول الطفلة الصغيرة في الوسط القروي : تم إنجازها سنة 98-1999 بتعاون مع لجنة من الخبراء المغاربة والدوليين ، وبمساهمة فرق للبحث الميداني لوزارة الصحة.
- جدول المؤشرات المتعلقة بتتبع إعمال اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل .
- مقترحات عملية لملاءمة التشريعات الوطنية مع مقتضيات اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الطفل .

الحملة الوطنية لكل دوار بئر :

تعتبر إشكالية الحصول على الماء الصالح للشرب نقطة محورية لأي مشروع تنموي لفائدة العالم القروي . فبالإضافة إلى الانعكاسات السلبية لانعدام الماء أو ندرته على مستوى الصحة والحياة اليومية – في الوسط القروي بالخصوص – فإن الطفلة الصغيرة تتأثر بشكل مباشر وعميق بهذه الإشكاليات .

وتمثل "سخرة الماء" في كثير من المناطق عبئاً ينوء به كاهل الطفلات الصغيرات ، مما يؤثر مباشرة على تمدرسهن ومسارهن التعليمي .

وهكذا تم في يوم (25 مايو 1995) العمل على إطلاق هذه الحملة الوطنية التي تهدف إلى توفير الظروف المواتية لتحرير الطفلات والنساء من سخرة الماء ، وتمكينهن من فرص التمدرس والتعلم .

مبادرة من أجل محاربة استغلال البراءة :

قرر المؤتمر الوطني لحقوق الطفل أن يجعل مسألة الأطفال ضحايا سوء المعاملة والإهمال ذات أولوية ضمن المجهودات المتواصلة لفائدة الطفولة في بلادنا .

ولذا بادر المرصد الوطني لحقوق الطفل إلى تناول هذه الإشكاليات الهامة بالدرس العميق ، وتجنيد كل إمكانياته – بتعاون مع عدة فعاليات وطنية وإقليمية ودولية – من أجل بلورة مبادرة متميزة ، تحت شعار : "الحركة ضد استغلال البراءة" .

في هذا السياق الذي يطبعه تنوع الحالات وتباين السلوكيات المرتبطة بمفهوم سوء معاملة الأطفال واستغلالهم ، اختار المرصد الوطني لحقوق الطفل اتخاذ هذه المبادرة وتفعيلها ، وذلك من خلال إشكالية تطرح نفسها بحدة في الحياة اليومية لكثير من الشرائح الاجتماعية ، ألا وهي إشكالية " الخادمات الصغيرات " .

ولقد مكنت الحملة الإعلامية الواسعة التي تم تنظيمها لهذه الغاية من فتح نقاش اجتماعي وثقافي واقعي حول أحد أشكال سوء المعاملة الذي يكتسي صعوبة بالغة عند تناوله ؛ وذلك لكونه بقي معتبراً – حتى الآن – مسألة "عادية" و "معتادة ".

مركز الاستماع :

إن عمليات التواصل التي تم تنظيمها وتنميتها في سياق هذه المبادرة الهادفة إلى مناهضة استغلال البراءة ، قد مكنت الرقم الأخضر 0800,025,11 الذي تم تدشينه في يوم 25 نوفمبر 1999 ، من أن يصبح حاضراً بقوة لدى سائر شرائح المجتمع والهيئات الحقوقية والقانونية والطبية وغيرها .

وبإرسائه لقواعد مركز الاستماع وحماية الأطفال ضحايا سوء المعاملة التابع له ،

استطاع المرصد الوطني لحقوق الطفل أن يتقدم في الحصول المباشر على المعلومات والبيانات التي تتعلق بسوء معاملة الأطفال واستغلالهم من جهة ، وتقديم الدعم والمساعدة القانونية والطبية المباشرة للأطفال الضحايا من جهة أخرى .

وللإشارة فإن مركز الاستماع قد توصل ، في غضون الأشهر الأربعة الأولى من عمله (ديسمبر 2000 مارس 2001) بـ 104,000 مكالمة هاتفية . كما تم فتح 184 ملفاً لقضايا يتابعها المركز، منها 21 حالة للعنف والاعتداء الجنسي .

علاقة المرصد بالمنظمات الجهوية

أول منتدى عربي للمنظمات غير الحكومية حول الطفولة :

انتظم عقد 200 جمعية منظمة من المجتمع المدني العربي ، في أول منتدى لها ، بالرباط من 15 إلى 19 فبراير 2001 ؛ لتدارس أوضاع الطفولة في العالم العربي . وقد دعا لتنظيم هذه التظاهرة الأولى من نوعها في هذا الجزء من العالم كل من المرصد الوطني لحقوق الطفل ، والمجلس العربي للطفولة والتنمية (القاهرة) ، والمعهد العربي لحقوق الإنسان (تونس) ، والمكتب الإقليمي لليونسيف (عمان) . وقد أثبت هذا المنتدى الإمكانات الهائلة التي يزخر بها المجتمع المدني العربي ، والإدارة القوية لمكوناته ؛ من أجل تنمية حقوق الطفل والدفاع عنها ، ومن أجل النهوض بتشاور فعلي وفعال في هذا المضمار . وقد توجت أشغال المنتدى بوثيقتين هامتين ، هما : إعلان الرباط وبيان الرباط ، إلى جانب العديد من التوصيات.

معالم الطريق

عمل المرصد منذ إنشائه سنه 1994 ، على الإسراع بإعمال الاتفاقية الأممية وتتبعها في المغرب ، بتنسيق وثيق مع جميع الأطراف المعنية والمهتمة بمجال الطفل . وفيما يلي أهم ما تم إجازه :

سنة 1994

- إنجاز دراسة وطنية حول وضعية الطفل في الجماعات .
- تنظيم الدورة الأولى للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل .
- تدشين الحملة الوطنية السادسة لتلقيح الأطفال .

سنة 1995

- تنظيم الدورة الثانية للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل .
- نشر المؤشرات المتعلقة بوضعية الأطفال في مجالات الصحة ، التعليم ، التشغيل ، والأطفال في وضعية صعبة .
- انطلاق الحملة الوطنية " لكل دوار بئر" .
- تدشين الحملة الوطنية السابعة لتلقيح الأطفال .

سنة 1996

- تنظيم الدورة الثالثة للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل .
- وضع الإطار المؤسسي والتنظيمي للمرصد الوطني لحقوق الطفل .
- نشر كتاب التجميع الذي يضم النصوص التشريعية المغربية المتعلقة بالطفل .
- الانتساب إلى الشبكة الأورو – متوسطية لصحة السكان .

سنة 1997

- تنظيم الدورة الرابعة للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل .
- إعداد استراتيجية لتنمية التمدرس في الوسط القروي .
- إعداد مشروع ملاءمة التشريعات الوطنية مع مقتضيات اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل .
- تم تنظيم حفل خيري لفائدة الأطفال المرضى بالتعاون مع دار "شانيل" الباريزية .
- إعداد التقرير حول وضعية الطفل بالمغرب .

سنة 1998

- تنظيم الدورة الخامسة للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل .
- تنظيم يوم إعلامي تحسيسي لفائدة الأطفال في وضعية صعبة تحت شعار "التضامن".
- تنظيم أمسية "التضامن" في باريس لفائدة الطفولة .

سنة 1999

- تنظيم الدورة السادسة للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل .
- ميلاد " برلمان الطفل " .

- تنظيم يوم دراسي حول الأطفال ضحايا سوء المعاملة ، والأطفال المعوزين .
- تنظيم لقاء تشاوري بالتعاون مع المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان حول موضوع "حقوق الطفل : أية آفاق؟ حالة الحدث الجانح " .
- تنظيم " جائزة الحسن الثاني لحماية الطفولة " ، و" جائزة صاحبة السمو الملكي الأميرة الجليلة للامريم للإبداع والثقافة في مجال الطفل " .
- تدشين خطوط مجانية (الهاتف الأخضر) والمركز المرجعي للاستماع وحماية الأطفال ضحايا سوء المعاملة .
- انطلاق العمل بالمركز المرجعي للاستماع وحماية الأطفال ضحايا سوء المعاملة .
- تنظيم لقاء حول موضوع : تشغيل الأطفال .
- مساندة الحملة الوطنية لتعميم التمدرس لفائدة الطفلة القروية ، وتزويد المدارس في الوسط القروي بأنابيب الماء وشبكة التطهير .
- تنظيم لقاء حول موضوع : الإعلام وحقوق الطفل .
- إصدار مجلة للأطفال : " فضاء الطفل " .
- بناء وتجهيز ملاعب متعددة المجالات المرتبطة بالرياضات لفائدة الأطفال .
- إنشاء موقع على شبكة الإنترنت .

سنة 2000

- تنظيم الدورة السابعة للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل .
- صياغة برنامج عمل لمحاربة ظاهرة سوء معاملة الأطفال بالتعاون مع المنظمة العالمية للصحة .
- النهوض والدفاع لفائدة " الأطفال في نزاع مع القانون " .
- إعداد الدفتر الصحي لفائدة الأطفال ، بالتعاون مع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) ، ومؤسسة محمد الخامس للتضامن .
- دعم البرنامج الوطني لتعليم الفتيات (من 15 إلى 25 سنة) .
- تنظيم دورات تكوينية لفائدة المنظمات غير الحكومية .
- المساهمة في عملية التبرعات من أجل أطفال كوسوفو .
- تنظيم دورات تكوينية لفائدة المربين وقيادات الجمعيات الخيرية المغربية .

- تدشين المرحلة الأولى من الحملة الوطنية لمحاربة سوء معاملة الأطفال ، انطلاقاً من إشكالية تشغيل الطفلة الصغيرة .
- إصدار مجلة متخصصة للطفل "حقوق" (5 أعداد باللغة العربية و3 أعداد باللغة الفرنسية حتى شهر مايو 2001) .
- مساهمة المرصد الوطني لحقوق الطفل ، بصفته منسقاً للمنظمات غير الحكومية المغربية في مجال الطفولة ، في أشغال اللجنة الوطنية المكلفة بتحضير مشاركة المغرب في القمة العالمية حول الطفل .

سنة 2001

- توقيع اتفاقية مع جمعية الحرفيين بمدينة فاس ، تتعلق بحماية الأطفال العاملين في قطاع الصناعة التقليدية .
- المشاركة في تنظيم الدورة (34) للفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان .
- استمرار مساهمة المرصد الوطني لحقوق الطفل ، بصفته منسقاً للمنظمات غير الحكومية المغربية في مجال الطفولة ، في أشغال اللجنة الوطنية المكلفة بتحضير مشاركة المغرب في القمة العالمية حول الطفل .



- تقرير تنمية المرأة العربية 2001

مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث

تقرير تنمية المرأة العربية 2001

أصدر مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوثر) تقريره السنوي الأول عن تنمية المرأة العربية في العام 2001 تحت عنوان " العولمة والنوع الاجتماعي : المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية " .

وقد باشر مركز المرأة العربية (كوثر) إصدار تقرير سنوي تحت عنوان تنمية المرأة العربية ، الذي يعتمد منهج " تقرير التنمية البشرية " السنوي الذي يصدره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، على أن يركز كل تقرير من هذه التقارير على موضوع معين ؛ بهدف نشر المعلومات التي من شأنها أن تساعد صانعي القرار في المنطقة العربية في صياغة السياسات والاستراتيجيات المتعلقة بمسألتي النوع الاجتماعي والفقر .

يركز تقرير تنمية المرأة العربية الأول على موضوع تشكل معالجته تحدياً ، ألا وهو : العولمة والنوع الاجتماعي : المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية ، حيث يلاحظ أن مسألة النوع الاجتماعي لا تزال مهملة إلى حد بعيد ، وهناك نقصاً في الدراسات المتطرقة إلى المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية في عصر العولمة .

استند التقرير على أعمال نتائج وتوصيات ورشة عمل عقدها المركز (كوثر) في شهر أيلول/ سبتمبر 2000 في تونس ، التي دعا إليها خبراء في موضوع العولمة من المنطقة العربية ومن خارجها ، وقد توصلت هذه الورشة إلى تحديد بنية التقرير ومحتواه .

وانعقدت لهذا الهدف أيضاً ورشة العمل الثانية (تشرين الثاني / نوفمبر 2000 في تونس) ، وكذلك أيضاً ورشة العمل الثالثة (شباط / فبراير 2001 ، تونس) .

ملخص لأهم ما جاء في التقرير :

استعرض التقرير عدداً من الخصائص والسمات التي تبين بعض الاتجاهات المهتمة المتعلقة بمشاركة المرأة العربية الاقتصادية في ظل اقتصاد عالمي سريع التغير . وفيما يلي فقرات تتناول هذه الاتجاهات العربية :

- لم تصبح المنطقة العربية حتى الآن مشاركاً ناشطاً في إعادة الهيكلة العالمية ، وظلت مساهماتها في تحديد صيغة هذه العملية قليلة . ولا تظهر المعطيات الكمية المتوفرة اندماج المنطقة العربية القوي في الاقتصاد العالمي .
- يبدو أن فوائد العولمة الاقتصادية قد تجاوزت المنطقة العربية إلى حد كبير . ففي خلال الثمانينيات والتسعينيات ، بقي معدل النمو في الناتج المحلي القائم في المنطقة راكداً إلى هذه الدرجة أو تلك . كما انخفضت قيمة الصادرات وحصتها من الصادرات العالمية . وبقيت معدلات نمو تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر في كل من الصناعة والقطاعات غير النفطية متواضعة . ولم تعرف المنطقة عموماً نمواً اقتصادياً إلى درجة تنتج نمواً سريعاً في فرص العمل . ونتيجة لذلك ، بقي استحداث الوظائف محدوداً ، بينما العاملة المستوى الذي يكفي للتغلب على الحواجز التي تمنع المرأة العربية ، حتى المؤهلة والمتمتعة بالخبرة ، من دخول سوق العمل .
- قد يكون هناك مستفيدون من العولمة ، أي أولئك الذين يحوزون رأس المال والمعرفة وشبكات الاتصال التي تمكنهم من الإفادة من إعادة الهيكلة العالمية .

إلا أن عددهم في المنطقة العربية يبقى صغيراً نسبياً . وتوحي الأدلة المتوافرة بأن هؤلاء المستفيدين هم في غالبيتهم من الذكور . من ناحية ثانية ، يمكن تمييز أعداد من الخاسرين ، ذكوراً وإناثاً معاً . الأمر الذي يعكس أنماط الاستقطاب الاجتماعي في أجزاء كثيرة من المنطقة . وتوحي الأدلة أيضاً بأن مجموعات الإناث (بين الخاسرين) تكون في وضع أسوأ من حيث الاستغلال الاقتصادي والبطالة ؛ لأن في مثل هذه الأوضاع تحظى مسألتا الكلفة والمرونة بأهمية بالغة .

- على الرغم من الضعف المسجل في معدلات النمو الاقتصادي الحالية وفي مستوى الاندماج في الاقتصاد العالمي ، قامت أغلبية الدول العربية بتحرير سياساتها

الاقتصادية وإدخال تغييرات على نطاق واسع . مثل هذه السياسات (السياسات الانكماشية بما فيها السياسات المالية) يمكن أن تفاقم استقطاب الدخل والفقر وعدم الإنصاف بين الجنسين إذا لم تدر بعناية . وترتبط هذه التأثيرات بصورة مباشرة وغير مباشرة بالمشاركة الاقتصادية للمرأة العربية في الاقتصاد العالمي . مع هذا ، لم تراع السياسات الجديدة أبعاد النوع الاجتماعي ، على العموم ، سواء أكان ذلك من حيث المحتوى ، أم من حيث المعايير المستخدمة لتقييم الأثر الناجم عنها .

- حيث تشكل الخصخصة وتحرير التجارة جزءاً من جملة سياسات ، فإنها تتطلب كقاعدة إحداث تغيرات في قوانين العمل وأنظمته . وتوحي الأدلة بأن للاتجاهات الحالية انعكاسات سلبية على مشاركة المرأة العربية في القوى العاملة . وهناك اتجاه غير معلن ، ولكنه ملموس ؛ لتشجيع النساء على الانسحاب من القوى العاملة . فزيادة حدة التنافس في سوق العمل يجري حلها على حساب النساء إلى حد كبير ، بما في ذلك أولئك اللاتي يؤهلهن مستواهن التعليمي ومهاراتهن للمساهمة على نحو مهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة.
- إن هذه الاتجاهات تجري في الاتجاه المعاكس لزيادة مشاركة المرأة في قوة العمل أو تأنيث العمل ، التي غالباً ما تعتبر كإحدى الصفات المميزة لإعادة الهيكلة العالمية . ففي المنطقة العربية ، وبالرغم من وجود بعض الاتجاهات الإيجابية ككل خلال العقود الثلاثة الماضية ، تبقى مشاركة الإناث في القوى العاملة متدنية ، مقارنة بالمناطق النامية الأخرى. وهذا ليس صحيحاً (من الناحية الكمية ، أي نسبة اليد العاملة النسائية في مجمل القوى العاملة) فحسب ، بل إنه صحيح كذلك من الناحية النوعية: أي من حيث الوضع الوظيفي والأجور وتوزيع الوظائف القائم على أساس الجنس . كل هذه العوامل تعمل على إدامة الفجوات بين الجنسين في سوق العمل ، إذ لم يسجل في المنطقة العربية مثلاً ، أي اتجاه مهم نحو تأنيث العمالة في الصناعات التصديرية ، كما حصل في أجزاء من آسيا ، وإلى درجة ما في أمريكا اللاتينية .
- يعتبر التحسن الذي طرأ في مجال تعليم الإناث (وإن لم يكن بالضرورة في مجالات تعزز الوصول إلى وظائف أفضل من حيث الأجر) ، وكذلك انخفاض معدلات

الخصوبة وارتفاع متوسط العمر عند الزواج الأول من علامات التقدم . ومع ذلك ، لم تنجح هذه التغيرات في التصدي للأيديولوجيات السائدة التي تركز على دور المرأة الإنجابي الاجتماعي ، وتؤكد التمييز القائم على أساس الجنس، وتحصر دور المرأة في وظائف العناية التي لا قيمة لها في السوق . فالمرأة العربية لم تواجه عقبات في الوصول إلى وظائف في قطاعي التعليم والصحة، نظراً لأن هذه الوظائف تتلاءم والدور المنوط بها من قبل المجتمع .

ويعني هذا أن تأنيث العمل في هذين القطاعين يزداد في بعض المجتمعات العربية، حيث التمييز بين الجنسين في المحيط المهني هو القاعدة ، بل ويعتبر- في بعض الحالات – قاعدة إلزامية . كما لم تسجل نسبة اليد العاملة النسائية تغييراً في قطاعات الخدمات الفرعية المرتبطة بإعادة الهيكلة العالمية، كتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتجارة والسياحة .

- يبقى العمل في القطاع العام الخيار المفضل لدى المرأة العربية المشاركة في القوى العاملة . ويعكس هذا التفضيل ظروف العمل المدعمة بالتشريعات ، حيث إن التمييز القائم على أساس الجنس أقل حدة ، والاستقرار الوظيفي والحوافز والخدمات للنساء أفضل ، علاوة على ما يوفره هذا القطاع من احترام . وقد أدت الإجراءات التقشفية التي طالت القطاع العام – كجزء من استراتيجيات إعادة الهيكلة الاقتصادية الجارية – إلى خفض فرص العمل المتاحة في القطاع العام ، مما ساهم في تفاقم الفجوات بين الجنسين في العمل وتوزيع الوظائف . الأمر الذي أثر عموماً في النساء أكثر مما أثر في الرجال .
- مع أن نسبة اليد العاملة النسائية في القطاع الخاص تسجل زيادة متواضعة في بعض البلدان العربية ، وبالنسبة إلى بعض فئات الوظائف ، لا يشجع هذا القطاع عموماً عمل المرأة (لاعتبارات لدى أصحاب العمل تتعلق بالتكلفة كإجازة الأمومة) .
- وإن وجدت عمالة نسائية في القطاع الخاص ، فهي مركزة إلى حد كبير في مهن يعوزها الاستقرار الوظيفي ، ذات مكانة متدنية وأجر منخفض عموماً . من هذه الناحية ، يبدو أن المنطقة تتبع واحداً من الاتجاهات الأكثر سوءاً في العالم " السباق

نحو الأسفل " بتوفيرها يداً عاملة نسائية قليلة المهارة نسبياً ، متدنية الأجر وهشة، تساعد على خفض تكاليف الإنتاج . ويكرس هذا النوع من العمل التمييز والإساءة من حيث ظروف العمل ومستويات الأجور والاستقرار الوظيفي . وهو مجال يكتسب فيه مفهوم العمل " المحترم والمنتج في ظروف من الحرية والعدالة والاستقرار والكرامة الإنسانية " أهمية حاسمة .

- بالنسبة إلى المرأة الفقيرة من حيث دخلها وقدراتها ، غالباً ما يكون القطاع غير المهيكل هو المشغل الوحيد . ومع هذا ، يبدو أن نسبة اليد العاملة النسائية العربية في القطاع غير المهيكل، إما أن تكون قد اتجهت نحو الانخفاض ، أو بقيت متدنية نسبياً . فالعمل المأجور (العمل من المنزل أو العمل الخارجي في النشاطات التحويلية ، بصورة رئيسية في إنتاج المنسوجات والملابس) يستقطب نسبة رئيسية من العمالة النسائية في القطاع غير المهيكل . ويتلاءم هذا النوع من العمل مع الأنماط الثقافية التي تمنح دور إعادة الإنتاج الاجتماعي أهمية قصوى . وهو ما يتوافق مع النظرة التقليدية إلى مسؤوليات المرأة الطبيعية من ناحية ، ويمكنها من التنقل بين العمل غير المأجور والنشاطات المولدة للدخل ، ومع ضرورة تسويق السلع التي تنتجها اليد العاملة النسائية للاستخدام داخل الأسرة؛ لتوفير دخل نقدي من ناحية أخرى .
- تشير الأدلة إلى أن عمل المرأة لحسابها الخاص يتجه نحو الانخفاض في بعض البلدان . في بعض الحالات فإن النساء اللاتي يعملن في القطاع غير المهيكل قد لا يتشجعن على إنشاء المشاريع ؛ بسبب التعقيدات العائدة إلى التمييز بين الجنسين وغيرها من التعقيدات المتعلقة بالسوق . ويبدو أن النساء يفضلن العمل من المنزل لقاء أجر ، باعتبار أن عنصر المخاطرة فيه أقل . وإذا ما تأكد هذا الاتجاه ، فإن نجاعة القروض بالغة الصغر – بوصفها أداة لتخفيف حدة الفقر بين النساء العربيات – تمسي غير مؤكدة.
- ثمة اتجاه نحو تأنيث البطالة في المنطقة العربية . فمعدلات بطالة الإناث تشير إلى زيادة العرض لدى أولئك اللاتي يبحثن عن عمل . وفي الوقت نفسه ، تواجه النساء عوائق تحول دون دخولهن سوق العمل ، وهي عوائق بنيوية (إعادة الهيكلة ، الركود ،

الركود الاقتصادي ، استثمارات محلية وأجنبية محدودة ، إضافة إلى النزاعات والحروب) وعوائق أيديولوجية (صورة الرجل كاسب الرزق – المرأة ربة البيت). إن هذا الاتجاه لا يأخذ بعين الاعتبار واقع المنطقة الاقتصادي ، حيث يوجد كثير من النساء اللاتي يسعين لإيجاد عمل مأجور ؛ بغية دعم ميزانيات الأسر الآخذة في الانخفاض ، وتجنب تعرضهن المتزايد للفقر. ويبدو أن النساء العاطلات عن العمل في أجزاء مختلفة من المنطقة هن – بصورة رئيسية – وافدات جديدات إلى سوق العمل (مع تحصيل علمي ثانوي) ، ولكنهن أيضاً فقيرات من حيث الدخل (مع مستوى تعليمي محدود) ، إضافة إلى نساء سبق لهن العمل ، ثم ما لبثن أن فقدن وظائفهن ؛ بسبب تقليص نشاطات القطاع العام . أما أكثر المشاركات في سوق العمل هشاشة فهن نساء على درجة قليلة من التعليم أو دون تعليم . ولكن من ناحية ثانية تتأثر في بعض البلدان العربية النساء المتعلمات ، وخاصة خريجات معاهد المؤسسات الأهلية ، بمعدلات بطالة عائدة أيضاً إلى الانسحاب الترفي من سوق العمل ، كما هو الحال في بعض بلدان مجلس التعاون الخليجي عندما لا تكون الوظائف المرغوب فيها متوفرة . في هذه البلدان ، قد تكون معدلات البطالة النسائية منخفضة أيضاً ؛ بسبب ارتفاع معدلات غياب مشاركة النساء الاقتصادية ، أي ببساطة عندما لا ينظر إليهن كجزء من القوى العاملة .

- هناك أيضاً اتجاه واضح ، وإن لم يكن موثقاً بشكل كافٍ ، فيما يتعلق بالنقص في كفاية التشغيل القائم على أساس الأبعاد المختلفة للنوع الاجتماعي في أجزاء من المنطقة العربية . " فالتشغيل دون المستوى المطلوب " الظاهري (الناجم عن عوامل بنيوية خارج سيطرة الفرد) والخفي منه (في شكل إنتاجية منخفضة ونقص في الاستخدام الأمثل لمهارات العاملين) يؤثر أيضاً في القوى العاملة النسائية في أجزاء من المنطقة . ولهذا الوضع انعكاسات بالنسبة إلى الفقر عندما تكون الإيرادات المنخفضة غير كافية لتغطية الاحتياجات الأساسية وفقاً للمعايير والمقاييس السائدة .
- ثمة قليل من المعطيات الدقيقة المتعلقة بالهجرة الحديثة للعمالة النسائية العربية داخل المنطقة العربية وخارجها .

- إن المردود الاقتصادي لتعليم الإناث هو أقل مما هو متوقع عموماً ، ويتجلى ذلك في تدني مستويات الأجور ، وكذلك في ضعف المشاركة في صنع القرار . علاوة على ذلك، فإن وصول المرأة العربية إلى تكنولوجيات المعلومات والاتصالات ، وخاصة إلى الإمكانات التي توفرها الإنترنت يبقى محدوداً . فمن الواضح أن الفقر والتعليم غير الملائم ، أو الانتقاص من حقوق المواطنة ، ليست هي بالضرورة المتغيرات الأكثر تأثيراً على مكانة النساء والرجال على حد السواء . إن التمييز القائم على أساس الجنس والفجوات القائمة بين الجنسين تؤثر سلباً في إمكانات المرأة العربية الاقتصادية . كل هذا ينعكس في المعطيات الإجمالية المتعلقة بدليل التنمية المرتبط بنوع الجنس ومقياس تمكين المرأة في بلدان المنطقة العربية2 .
- من الواضح أن هناك استثناءات للاتجاهات العامة التي عرضت أعلاه ، كما تشير المعلومات – وإن تكن محدودة – عن النساء العربيات باعثات المشاريع اللاتي يبقى عددهن ضئيلاً . ويبقى من غير الواضح ، إلى أي مدى ، يمكن تصنيف هذه الفئة من النساء المشاركات في القوى العاملة ضمن دائرة المستفيدين اقتصادياً من إعادة الهيكلة العالمية .
- إن المؤشرات العامة توحي ، حتى الآن ، بأن النساء العربيات باعثات المشاريع، قد يواجهن صعوبات في الوصول إلى أسواق مربحة ؛ بسبب كونهن نساء ، حتى عندما تكون التشريعات غير مميزة بين الجنسين (مثلاً فيما يتعلق بالحصول على القروض) .
- لكل هذه الاتجاهات انعكاسات سلبية بالنسبة إلى الجهود المبذولة لتعزيز مفهوم المساواة بين الجنسين في المنطقة فيما يتعلق بحقوق المواطنة والمشاركة في صنع القرار على كافة المستويات . إن الاتجاهات التي تمس حقوق المرأة ، تصبح أكثر خطورة بشكل خاص في منطقة لا تعتمد فيها المفاهيم الخاصة بشفافية الحكم الصالح والمشاركة السياسية القاعدية بشكل واسع . إضافة إلى أن مؤيدي إرساء الديمقراطية أنفسهم لا يقرون بأن مسألة النوع الاجتماعي على علاقة بهذه المفاهيم ، إيماناً منهم بأن هذه العملية محايدة في هذا الشأن .
- ورغم أن الاستنتاجات التي توصل إليها التقرير غير نهائية ، وتتطلب مزيداً من البحث

المعمق ، فإنها تقود إلى استخلاصين عامين ، هما التاليان :

- إن الاتجاهات العامة المستندة إلى التمييز بين الجنسين التي تعيق وصول المرأة العربية إلى نيل حقوقها وتنمية قدراتها ، هي في الواقع تحول دون تحقيق تمكينها الذاتي على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية 3 .
- إن الفقر يحول دون التمكين الذاتي للمرأة العربية بصفة أعمق وأكثر استمراراً مقارنة بالرجل .

أخيراً ، يقدم التقرير عدداً من التوصيات لاعتماد سياسات في الموضوعات التي تناولها . ويعرض – على المستوى الوطني – الاقتراحات التالية في مجموعة مترابطة من التوصيات قابلة للتكيف ؛ لتتلاءم مع الأوضاع الخاصة بكل بلد :

1- جعل أسواق العمل العربية تراعي مسألة النوع الاجتماعي .

2- ضمان أن المرأة العربية لديها المهارات التي يحتاجها السوق .

3- النهوض بمؤسسات المجتمع المدني ومنظماته .

مسابقة الباحثون الشبان

يعلن مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوثر) عن المسابقة الثانية للباحثين الشبان في موضوع :

"الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق"

ابتعد المركز في تقريره الدوري الثاني لتنمية المرأة العربية "الفتاة العربية المراهقة" عن المقاربات البيولوجية التي اقتصرت في تحديدها للمراهقة على الناحية النفسية (أزمة المراهقة) أو الفيزيولوجية (التحولات الفيزيولوجية المرتبطة بالبلوغ) ، وارتأى دراستها عن طريق مقاربة تهدف أساساً إلى صياغة مؤشرات تمكّن من تحسين المعرفة حول ممارسات ومعيش المراهقين العرب في علاقتهم بالنوع الاجتماعي ، هذه المقاربة ستمكننا من استخلاص نماذج سلوكية وأنماط تفكير للفتاة العربية المراهقة "إمرأة الغد" والتمثلات التي تحملها عن ذاتها وطموحاتها .

كيف يبني المراهقون العرب شخصيتهم ؟ كيف يعيشون علاقاتهم مع الآخرين ، مع الوالدين ، العائلة ، المدرسة والأتراب؟ ما هي مشاريعهم الدراسية والعملية ؟ ما هي ممارساتهم الاجتماعية ؟ كيف يشاركون في الحياة الاجتماعية ؟ ما هي أنشطتهم الدينية ، السياسية ، الرياضية والفنية ؟ كيف يرون مستقبلهم ، مستقبل مجتمعهم والعالم ؟

يدعو "كوثر" الباحثين الذين سيشاركون في هذه المسابقة إلى تناول هذه الإشكالية في إطار مقالات ويقترح ادراجها ضمن إحدى المواضيع الفرعية التالية :

- المراهقة ، الهوية الشخصية وتصور الذات .

- بناء الذّات ، التفردية والستقلال الذاتي في العلاقة مع الآخرين .
- البلوغ والتحوّل الفيزيولوجي ، الجنس ، وتصور الجنس الآخر ، الصداقة والحب .
- العلاقات مع الأهل والتواصل بين الأجيال ، القطيعة مع مرحلة الطفولة والتمهيد لدخول حياة الراشدين : تغيّر أشكال السلطة : النسق "التقليدي" والأشكال الديمقراطية للسلطة .
- تصور أدوار الأم والأب والمجال الشخصي للمراهق .

■ **الثقافة والمخالطة الاجتماعية للمراهق .**

- سلوكيات المراهق في مجال التغذية ، الممارسات الرياضية ، اللباس .
- أذواق المراهقين ، المطالعة ، الترفيه ؛ الممارسات الموسيقية والفنية ، العلاقة بوسائل الإعلام .

■ **المراهقة ، الانخراط في الحياة العملية والاجتماعية والمشاريع الحياتية والمستقبلية :**

- الدراسة والاختيارات الدراسية : التعليم الثانوي ، المهني والتعليم العالي .
- المسيرة العملية للمراهقين الذين دخلوا مجال العمل .
- الاندماج والمشاركة في الحياة الاجتماعية ، السياسية والدينية ، الانتساب إلى الحركات السياسية والدينية ، وإلى الجمعيات بما فيها الجمعيات غير الحكومية .
- تصورات المستقبل والتطلعات : كيف يرى المراهقون مجتمعات الغد .

تتوجه هذه المسابقة إلى :

الطلبة العرب من الجنسين الذين لم تتجاوز أعمارهم ٣٥ سنة ، المسجلين في الدراسات العليا مرحلة ثالثة : دراسات معمقة (ماجستير أو شهادة معادلة) ، ودكتوراه ومسجلين بإحدى الاختصاصات التالية : علم الاجتماع ، علم النفس ، الأنثروبولوجيا ، علم النفس الاجتماعي ، علوم قانونية ، دراسات اجتماعية ، تنشيط ثقافي وشبابي ،علوم تربية ، علم اتصال .

تتمثل المسابقة في :

- اختيار أحد المواضيع الفرعية المقترحة والقيام ببحث حول المراهقين في بلد عربي أو أكثر .
- تحرير مقال ذا طابع علمي (حسب مبادئ العلمية المعترف بها) لا يتجاوز 20 صفحة (250 كلمة في الصفحة) .

كيفية وشروط المشاركة :

على المشاركين تعمير وارسال بطاقة الترسيم الأولية قبل 15 يونيو 2002 . يتولى المركز مراسلة المرسمين ابتداءً من 1 يوليو 2002 ليشروعوا في العمل ، تلفت انتباه المشاركين الكرام إلى أن الأبحاث المشاركة يجب :

* أن لا تكون قد نشرت من قبل .
* أن تكون بإحدى اللغات التالية : العربية، الفرنسية، الإنجليزية .
* أن ترسل على قرص مغناطيسي (مع تحديد برنامج المعالجة) أو عبر البريد الإلكتروني.
* إن ترسل إلى المركز في أجل لا يتعدى 30 ديسيمبر / كانون الأول 2002 .
* أن تكون مصاحبة بالسيرة الذاتية للباحث .
* أن تكون مصاحبة بملاحظة الأستاذ المشرف على البحث ونسخة من بطاقة الترسيم .

نتائج المسابقة :

* ستدرس كل الأبحاث من طرف لجنة انتقاء مكونة من جامعيين منتيمن إلى الاختصاصات التي سبق ذكرها .
* تبقى المقالات على ذمة المركز حتى يتمكن من استخدامها و(أو) نشرها بعد المسابقة .
* ستسند ثلاث جوائز لأحسن ثلاثة أبحاث :

- **الجائزة الأولى والثانية** ستسندان لأحسن عملين للباحثين المسجلين لنيل شهادة الدكتوراه :
- **الجائز الأولى** وقيمتها 2000 دولار مع تربص (تدريب) لمدة شهر بالمركز .
- **الجائزة الثانية** وقيمتها 1500 دولار .
- **الجائزة الثالثة** ستسند لأحسن عمل للباحثين المسجلين لنيل شهداة الدراسات المعمقة (ماجستير أو شهادة معادلة) :
- **الجائزة الثالثة** وقيمتها 1000 دولار .

سيحصل كل المشاركين في هذه المسابقة على نسخة من تقرير المركز حول موضوع "الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق" كما يمكن لهم الانضمام إلى الشبكة التي ينشئًا "كوثر" حول الموضوع (بعد التقدم بطلب للانضمام) .

يتعهد "كوثر" بنشر الأبحاث الثلاثة الفائزة .

كيفية الاتصال :

ترسل الأبحاث إلى السيدة مديرة المركز

لمزيد من المعلومات الاتصال بوحدة البحوث : الآنسة كوثر قرايدية

العنوان : 44 نهج بولونيا 1005 العمران تونس

الهاتف : 002167151945 / 0021671571867

الفاكس : 0021671574627

البريد الإلكتروني : **Cawtar@planet.tn**

سياســــــات وقواعد النشر

مجلة الطفولة والتنمية .. مجلة علمية ، متخصصة ، فصلية ، مُحَكَّمة ، تُعنى بشئون الطفولة والتنمية في الوطن العربي .

سياسات النشر :

- تنشر المجلة الأعمال العلمية ذات الصلة بالطفولة والتنمية ، والتي لم يسبق نشرها أو تقييمها في جهة أخرى .
- تُعبِّر الأعمال التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس العربي للطفولة والتنمية .
- تُعرض البحوث والدراسات المقدمة للنشر على اثنين من المحكمين ويكون رأيهما ملزماً، وفي حالة اختلاف الرأي يعرض البحث أو الدراسة على مُحكم ثالث ، يكون رأيه قاطعاً.
- الأعمال العلمية التي تُقدم للمجلة ولا تنشر ، لا تُعاد إلى صاحبها.
- الالتزام بالأصول العلمية في إعداد وكتابة العمل العلمي من حيث كتابة المراجع وأسماء الباحثين والاقتباس والهوامش ، ويفضل وضع الهوامش والمراجع في نهاية الموضوعات .
- تكون أولوية النشر للأعمال المقدمة حسب أهمية الموضوع ، وأسلوب عرضه، وتاريخ الاستلام ، والالتزام بالتعديلات المطلوبة.

قواعد النشر :

- أن تُرسل الأعمال العلمية من نسختين ، ومطبوعة على جهاز الكمبيوتر . ويفضل

إرسال الموضوع على ديسك (ماكنتوش) برنامج الناشر المكتبي أو الناشر الصحفي .

- يُشار إلى جميع المراجع - العربية والأجنبية - ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف الأخير (العائلة) ، الاسم الأول ثم الثاني (إن وجد) ، وسنة النشر ، ووضعها بين قوسين ( ) ، الموضوع ، دار النشر ، الطبعة (إن وجدت) ، المدينة ، والصفحات (في حالة الهوامش) .
- الأعمال المقدمة ينبغي أن تكون مكتوبة بلغة عربية سليمة وبأسلوب واضح .
- كتابة اسم الباحث وجهة عمله وأرقام الاتصال وعنوانه كاملاً على ورقة مستقلة، وإرفاق نسخة من السيرة الذاتية .
- يعتبر العمل العلمي قابلاً للنشر إذا توافرت فيه المعايير السابقة في سياسات وقواعد النشر ، بالإضافة إلى مراعاة اتباع الآتي :

الدراسات والبحوث :

- أن تقدم في حدود (5000 كلمة) .
- أن تخضع لسياسة التحكيم المشار إليها في سياسات النشر .

مقالات :

- ألا يزيد عدد صفحات المقال على 3500 كلمة .
- أن تكون الموضوعات حديثة ، وألا يكون قد مضى على إعدادها أكثر من سنة واحدة .

تجارب قطرية :

- ألا يزيد عرض التجربة على (3000) كلمة ، لتلقي الضوء على نجاحات تجربة حكومية أو أهلية عربية لتعميم الفائدة .
- أن تكون عروض التجارب حديثة ومستمرة .

عروض كتب :

- ألا يزيد عدد صفحات العرض على 2000 كلمة .
- أن تكون الكتب المعروضة حديثة ، وألا يكون قد مضى على إصدارها أكثر من ثلاث سنوات .

عروض الرسائل الجامعية :

- ألا يزيد عدد صفحات العرض على 2000 كلمة .
- أن تكون الرسائل المعروضة حديثة ، وألا يكون قد مضى على إعدادها أكثر من ثلاث سنوات .

عرض تقارير المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش :

- ألا يزيد عدد صفحات العرض على 1500 كلمة .
- أن تكون تلك الفعاليات حديثة ، وذات أهمية بما تعكسه من مردود إيجابي .

الترجمات :

- ألا يزيد عدد صفحات الموضوعات المترجمة على 2000 كلمة .
- أهمية أن تكون تلك الترجمات حديثة ، مع الإشارة إلى المصدر الأصلي للنص واسم كاتبه .

Children and Mass Media

Dr. Atef El-Abd

This article discusses the role played by the mass media in children's culture. This is with reference to the fact that developing childhood is considered to be a crucial factor in the comprehensive development process. Therefore, it is necessary to respond to the basic needs of the children, depending on scientific planning, along with providing financial and human resources necessary for their bringing up and taking care of them throughout the different stages of growth.

The article highlights the important role played by mass media in children's culture through providing them with information, creating within the child prespectives about the subjects new for them, and contributing in formulating visual images of individuals, buildings, countries...etc, in addition to fulfilling their social and psychological needs. The study presents samples of the Arab field and analytical studies which tackled the role of mass media in providing children with information.

The article emphasized on the importance of the cooperation between the family and mass media methods through selecting the suitable ones and the subjects convenient for their children. Moreover, it stresses the necessity of examining the nature of what children read, hear, and watch.

---

* Deputy and Professor of Faculty of Information - Cairo University - Egypt

The Phenomenon of Begging in Ghaza

Maisson Al-Wehedi

The purpose of this field study is to identify the demographic characteristics of the category of beggars in Ghaza, and the status of the social and economic factors related to this phenomenon. This is in addition to identifying the places and times in which they emerge. The aim is to shed light on the phenomenon and to get the data contributing in setting effective programs on both the curative and preventive levels to strife against the phenomenon.

The results of the study show that most of the beggars are from the weak and deprived categories that match with the conditions for the social aids provided by the Ministry of Social Affairs. These categories consist of children, women, and old people live in difficult conditions, in addition to disable persons, patients, or unemployed people.

Furthermore, the results of the study stress the importance of cooperation among social, educational, religious institutions and mass media in confronting this uncivilized phenomenon that damage the society and the Palestinian citizen.

* Ministry of Social Affairs - Palestine

Describing the Status of Working Children in the Industrial Field

Mohamed Abdel Azem

A field study has been conducted in Al-Khashaba zone in El-Menia Governarate, one of the areas in which child labour is a spread phenomenon.

The study discusses the child labour phenomenon that exists in all the developing countries, and considered to be a natural reaction to the social, economic, and cultural problems in such societies. The study points out that the danger of this phenomenon is not confined to the working children only, but it also threatens the structure and development of society.

The study aims at understanding the nature of the phenomenon in a society that was not targeted before by previous studies, and where there is a lack of information about the phenomenon and its different dimensions. This is in order to reach more effective and achievable aims. It tries to achieve two main targets: strengthening the efforts exerted in spreading the awareness of the phenomenon's dimensions and its effects, and improving the effectiveness of targeted policies and programs to confront the phenomenon.

The study points out the previous studies that tackled the phenomenon and clarified its social and psychological effects. Furthermore, it examines the family background of those working children and their educational status. It concentrates on the need of having a realistic mechanism that match with the nature and life of those children.

* The Center of Psychological Studies and Research - Cairo University - Egypt

Attention Deficit-Hyperactivity Disorder

Dr. Abdullah Saleh Abdel Aziz Al-Ruwaitea

This study reviews Attention Deficit-Hyperactivity Disorder (ADHD); which is considered to be one of the most disorders that frequently occur in the stage of childhood, and in most cases, continues till maturity. ADHD is accompanied by a number of other several disorders including; conduct disorder, opposition defiant disorder, antisocial personality disorder, anxiety disorders and mood disorders.
The purpose of this study is to define ADHD through examining its general characteristics and symptoms in order to highlight the importance of its studying, as well as, illustrating its negative effects which increase and become more complicated as a result of non-awareness of the phenomenon, its symptoms, affect, and treatment.

Finally, the recommendations of the study stress the importance of the following:

* Studying this disorder in the Arab environment in order to recognize its spread and the appropriate methods of treatment.

* Spreading awareness of this disorder especially in the filed of education: for teachers, school's administration, and families.

* Spreading general awareness through the mass media as the majority are still unaware of this disorder.

* Assistant Professor of Psychology - Psychology Department - Faculty of Education - King Saud University - Saudi Arabia

An Introduction to Drama Therapy for Children

Dr. Kamal Eldien Hussien

This study tackles Drama Therapy which is considered to be one of the modern tools used recently in the field of psychotherapy, aiming at treating a lot of psychological and social problems whether for individuals or groups. The study presents the different definitions of Drama Therapy, including the definition of the British Association for Drama Therapy, which defines Drama Therapy as "the targeted and intentional use of drama, theatre, and their related processes to achieve the therapeutic aims of social and psychological symptoms relief, emotional and physical integration, and personal growth."
The study comes out with the coclusion that Drama Therapy can be defined as " a therapy achieved by the use of drama to enable the patient, utilizing the dramatic techniques, to realize and discover emotions in place and time between reality and imagination within social situations.
The study tackles the following dramatic basics and their resources in Drama Therapy:

* Children's drama and play
* The Art of theatre show
* Drama various texts and resources
* Folk drama and rituals

The study examines the similarities and differences between Drama Therapy and Psychodrama. As described by its founder J.L. Moreno, it clarifies that Psychodrama is "a scientific technique which explores truth by dramatic methods. It deals with inter-personal relations and private spheres of the patient."

---

* Professor of Theatre Literature and Drama - Faculty of Kindergarten - Cairo University- Egypt

- Museum Education and Arab Children's Culture
  Dr. Abla Hanafy Osman
- Psychological and Behavioral Characteristics of Pre-school Children
  Mubarak Salmeen

Regional Experiments:

- The Experiment of National Observatory of Child Rights in Morocco

Thesis & Books:

- School Curriculum between Theory and Application
  Dr. Hassan Shahata Presented by: Ali Hamed
- Master Thesis
  Prepared by: Dr. Zayed Bin Ageer

Seminars & Conferences:

- Ninth Session of the Advisory Technical Committee for Arab Childhood - Damascus 22-25 April 2002. **Mohamed El Zaghir**
- Seminar on Child Labour in the Arab World . **Ghada Moussa**

Reports & Documents:

- Globalization and Social Gender "Report of Developing Arab Women 2001"
  Center of Arab Women For Training and Research "CAWTAR"
- Competition for Young Researchers

Contents

CHILDHOOD &
DEVELOPMENT
Quarterly

Managing Editor
Mohamed Al-Zaghir
*

Advisory Committee

The research, studies and articles published in this periodical express their writers' views and not necessarily the periodical's view. The order of research in this periodical is not reflective of the importance of any particular research or to the status of the researcher.

*

Price per issue :

Egypt: LE 10

Arab Countries: US$ 5

Foreign Countries: US$ 10

*

Annual Subscription including mail :

Egypt: LE 25

Arab Countries: US$ 19

Foreign Countries US$ 29

Supportive Subscription: US$ 50

*

For Correspondence:

Childhood And Development Quarterly

Arab Council For Childhood And Development

P.O.Box : (15) Orman, Giza, Egypt

Tel : (+202) 7358011- Fax : (+202) 7358013

E-mail: accd@arabccd.org , www.accd.org.eg

This issue is funded by The Arab Gulf Programme For United Nations Development Organizations (AGFUND)

CHILDHOOD &
DEVELOPMENT
Quarterly

Childhood And Development Quarterly
A scientific periodical specialized in accurate research
issued by The Arab Council For Childhood And Development
under the supervision of The Institute of Arab Research & Studies
Arab League (ALECSO) Cairo, Egypt.

*

*

Cover designed by
Hamed Al Awady

*

Summarized & Translated by
Marwa Hashem

CHILDHOOD & DEVELOPMENT
Quarterly

CHILDHOOD & DEVELOPMENT

Quarterly

Arab Council for Childhood And Development

Periodical - Scientific - Specialized

Issued by: ACCD

Issue No. 6 Vol. 2 Summer 2002

ISSN: 1110-8681

- Arab chid and mass media... Profile
- An introduction to drama therapy for children
- Attention deficit- hyperactivity disorder
- Museum education and Arab children's culture
- School curriculum between theory and application